

بيت الحكمة المباسي

ودوره في ظهور مراكز الحكمة
في العالم الاسلامي



تأليف
حيدر قاسم التميمي

ZAHBARI
زهران
للشعر

بيت الحكمة العباسي

ودوره في ظهور مراكز الحكمة
في العالم الإسلامي



تأليف

حيدر قاسم التميمي

الطبعة الأولى
1432 هـ - 2011 م

المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2011/9/3334)

Copyright ©
All Rights Reserved

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وجه أو بأي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل وبخلاف ذلك إلا بموافقة الناشر على هذا الكتاب مقدماً .

المتخصصون في الكتاب الجامعي الأكاديمي العربي والأجنبي
دار زهران للنشر والتوزيع

تلفون : 5331289 - 6 - +962، ص.ب 1170 عمان 11941 الأردن

E-mail : Zahran.publishers@gmail.com

www.darzahran.net

المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|------------|--------|
| توطئة..... | 21 |

الباب الأول

بيوت الحكمة

| | |
|-----------------------------|----|
| بيت الحكمة في بغداد..... | 41 |
| بيت الحكمة في القيروان..... | 61 |
| دار الحكمة في القاهرة..... | 69 |
| دار الحكمة في طرابلس..... | 85 |
| دار الحكمة في مراغة..... | 91 |

الباب الثاني

خزائن الحكمة

| | |
|---------------------------------------|-----|
| خزانة الحكمة للشيخ بن خاقان..... | 97 |
| خزانة الحكمة لآل النجّمْ في كركر..... | 98 |
| صوان الحكمة في بخارى..... | 102 |

الباب الثالث

دور العلم

| | |
|---------------------------------------|-----|
| دار علم جعفر بن محمدان في الموصل..... | 107 |
| دار علم البُستي..... | 109 |
| دار علم صابور - في بغداد..... | 110 |

| | |
|-----------|---------------------------|
| 115 | دار علم غرس النعمة الصابي |
| 115 | دار علم ابن المارستانية |

الباب الرابع

دارالحكمة في الدولة الفاطمية

| | |
|-----------|--------------------------------------|
| 124 | خزائن الكتب الفاطمية |
| 135 | دار الحكمة |
| 142 | مجالس الحكمة في عهد الحاكم بأمر الله |

الباب الخامس

المدارس في العالم الإسلامي

| | |
|-----------|---------------------------------------|
| 156 | المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية |
|-----------|---------------------------------------|

الباب السادس

بيت الحكمة ودوره في ظهور مراكز الحكمة في الأندلس

| | |
|-----------|--|
| 170 | الموسيقى والغناء في الأندلس |
| 178 | قرطبة مدينة الكتب والحضارة |
| 179 | مكتبة قرطبة |
| 189 | أثر المكتبة الفكرية في شعوب غرب أوروبا |
| 194 | مدرسة بالرمو للترجمة |
| 196 | مدرسة طليطلة للترجمة |
| 206 | مكانة الفكر والعلم في الحضارة العربية |
| 219 | الهوامش والتعليقات |
| 263 | قائمة المصادر والمراجع |

بدايات نشوء دور العلم والمكتبات

في حضارة وادي الرافدين

في البدء نود أن نؤكد على أن لبّيت الحكمة العباسي جذوره التي تضرب في أعماق التاريخ، أي في تراث العراق القديم أيام السومريين والبابليين والآشوريين هنا في بلاد بابل وفي العصر البابلي القديم، أي ابتداءً ومن حدود عام 2000 ق.م. شهد العراق انبثاق واحدة من أقدم الحركات العلمية والتعليمية في الشرق الأدنى القديم متمثلة بعمل دؤوب على جمع وتدوين التراث السومري حرصاً على حفظه وخوفاً من ضياعه، بعد أن أصبحت اللغة السومرية في طريقها إلى الانقراض بعد سقوط سلالة أور الثالثة وهي آخر سلالة سومرية حاكمة في التاريخ في حدود 2006 ق.م. وقد لعبت دور التعليم آنذاك متمثلة بالمدارس البابلية، الدور الرئيسي في هذه الحركة إذ كان يُدرّس فيها اللغة السومرية وآدابها إلى جانب اللغة البابلية وتُجمع المفردات اللغوية في معاجم على ألواح الطين مع معانيها وشروحها بالبابلية. كما تمّ تأليف معاجم أخرى جمعت فيها أسماء الأشجار والنباتات والمعادن والأحجار الكريمة على اختلاف أنواعها إلى جانب أسماء الأسماك والطيور والحيوانات... وكانت مثل هذه الألواح تُستعمل بمثابة معاجم لدراسة علم الحيوان والنبات. وفي العصر البابلي القديم أيضاً تمّ استنساخ كثير من المؤلفات الأدبية السومرية من ألواحها الأصلية. كما تمّ تأليف أعمال أدبية أخرى باللغة البابلية كالملاحم والأساطير والتراويل. وتعد ملحمة كلكامش في نسختها

البابلية إثمودجاً فريداً لمثل هذه الأعمال، إذ جرى توظيف عدد من القصص السومرية التي تدور حول شخصية ومآثر البطل السومري كلكامش في ملحمة جديدة باللغة البابلية تعد بحق من روائع الأدب العالمي القديم، إذ جاءت هذه الملحمة قديمة في أصولها السومرية، جديدة في صورها ومضامينها البابلية. هذا وتدل ألواح الطين المكتشفة في هذا العصر والمدونة بمسائل رياضية على أن البابليين قطعوا شوطاً كبيراً في علم الرياضيات والفلك. وقد أثبتت الألواح المدونة بمسائل هندسية في (تل حرميل) أن البابليين سبقوا إقليدس في معرفة خواص المثلث القائم الزاوية بزمان يزيد على 1700 عام.

إنّ هناك علاقة وثيقة بين تطور الوعي التعليمي - الثقافي وبين نشوء المكتبات أو خزانات الكتب. وبقدر تعلّق الأمر بوادي الرافدين، فنحن نعرف أن الكتابة ظهرت في حدود 3200 - 3000 ق.م. وأنّ أول ظهورها كان في مدينة (الوركاء) وفي الطبقة الأثرية الرابعة منها، إذ تمّ العثور على بضع مئات من ألواح الطين مدونة بخط صوري. وهناك اتفاق بين جمهرة من الباحثين على أنّ نشوء الكتابة جاء تلبيةً لحاجة المعبد إلى وسيلة لتثبيت مدخلاته ومصرفاته المالية. والمهم في الأمر أنّ الكتابة منذ فجر ظهورها وفي كافة مراحل تطورها وانتشارها اللاحقة حافظت وبشكل ملفت للنظر على وحدة شكل العلامات والفاظها ومعانيها في كافة المدن السومرية. وبتعبير آخر، فقد كان هناك تطابق تام بين قوائم العلامات السامرية المكتشفة في المدن السومرية بعد انتشار فكرة الكتابة من الوركاء إلى الأرجاء المختلفة من سومر. ومع انتشار الكتابة ظهرت الحاجة إلى وجود مؤسسة أو مؤسسات تعليمية يتم فيها تعليم الأبناء فنون الخط السامري في أمكنة مخصصة لهذا الغرض وهي التي أصبحت تُعرف بالمصطلح السومري (اي - دوبا) **Edubba** حرفياً (بيت الألواح). هنا يكمن

تطابق واضح بين النسختين السومرية نيت الألواح وبين نيت الحكمة مما يدل على أن القصد من نيت هنا مكان حفظ الألواح أو الكتب. ويفترض الباحثون، أن المدارس عند نشأتها كانت ملحقة بالضرورة بالمعبد وأن المعبد كان مركزاً اقتصادياً وثقافياً إلى جانب وظيفته الدينية أساساً. ومهما يكن فيدر واضحاً أن المدارس في حدود 2000 ق.م. أي في مستهل العصر البابلي القديم، كانت مستقلة عن المعبد بدليل أن ما يُعرف بـ(الألواح المدرسية) قد تم العثور عليها في مرافق سكنية وليس في المعابد. إذ كشفت الحفريات عن بعض الأبنية التي يبدو من مخططاتها ومن الألواح المدرسية الموجودة فيها على أنها أبنية كانت مخصصة للأغراض التعليمية.

ذكرنا قبل قليل أن انتشار الكتابة كان على نطاق واسع في المدن السومرية، وأن ازدياد الوعي الثقافي أدى إلى ظهور مراكز تعليمية في العراق القديم لاسيما في الجنوب إذ ظهرت وتطورت الحضارة السومرية. وتحظى مدينة (نُقر) على وجه الخصوص بأهمية مزدوجة من بين المدن السومرية الأخرى. فهي أولاً تتمتع بأهمية دينية مهمة كونها مركزاً لعبادة إله الأجواء (إنليل) ولأن كهنتها كانوا يتمتعون بسلطة إضفاء الشرعية على حكم الملوك. وهي ثانياً من أشهر المراكز الثقافية في جنوب وادي الرافدين على الإطلاق. فالأدب السومري على سبيل المثال، ظل يُنقل شفاهاً، وأن عملية جمعه وتدوينه بدأت عندما أخذت اللغة السومرية طريقها إلى الانقراض بعد سقوط سلالة أور الثالثة. ويظهر أنه كان لمدينة (نُقر) دور هام في إجراءات الحفاظ على الإرث السومري وتدوينه إذ أنشئت فيها مدارس لجمع وتأليف أرشيف للأدب السومري، وقد كشفت التنقيبات التي أجريت في أواخر القرن التاسع عشر في ما يُعرف بنحارة النساخين (الكتبة) في نُقر عن بضعة آلاف من الألواح الطينية

المدونة لأعمال أدبية، كما تم العثور خلال التنقيبات اللاحقة في الخمسينيات من القرن العشرين عن نصوص مدرسية تعليمية وجدت في مرافق سكنية حيث الطلبة يتعلمون اللغة السومرية وحيث كانت الجهود تُبذل على الأدب السومري عن طريق جمعه واستنساخه من الواحة الأصلية. وبالفعل فقد أثمرت تلك الجهود عن نتائج في غاية الأهمية إذ تضمنت النصوص المكتشفة قوائم بالعلامات المسمارية لأغراض معجمية ونماذج من عقود ورسائل وقرارات قضائية ومسائل رياضية فضلاً عن المؤلفات بكل أنواعها وكذلك التراتيل والصلوات وأدب الحكمة...

وفي مرحلة لاحقة من تاريخ العراق القديم ظهرت المكتبات، وهي الأمكنة التي فيها الألواح المدونة بشئى صنوف المعرفة. ويمكن القول بشكل عام أن المكتبات أو خزانات الكتب في العراق القديم يمكن أن تُصنّف إلى ثلاثة أنواع:

1. مكتبات خاصة بأرشيف الدولة كذلك التي عُثر عليها في بعض العواصم الملكية مثل نينوى وماري وكارانا (تل الرماح).
2. مكتبات خاصة بالمعابد مثل تلك المكتشفة في نينوى (مكتبة نابو) وآشور وغمروود وسبار. فقد عثرت بعثة التنقيب لقسم الآثار في كلية الآداب بجامعة بغداد على مكتبة في الطبقات العليا في منطقة المعبد في مدينة (سبار)، وفضلاً عن قيمتها المعرفية في المجالات اللغوية والأدبية والدينية فإن مكتبة سبار التي يزيد عدد ألواحها (كتبها) على خمسمائة لوح، أهمية فريدة أخرى وهي أنه قد تم العثور عليها سليمة تماماً فالألواح وجدت كما رتبها صاحبها الكاهن البابلي في

رفوف مبنية الواحد منها فوق الآخر. وحرصاً منه على بقائها محفوظة بعيداً عن العث وتأثيرات الطبيعة فإنه غطى تلك الألواح بطبقة من الطين.

3. مكتبات شخصية، مثل تلك المكتشفة في (سلطان تبه) بالقرب من حرّان والتي عُثر فيها على مجموعة من النصوص الأدبية والدينية تعود إلى كاهن في معبد (سين) إله القمر، اسمه (قدري نركال) Qudri Nergal.

ولا شك أن مكتبة الملك الآشوري آشور بانيبال (668 – 631 ق.م) في نينوى كانت من أغنى وأشهر خزانات الكتب المكتشفة لحدّ الآن في وادي الرافدين وخارجه. فقبل ما يقرب من قرن ونصف القرن تقريباً، عام 1849 على وجه التحديد، كان (هنري لايرد) يحفر في قصر سنحاريب في قوينجق (نينوى) عندما عثر على قاعدتين فيهما أعداد كبيرة جداً من الألواح الطين غطت الأرضية لارتفاع قدم أو أكثر. وبعد ثلاث سنوات من ذلك عثر مساعد (هرمز رسام) على مجموعات أخرى من الألواح في قصر الملك آشور بانيبال في (قوينجق) أيضاً وقد بلغ عدد ما عثر عليه الاثنان أكثر من (28) ألف لوح نُقلت كلّها إلى المتحف البريطاني. وقد تبين فيما بعد أن معظم الألواح المكتشفة في قصر سنحاريب تعود إلى حفيده آشور بانيبال ذلك لأن الأخير أقام في قصر جده سنحاريب سنوات عدّة قبل أن يتقل إلى قصره. ويمكن القول بشكل عام أن هذه المكتبة الضخمة تحتوي على صنفين رئيسيين من الألواح: الأول رسمي، مما يقع ضمن أرشيف الدولة، والثاني مكتبي، أي أنها وثائق حُفظت في المكتبة لأهميتها في مواضيع معينة كالتأليف الأدبية والدينية والسحر والعرافة والتعزيم والطب والفلك. وتتجلّى أهمية هذا الصنف من الوثائق في

الجهد الكبير الذي بُذل من أجل استنساخها من وثائقها الأصلية القديمة وفي التنقل بين المدن السورية والبابلية بحثاً عن وثائق ذات قيمة تراثية لإرسالها إلى نينوى في هذه المكتبة. ويدافع الحرص على أن تتم عملية استنساخ النصوص من ألواحها القديمة بدقة وأمانة دون تغيير أو تعديل أو تبديل فقد جاء على لسان الملك آشور بانيبال قوله في ذلك اللوح الخامس والأخير من قصة إيرا إله الطاعون، ما نصه.

(اللوحة الخامس من سلسلة إيرا)

أنا آشور بانيبال، الملك العظيم، الملك الصنديد

ملك العالم، ملك آشور

ابن سرجون ملك آشور

ابن منشاريب ملك آشور

كتبت ودققت وطابقت هذا اللوح بصحبة عدد من العلماء

على وفق ألواح الطين وألواح الكتابة الخشبية

وعلى نسخ من آشور وسومر وأكد

ورضعته في قصري لمطالعتي الشخصية

كل من يحو اسمي المكتوب ويكتب اسمه

عسى الإله نابو، كاتب كل شيء، أن يحو اسمه

ها نجد نقطة نظائري مهمة للمقارنة بين جهود الملك آشور بانيبال للحصول على ألواح المعارف من بابل ووضعها في مكتبته في نينوى وبين

جهود الخليفة العباسي المأمون الذي أرسل إلى القسطنطينية صاحب بيت الحكمة (سهل بن هارون) للحصول على الكتب الفلسفية والطبية ووضعها في خزانته في بغداد. لكن الاثير يختلفان في الهدف، فيسعى الملك الآشوري إلى الحفاظ على تراث بلده من خلال جمع سواد لمؤلفات السومرية والسبالية وامسآخها في مكتبة نينوى، فلأن خطوة الخليفة العباسي للحصول على الكتب ليوبانية تعد انفتاحاً على الثقافة الأجنبية وهي لذلك تعد مثلاً ممتازاً على ما نُسب إليه اليوم بمحاور الحضارات أو الثقافات الداعي إلى تعايش الأمم في ظل الدعوة إلى السلام وتبادل المعرفة واحترام آراء ومعتقدات الطرف الآخر

لقد أثبتت الدراسات اسمارية والكشوفات الأثرية خلال القرن المنصرم، أن الإغريق على وجه الخصوص، تأثروا بشكل واضح بحضارة العام العربي القديمة (العراق، مصر، بلاد الشام) في مجالات شتى شملت الكتابة والفكر والمعتقدات الدينية واللغة ولأدب (الهندسة والرياضيات والطب والفن والعمارة). (لقد وصلت معظم هذه التأثيرات وغيرها كثيراً من بلدان العالم العربي إلى بلاد اليونان عن طريق الأجزاء الغربية من آسيا الصغرى والمناطق الساحلية لبلاد الشام وبحر إيجه وجرره. والحقيقة أن ما يستخلصه الباحث من دراسة تلك التأثيرات القديمة في الحضارة اليوبانية أن بلاد اليونان مدينة لحضارة العام العربي بأشياء كثيرة. وأن ما أحذه العرب من الثقافة اليوبانية خلال العصور الإسلامية فيه كثير من بضاعة العالم لعربي عندما انطلقت مظاهر من حضارة وادي الرافدين والشام ووادي النيل غرباً إلى بلاد اليونان والرومان ثم لتعود إليهم ثانية في زي جديد هو الثقافة الهلنستية⁽¹⁾

إن من أهم لمظاهر الحضارية لبلاد وادي الرافدين هو اختراع الكتابة في منتصف الألف الرابع ق م. ويمكن القول أنها الميزة والمظهر الرئيسي، فيوساطة الكتابة تمكروا من تدوين علومهم ومعارفهم وتأريخهم وثقافتهم وبها انتقلت

العلوم والمعارف من جيل لآخر، كل جيل اضاف وغير وبذل وفق متطلبات عصره وحاجته، فتوسعت بذلك مدرك الإنسان وأفق تفكيره. وأضحى مطلعاً على خبرات وتجارب عشرات بل مئات السنين بمجرد قراءة نصوص مكتوبة على بضع ألواح طينية. وقد وجّه سكان بلاد الرافدين جلّ عنايتهم إلى وجوب تعلّم الكتابة وإتقانها فكان النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد طور النضج والازدهار لنظام التعليم في العراق، ويفهم من النصوص المسبارية أنّ التعليم لم يكن مقتصرأ على المذكور بل شاركت الفتيات أيضاً فيه

وقد أجمعت الآراء على أنّ كلمة (gi r gi nakku) الأكديّة تعني المكان الذي تُحفظ فيه الرُّقم الطينية أو المكتبة وبخاصة تلك الملحقة بالمعابد وهي على الأغلب كلمة مستعارة من اللغة السومرية، وقد كان أصلها gi r gin - un بمعنى سلسلة من الألواح. ويُرادف كلمة gi r gi nakku الكلمة السومرية LA - GU - TM أو LA - TM، كما وردت تسمية أخرى بصيغة E IM GI LA التي تعني مكتبة ملحقة بمعبد أو لها علاقة بمعبد ما⁽²⁾ وكما ذكرنا فقد حُفظت في تلك المكتبات شتى أنواع المعارف والعلوم مثل النصوص التاريخية والدينية والقانونية ونصوص تبحث في الفلك ولتنجيم والطب ونصوص لغوية ومعجمية. ومن أنواع الألواح المهمة الأخرى التي حُفظت في المكتبات ألواح يُطلق عليها في اللغة الأكديّة تسمية (li gi nu) القرية في لفظها ومعناها من الكلمة العربية (لقس) وهي ألواح كُتبت فيها نصوص أو مقتطفات عامة، وتُخصص هذه الألواح لأغراض التعليم وتُقرأ عادةً بصوت مرتفع⁽³⁾، كما وردت إشارات إلى وجود أنواع من الألواح فيها تعليمات خاصة بمعبد الكالو (الكالو) كانت ضمن مقتنيات مكتبة (أسو) في بنوى⁽⁴⁾

ويستشف من الصرصر المسمارية أن المسؤولين على المكتبات كان لهم منهج خاص في التعامل مع الألواح التي توضع في مكباتهم ينم عن فكر علمي منظم يبدأ في اختيار مضمون الرقم والمواضيع التي تنطرق إليها ثم في تدقيقها ويرد كُتبت على الألواح حكمة أيا، حرفة مغني المعد، سر الخبير، دقت وجمعت ثم أودعت في مكتبة أبي ريدا، صومعة الإله نابو، سيدي، في يسوى، أه يا نابو أنظر برضا على هذه المكتبة⁽⁵⁾ كذلك أوجد العراقيون القدماء نظاماً علمياً دقيقاً لاستعارة الرقم من المكتبات للحيلولة دون ضياعها أو تلفها إذ كان يُسجل اسم الشخص المستعير وعنوان الرقيم المستعار على لوح طيني صغير يُحفظ في المكتبة، وفي رقيم عُثر عليه في الوركاء تقرا كقد عُثرت استعارة السخة الثانية للرقيم من قبل الملك مرجون وثمت إعادته⁽⁶⁾

كذلك يبدو أنه فضلاً عن استخدام منهج صارم في التعامل مع الألواح فقد كانت بركة الآلهة وعطفها تشمل كل من يستعير منها لوحاً ويُرجعه دون أن يغير في محتوياته أو يلحق به ضرراً عسى عشتار أن تنظر برضى على التلميذ ungaru الذي لا يُغير سطرأ ويُعيد الرقيم إلى المكتبة⁽⁷⁾

وامتداداً إلى الرقم الطبية المكتشفة في مكتبي آشور باتيال في نينوى أن الرقم الطبية كانت تحتوي على إمضاءات مستسحجها فضلاً عن وضع علامات خاصة على لرقم تُشير إلى عائديتها للمكتبة الملكية، وهي إن صح التعبير تُحاكي الإجراءات المتبعة في الوقت الحاضر من وضع علامة أو حتم خاص على الكتب المحفوظة في المكتبات أياً كان نوعها

كذلك تُشير إلى ظاهرة علمية لا يمكن أن تستغني عنها في أي مكتبة منظمة في السابق وإلى الوقت الحاضر، ألا وهي وضع فهرس أو قوائم بما موجود في المكتبة في نصوص تُسهل على المطالعين الرجوع إليها ومعرفة ما

تخويه من مواضيع مختلفة وقد عُثِرَ على مثل تلك الفهارس المدونة على رُقْم طينية صغيرة الحجم ضمن مجموعة ألواح، عُثِرَ عليها في مدينة نُفَرُ ترجع بزمنها إلى العصور السومرية المتأخرة، وفهارس أخرى تعود إلى مكتبي آشور بانيبال من العصر الآشوري الحديث⁽⁸⁾.

فضلاً عن ما ذكرته الصوص المسمارية فقد أظهرت النقيبات الأثرية في بلاد الرافدين على وجود مبانٍ متخصصة حفظ وحزن الرُقْم الطينية بمكس أن تعدها النماذج الأولى لمباني المكتبات في تاريخ البشرية، وكانت تلك المباني بمخططات وتصاميم شبه موحدة تقريباً بغض النظر عن مكانها أو العصر الذي أنشئت فيه وقوام هذا المخطط عبارة عن حناج عماري ملحق بمعبّد رئيسي يشتمل على عدد من الغرف بمساحات مختلفة. وفيها تكون الغرفة الرئيسة ذات مدخل واحد يوصلها ببقية مرافق المشي وقد شُيّد لصف جدرانها الداخلية مصاطب أفقية متعاقبة الواحدة فوق الأخرى تشكّل رفوفاً منتظمة إلى أقسام أشبه بـ(الكوات) بواسطة قواطع عمودية صغيرة، ويحفظ في داخل هذه الكوات الرُقْم الطينية

ومن النماذج الأولى للمكتبات نذكر مكتبة معبد إنبيل في مدينة نُفَرُ التي ترجع إلى العصر السومري الحديث، وبما تبقى في ذلك المبني نجد أن غرفة المكتبة كانت تحوي رفوفاً مشيدة من اللبن معرض (45 سم) تقريباً نُلِطت بالقار وغطيت بحصير من القصب وضعت فوقها الرُقْم الطينية التي عُثِرَ على مئات منها كانت مدونة بصوص مسمارية سومرية⁽⁹⁾.

ولما كان العراق القديم هو الموطن الأول لظهور المكتبات الثقافية لمعظم الصوص الأدبية والعلمية والتاريخية كما هو الحال في مكتبة نُفَرُ ومكتبة مَبَّار ومكتبة نيبوى وخرسياد. لأنّ هذا انعكس بعد ذلك على ظهور دور التعليم

والمكتبات التي ارتبط ظهورها بالمجاميع العلمية والأدبية التي تمحضر عنها التاج الفكري لبلاد الرافدين في المدة بين الميلاد وظهور الإسلام، فكانت في العراق مدارس تُدرس فيها العلوم السريانية واليونانية وكانت هذه المدارس يتبعها مكتبات، وبعضها وهو الأوفر نشأ في العصور الإسلامية.

ولهذا يجدر بنا التطرق إلى تاريخ التدريس في الإسلام، فالمعروف أن الدرس والتدريس نشأ بنشأة الإسلام. فقد روي أن جماعة من الصحابة كانوا يُعلمون في مسجد قباء في عهد الرسول الكريم (ﷺ) وكانت دعوة النبي للعرب المسلمين إلى التفقه بالدين وطلب العلم نجد آذاناً صاغية فقد ظل الدين الإسلامي أساس كل الحركات العلمية وهي القرآن وتفسيره والحديث وروايته واستنباط الأحكام المقهبة والفتاوى الشرعية فيما يجد من مشاكل.

وكانت قراءة القرآن الكريم وبهم معانيه والاقتراس من أساليبه البليغة مما رفع مستوى العقلية العربية وراد من ثقافة العرب ووسع من مداركهم، فمن خلال قصص القرآن اطلع على أخبار الأمم وقصص أنبياء السابقين فاتسعت بذلك آفاقهم وتطورت إبداعاتهم وتعددت مناهجهم. كما كان أيضاً لدراسة القرآن الكريم أثر في الحياة العلمية والعقلية، وفي تنوير الأذهان، وفي دعوته النظر إلى الكون وظواهره عامل في اتجاه العرب المسلمين إلى العلوم العقلية كالملك والمنطق والجغرافية. وهكذا فقد كان الدين الإسلامي هو الدافع الحقيقي للعلم والتعليم.

كان التدريس إذن قائماً في المساجد منذ صدر الإسلام وكان للعلماء حلقات مأهولة بالطلاب وهي منتشرة في معظم حواصم العالم الإسلامي يجلس فيها العلماء للتدريس وتعليم المسلمين وتنقيفهم في شؤون دينهم. وبقي التدريس قائماً بالمساجد قروناً طويلة منذ العصر الأول، وما زال بعضها قائماً

حتى وقتنا الحاضر. وعلى العموم فقد كان المسجد أهم معهد للثقافة في الإسلام⁽¹⁰⁾.

أما من ناحية التخطيط العام للمساجد كان النظام التقليدي لعمارة المساجد وهو الطراز المستمد من تصميم مسجد الرسول (ﷺ) بالمدينة المنورة هو لتصميم الذي كان سائداً في العالم العربي الإسلامي الذي يتألف من صحن تحف به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة (بيت الصلاة)

وإلى جانب حلقات المساجد كانت هذه الحلقات غالباً ما تُعقد في دور الخلفاء والأمراء يُناظر فيها العلماء في المنطق وعلم الكلام واللغة. ولم تكن هذه الدور والمجالس دوراً مخصصة للدرس والتدريس، ولكنها كانت مراكز للنشاط العلمي والثقافي

ولم يبدأ القرن الثاني الهجري حتى نشطت الحركة العلمية، فلما استقر الأمر للعرب ودانت لهم أمم المرس ودولة الروم التفتوا إلى مظاهر الحضارة التي كانوا يجدونها عند الشعوب التي أخضعوها لهم، وجدوا الكثير من أهلها يتدارسون في مختلف العلوم وينقلونها ومع أن حركة الترجمة في هذا العصر قد اقتصرت على نشاطات محدودة قام بها عدد قليل من المترجمين على أفراد، ويلاحظ أن المترجمين لأوليين كانوا مسيحيين يعاقبة أو نساطرة وقد ترجموا إلى السريانية أولاً ومنها إلى العربية. وكانت هذه الكتب المصدر الأول عن تراث اليونان، إلا أنها لم تكن خالية من الأخطاء لكن هذه الترجمات أصلحت فيما بعد.

في الدولة العباسية كثر اختلاط العرب مع غيرهم من الأمم التي دانت لحكمهم، وزادت رغبتهم بالإطلاع على علوم القوم ومعارفهم، فقرَّبوا العلماء والأطباء والحُكَّماء وأهل الفنون والآداب وأجزلوا لهم العطاء

أبو جعفر المنصور (136 - 158 هـ / 753 - 774 م) مع برعته في الفقه والحديث واللغة، كان كلاً ما يعلم الحكمة خاصة في الطب والنجوم والملك والهندسة وهو أول من راسل ملك الروم يطلب منه كتب الحكمة، فبعث إليه بكتاب إقليدس وبعض كتب الطبيعيات⁽¹¹⁾

قال العمودي (ت346هـ) عد كلامه عن اهتمام أبي جعفر المنصور بترجمة مختلف كتب الحكمة ما نصه وكان أول خليفة قرَّب المنجِّمين وعمل بإحكام النجوم، وكان معه نوبخت المجوسي المنجِّم وأسلم على يده، وهو أبو هؤلاء النوبختية، وإبراهيم الفراري المنجِّم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علوم النجوم وهينة الفك، وعلي بن عيسى الأسطرلابي المنجِّم، وهو أول خليفة تُرجمت له الكتب من اللغات الأعجمية إلى العربية، ومنها كتاب (كيلة ودمنة)، وكتاب (السند هند)، وتُرجمت له كتب أرسطاطاليس من المطلقيات وغيرها، وتُرجم له كتاب (المجسطي) لبطليموس، وكتاب (الأرتماطيقي)، وكتاب إقليدس، ومئات الكتب القديمة من اليونانية والرومية والمهلوية والفارسية والسريانية، وخرجت إلى الناس فظفروا فيها وتعلَّفوا إلى عملها⁽¹²⁾ وأما الكتب التي نقلها عبد الله بن المقفع (المتوفى سنة 141هـ/758م) من الفارسية إلى العربية فهي كتاب (كيلة ودمنة)، وكتاب (خدينامه) في (السير)، وكتاب (آيين نامه) وكتاب (مردك) وكتاب (الناج) في

سيره أبو شروان و ترجم كتاب (الكبيكين) في أحبار أفراسياب وما كان بينه وبين الترك من الحروب، ونقل بعض كتب الطب والمنطق التي كان الفرس قد نقلوها إلى لغتهم من اليونانية⁽¹³⁾.

و ترجم من كتاب أرسطاطاليس المظفية الثلاث هي (قاطاعورياس)، وكتاب (باري أرمياس)، وكتاب (أنولوطيقيا)، وكتاب (إيساغوجي) لفرفوريس الصوري⁽¹⁴⁾.

وفي سنة (156هـ/772م) قدم على الخليفة المنصور رجل من الهند، وكان عالماً بحركات النجوم وحساب السند الهند، ومعه كتاب يبحث في ذلك، فأمر الخليفة بترجمة الكتاب إلى العربية وأن يؤلف معه كتاب تتحدثه العرب أصلاً في حركات الكواكب فتولّى ذلك مُحَمَّد بن إبراهيم القراري وعمل منه كتاب (السند هند لكبير) وبقي يعمل به إلى أيام المأمون⁽¹⁵⁾.

ونقل أبو يحيى ابن البطريق كتاب الأربع مقالات لطليموس في صناعة أحكام النجوم⁽¹⁶⁾.

و ترجم على عهده من كتب الهندسة كتاب إقليدس وهو من أجل كتب هذا العلم، وما الهندسة التي تُدرس في مدارسنا الثانوية في هذه الأيام إلا هندسة إقليدس مع تحرير بسيط وترتيب في النظريات⁽¹⁷⁾.

وكان جورج جوس (المتوفى سنة 160هـ/777م) رئيس أطباء جنديسابور وطبيب المنصور عالماً باليونانية والفارسية، فترجم الكتب الطبية من اليونانية والفارسية إلى العربية، كما ألف كتابه في الطب⁽¹⁸⁾ وصار أولاده على نهجه وأنجب أسرة علمية جليلة خدمت الترجمة والطب أجل خدمة

ولما غزا العرب بلاد الروم، واستولوا على بعضها، بذلو عناية خاصة بعلوم القوم ومعارفهم، فحافظوا على الكتب التي وقعت بأيديهم، فلم يفعلوا بها ما فعله الإسماعيليون عند استولوا على نوائس الكتب العربية في الأندلس، ولا ما فعله التتار والمغول عندما هاجروا البلاد الإسلامية في الشرق، فإن العرب حرصوا كل الحرص على ما وقع بأيديهم منها، وخاصة كتب الحكمة، وعنوا بها عناية فائقة.

ولما فتحوا مدينتي عمورية وأنقرة أمروا بالمحافظة على مكائنها، وانتدبوا العلماء والتراجم من بغداد لأختبار الكتب القيمة منها، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الأمم، فاختاروا الكتب النفيسة السائرة في الطب والفلسفة والملك، ونقلوها إلى بغداد، ولما أمر هذه الكتب يوحنا بن ماسويه (الخوفى سنة 243هـ/ 857م) أكبر أطباء عصره، وجعلوا له من يساعده بترجمتها⁽¹⁹⁾.

وفي أيامه نقل الحجاج بن مطر كتاب إقليدس وهو أول نقل كان لهذا الكتاب إلى العربية، وتسمى الترجمة الهارونية، تميزاً لها عن الترجمة المأمونية.

وأهتم يحيى بن خالد البرمكي بترجمة المجسطي إلى العربية، فقام بذلك عدة علماء، ولم يتوفقوا بترجمته كما يجب، ففرضت على عالين من علماء بيت الحكمة وهما أبو حسان ومسلم فصححا الترجمة، وفسرنا ما غمض من المصطلحات، فكانت ترجمة حسنة⁽²⁰⁾.

وكان متكه الهندي - طبيب الخليفة هارون الرشيد - ينقل الكتب من الهندية إلى الفارسية والعربية، ونقل عدة كتب تبحث في الطب على مذهب أهل الهند. ونقل ابن دهن (الذي كان يُشرف على بیمارستان الرامكة عدة كتب في الطب)⁽²¹⁾.

ولما أفضت الخلافة إلى عبد الله المأمون (198 - 218هـ/813 - 833م) وجه همه إلى الترجمة والتأليف، فترجمت له كتب الحكمة المختلفة وكان كثير لإهتمام بها، خاصة في كتب الفلسفة والمنطق، ذلك لأنه كان يرى رأي المعتزلة، وهم من أكبر مؤيدي الرأي، وتحكيم العقل في الأمور الدينية، وكان المأمون واسع العلم، حرّ الفكر، يميل إلى القياس، لذا كان يرغب بترجمة كتب المنطق والفلسفة لأنه يجد له منها خير معين على تحكيم العقل، فترجمت معظم كتب أرسطو - على عهده - وتولّد عند المسلمين علم الكلام.

ووصف القاضي أبو القاسم أحمد بن صاعد الأندلسي ما كانت عليه الحركة العلمية في عصر المأمون فقال: ثم لما أفضت الخلافة إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون، تم ما بدأ به المصور، فأقل على طلب العلم في موضعه، وأستخرجه من معاده، بفصل همت الشريعة، وقوه نفسه الفاصلة، فداحل ملوك الروم وأنحفهم بأهدى الخطيرة، وسأهم صلته بما لديهم من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وأبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليموس، وغيرهم من الفلاسفة، فاستخار لها مهرة الترجمة، وكلّفهم إحكام ترجمتها فترجمت له على غاية ما أمكن، ثم حضر الناس على قراءتها، ورغبهم في تعلّمها، فنهفت سوق العلم في زمانه، وقامت دولة الحكمة في عصره، وتنافس أولوا النباهة في العلوم، لما كانوا يرون من احصائه لمتحليها، وإحتصاصه لقلديها، فكان يجلو بهم ويأنس بمناظراتهم ويلتذ بمذاكراتهم، فيألون عنده المنزلة الرفيعة، والمراتب السنية، وكذلك كانت سيرته مع سائر العلماء والعقهاء والمحدثين والمتكلمين، وأهل اللغة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب، فأتقن جماعة من دميّ الصون والتعلّم في أيامه كثيراً من أجزاء الفلسفة، وسنوا لمن بعدهم مهاج الطلب،

ومهدوا أصول الأدب، حتى كانت الدولة العباسية تُصاهي الدولة الرومية أيام أكتماها، وزمان إجتماع شملها⁽²²⁾.

وأخذ المأمون يسعى بشئ الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة، فكان يُرسل العلماء وأهل الرأي إلى بلاد الروم وغيرها، لكي يفتشوا عن الكتب النادرة، ويُرغبوا أصحابها ببيعها، فجمعوا منها كل نقيس ونادر⁽²³⁾ والناس على دين ملوكهم، فسافرت عدّة بعثات علمية إلى بلاد الروم، لتحصيل الكتب المختلفة من طب وفلسفة ونجوم ومنطق وموسيقى وهندسة وغيرها

ومن سافر إلى هذه الغاية النبيلة هم أولاد موسى بن شاعر، فإنهم اتعبوا أنفسهم في طلب الكتب النفيسة، وصرفوا مبالغ طائلة للحصول عليها، فحصلوا على كتب نادرة منها. كما أنهم أرسلوا علماء هذه الغاية، فأحضروا لهم الغرائب منها، وأستدعوا النقلة من مختلف الأقطار، ورغبوهم بالذل الكثير، فترحموا لهم غرائب الحكمة وكان الغالب عليهم الهندسة والحيل والحركات والموسيقى والنجوم ولهم كتب في علم الآلات الخفية⁽²⁴⁾.

ومن كان يُترجم لبي موسى بن شاعر حنين بن إسحاق، وخببش بن الحسن لأعسم، وثابت بن قرة، ولهم أجراً في الشهر قدره خمسمائة دينار على النقل والترجمة⁽²⁵⁾. وثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابي (233 - 288هـ/ 845 - 900م) هو الذي أصطحبه محمد بن موسى بن شاعر إلى بغداد، لما أنصرف من بلاد الروم، وأدخله في جملة المترجمين والمُجمِّين، فترجم هذا كتاباً في النجوم⁽²⁶⁾.

ومن دخل بلاد الروم لتحصيل كتب الفلك واسجوم للحليفة المأمون، هو يحيى بن أبي منصور النجّم المأموني، وهذا أحد علماء بيت الحكمة فتوغل في بلاد الروم، وجمع نفائس الكتب التي تبحث في ذلك⁽²⁷⁾

وسافر قسطا بن لوقا البعلبكي إلى بلاد الروم، وحصل الكثير من تصانيفهم، وعاد إلى الشام ثم استدعي إلى بغداد، ليترجم الكتب من اليونانية إلى العربية ويذكر عنه ابن السديم: أنه كان يُقدّم على حين لفصله وبلاه، وتقدمه في صناعة الطب، وكان بارعاً في علوم كثيرة منها الطب والفلسفة والإعداد والموسيقى، فصيحاً باللغة اليونانية، جيد العبارة بالعربية، لذا عهد إليه بترجمة كتب عديدة، فكان من التراجمة المعدادين الذين يُعول عليهم⁽²⁸⁾

ودخل بلاد الروم حين بن إسحاق العبادي (194 260هـ/809 873م) وجدّ في تحصيل كتب الحكمة، وبذل غاية إمكانه في ذلك، كما أنه اغتسم فرصة وجوده في بلادهم، فتعلّم اللغة اليونانية وأحكمها، وعاد إلى بغداد ومعه ثخيف نادرة من كتب الحكمة، ولازم بني موسى بن شاكر ورغبوه بنقل الكتب إلى العربية.

كان حين أحد أعظم العلماء الذين خدموا كتب الحكمة، بما نقله منها وألّفه فيها، فترجم عدّة كتب لجالينوس وأبقراط وديقوريدس، وترجم جمهورية أفلاطون وملتولات والطبيعات والخلقات لأرسطو، وترجم جميع مؤلفات جالينوس العلمية إلى السريانية ثم العربية، وترجم كتاب العهد القديم من اليونانية، فكان المأمون يُعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب.

وصار لحنين مدرسة للترجمة، يشتغل تحت يده عدد من علماء عصره، ويُترجم بعضهم من اليونانية إلى السريانية، ثم يترجمها غيرهم إلى العربية

ويُترجم بعضهم من اليونانية إلى العربية وعن كان يترجم بين يديه. حبش بن الحسن لأعسم، وهو أحد تلاميذه وكان حين يُقدِّمه ويُعظِّمه، ويُفضِّل نقله، وكان يُترجم من اليونانية والسريانية إلى العربية وكذا عيسى بن يحيى بن إبراهيم، وهو من تلاميذ حين أيضاً. كن من النقلة المجيدين، واصطمين بن سبل، وموسى بن خالد الترجماني، ويحيى بن هارون وغيرهم⁽²⁹⁾ وكان ابنه إسحاق بن حين (المتوفي سنة 298هـ/910م) لا يقل عن أبيه في النقل من اليونانية والسريانية إلى العربية، وله نقول وتكليف⁽³⁰⁾.

ويبلغ من شغف المأمون بكتب الحكمة وفلسفة: أنه إذا ما عقد معاهدة مع بعض ملوك الروم، فإنه كان يشترط عليه أن يُرسل إليه من نقائس كتب الحكمة التي في بلاده، والتي يندر وجودها عند غيرهم من الأمم.

ومن ذلك. أنه جعل أحد شروط معاهدة الصلح بينه وبين ميخائيل الثالث قيصر الروم أن يزول الثاني للأول عن إحدى المكتبات الشهيرة في القسطنطينية، كان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس في الفلك، فأمر المأمون بنقله إلى العربية وسمَّاه المجسطي⁽³¹⁾.

وهادن المأمون صاحب قبرص، واشترط عليه أن يُرسل إليه من كتب الحكمة، وخاصة كتب أرسطاطاليس وقد حدثنا القعطي عن هذا فقال: إن المأمون راسل ملك الروم وكان قد استطال عليه وأذلَّ دين الكفر، وطلب منه كتب الحكمة من كلام أرسطاطاليس، فطلبها ملك الروم، فلم يجد لها في بلاده أثراً، فاعتم بذلك وقال. بطلب مني ملك المسلمين علم مسلمي من يونان فلا أجده، أي عذر يكون لي؟ أم أية قيمة تهي لهذه المرقعة الرومية عند المسلمين؟ وأخذ في السؤال والبحث، فحضر إليه أحد الرهبان المنقطعين في بعض الأديرة

البارحة عن القسطنطينية وقال له عدي علم ما تريد، وقال له. أدركني، فقال إن البيت العلاني في موضع كذا الذي يقفل كل ملك عليه قفلاً إذا ملك ما فيه، قال في - على ما يُقال - مال الملوك المتقدمين، وكل ملك يجيء يقفل عليه حتى لا يُقال أحتاج إلى ما فيه لسوء تدبيره ففتحه، فقال له الراهب ليس الأمر كذلك وإنما في ذلك اموضع هيكل كانت يونان تتعبد به قبل استقرار ملّة المسيح، فلما تقررّت ملّة بهذه الجهات في أيام قسطنطين بن اللانة هيلانة جمعت كتب الحكمة من أيدي الناس، وجعلت في ذلك البيت، وأغلق عليه بذلك، فاستثار الراهب في تسيرها - إذا وجد - إلى بلد الإسلام، وهل عليه في ذلك خطر في الدنيا أو أثم في الآخرة، فقال له الراهب سيرها فإنك تُثاب عليه، فإنها ما دخلت في ملّة إلا وزلزلت قواعدها، فسار إلى البيت وفتحه، ووجد الأمر فيه كما ذكر الراهب، ووجد فيها كتباً كثيرة، فأخذوا من جانبيها بغير علم ولا فحص خمسة أحمال، وسُيرت إلى المأمون، فأحضر لها المترجمين فاستخرجوه من الرومية إلى العربية، ثم تُثّث الناس بعد ذلك على تطلبها بعد المأمون وتحيلوا إلى أن حصلوا منها الجملة الكثيرة. وهذه الكتب من أعظم ما دخل خزانة المأمون من كتب الحكمة⁽³²⁾.

وإنّ المأمون لم يكتف بهذه الكتب، بل إنه فاتح ملك الروم ثانية، يسأله أن يسمح لجماعة من العلماء أن يشتروا من كتب الحكمة ما يجدونه في بلاد الروم، لكي يضيفها إلى خزانة كتبه، وأن ملك الروم أجاب إلى ذلك - بعد امتناع فأرسل المأمون بعثة علمية لهذا الغرض منهم الحجّاج بن مطر، وابن الطريق، وسلم صاحب بيت الحكمة، فأخذوا بما احتاروه عدداً كبيراً، وحملوها إلى بغداد، فأمرهم المأمون بنقلها إلى العربية، وهكذا اجتمع عند المأمون طائفة كبيرة من كتب الحكمة والفلسفة والمنطق والموسيقى والنجوم وغيرها.

جاء عن المأمون في الأحبار الطوائف⁽³³⁾ فإنه أحد من جميع العلوم بقسط،
وصرب فيها بسهم، وهو الذي أمتخرج كتاب إقليدس من الروم وأمر بترجمته
وتفصيله، وعقد المجالس في خلافته للمناظرة في الأديان والمقالات، وكان
أستاذه أبا اهذيل محمد بن اهذيل العلاف

وجاء في كشف الظنون عد كلامه عن المأمون وأهتمامه بعلوم الحكمة
قال وجاء المأمون - من بعد ذلك - وكانت له في العلم رغبة، فأوفد الرّسل
إلى ملك الروم، في إستخراج علوم اليونان، وإستساخها بالخط العربي، وبعث
الترجمين لذلك، فأوعى منهم وأستوعب، وعكف عليها الثّظار من أهل
الإسلام، وخدموا في قوننها، وأنتهت إلى العاية أنظارهم فيها، وخالفوا كثيراً
من آراء المعلّم الأول، واحتصوه بالرّد والقول، ودوّنوا في ذلك الدواوين⁽³⁴⁾ -
ولا تدري هل إنّ هذه البيعة التي أرسلها المأمون، هي التي ذكرها ابن السديم، أم
أنها غيرها؟ وصارت بغداد قبلة العالم الإسلامي في العلوم والمعارف أجمع
فيها علماء أعلام، خدموا التراث الإنساني أحلّ خدمة، بما ترجموه من الكتب
الغنية، وما ألّفوه من العلوم المختلفة، وما أبدوه من آراء ونظريات

ومن أشهر في الملك والرياضيات: محمد بن موسى الخوارزمي، كان
أول من ألّف في الجبر والمقابلة والحساب، وكتبه في هذا الباب هي من خيرة ما
أنتجه الفكر، وهو الذي مهد للجبر والحساب في كثير من المسائل التي لا تزال
تدرس في هذه الأيام، وكان قد جمع هذا بكتاب ألفه للخليفة المأمون بناءً على
طلبه⁽³⁵⁾

وأشتهر من الفلكيين في عهد المأمون سعد بن علي المسجم المأموني، كان حبيراً بعمل آلات الرصد، فندبه المأمون إلى إصلاح آلات الرصد الذي كان في الشَّاسِيَّة يَغْدَد، وله تصانيف في النجوم والحساب والجبر والمُقابلة⁽³⁶⁾.

ومن أشتغل مع سعد بن علي في الرصد، هو العباس بن سعيد الجوهري، وأشتغل أيضاً في رصد دمشق الذي كان المأمون قد أسسه وله مؤلفات في الفلك والمهندسة. فكان هو وسند بن علي المسجم المأموني، وخالد بن عبد الملك المرورودي، ويحيى بن أبي منصور، أول من رصد في الملة الإسلامية⁽³⁷⁾.

وأشتهر عبد الله بن سهل بن بويخت بالنجوم والفلك، وكان أحمد بن مُحَمَّد بن كثير القرخاني أحد مُتجمي المأمون وصاحب المدخل إلى هيئة الأفلاك وحركات النجوم⁽³⁸⁾.

وأشتهر غيرهم مثل مُحَمَّد بن موسى الجليس، وما شاء الله المنجم، وعمر بن القرخان الطبري، وأبو جعفر مُحَمَّد بن جعفر بن سنان الخرائني المعروف بالتثاني وهو أحد المهرة برصد الكواكب، وأحمد بن عبد الله البغدادي المعروف بجيش، كان هذا في زمن المأمون والمعتصم، وله كتاب في الزيج والإسطرلاب⁽³⁹⁾.

ومن الكتب المهمة التي تُرجمت كتاب (الأكر المتحركة) للمهندس أوطولوفس اليوناني، عُرِب في زمن المأمون، ثم أصلحه يعقوب بن إسحاق الكندي. وكتاب (أكرثاودوسيوس اليوناني) أمر بنقله إلى العربية الخليفة المستعين بالله أبو العباس أحمد بن المعتصم في خلافته، فتولَّى نقله قسطنطين لوقا البعلبكي سنة (250هـ/864م)، وأصلحه ثابت بن قرة⁽⁴⁰⁾.

فيقال أنَّ المأمور صرف على الترجمة ثلاثمائة ألف دينار، وكان بنو المنجم يرزقون جماعة من لترجمة خمسمائة دينار في الشهر، وأنفق الفتح ابن حاقان مبالغ كبيرة على الترجمة والتأليف وإقتناء الكتب، وكان مُحَمَّد بن عبد الملك الزيات لا يقل عن الفتح بن خاقان في هذا، فإنه كان يصرف على الترجمة والكتبة ما يُقارب ألفي دينار في الشهر، وترجمت له عدة كتب بإسمه منها كتاب الصوت ابدي نقله حنين وأحمد بن المديبر، كان ينسحق على النقلة والنساحين والمؤلفين من ماله الشيء لكثير، وكان أبو مُحَمَّد الحسن بن موسى ابن أخب أبي سهل بن نوبخت، وهو أحد الفلاسفة المتكلمين، ويجمع إليه جماعة من النقلة لكتب الفلسفة مثل أبي عثمان الدمشقي، وإسحاق وثابت، وغيرهم فيعملون له الكتب وينفق عليهم من ماله. ويسع شرح الإسكندر الأفروودس للسمع الطيعي ولكتاب البرهان بثلاثة آلاف دينار⁽⁴⁾

قد لا نبالغ إذا ما قلنا أنَّ تفصيل هذه الحركة العلمية المباركة وما قام به العرب والمسلمون، يحتاج إلى بحثٍ طويل وأنَّ في مؤلفات ابن نديم، والقفطي، وابن جليل، ومحمد الأنباري وابن أبي عمير، وحاجي خليفة، يطلع المرء على الجهود الكبيرة التي بذلوها في ترجمة الكتب المختلفة، وإقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها، والتأليف بها. كان هذا يزمن لم تبلغه أمة غيرها في عهده قرون، فاجتمع في حوزاتهم ثقافة الشرق والعرب بأقل من قرين فكانت بغداد مركز العلم والأدب والهن.

إنَّ العرب لم يكتفوا بترجمة الكتب ونفسيرها وتبسيطها، وإبداء آرائهم فيما نقلوه، بل إنهم أخذوا يطبقون العلم على العمل فصنعوا آلات الرصد، وأنشأوا المراصد في كثير من البلدان. أقدمها المرصدان البذان أمر المأمور بإنشائهما، كان أحدهما في الشماسية ببغداد، والثاني بسفح جبل قاسيون

بدمشق، وُجِّهَ المرصدان بآلاتٍ دقيقة، صنعها الفلكيون، ورصدوا الكواكب، ودوّنوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم، فكانت دقيقة إلى حد ما

ويذكر ابن النديم أن آلات الرصد كانت تُصنع بمدينة (حران) ثم انتشرت صاعتها في البلاد وأتسع للصُّنَّاع العمل بها في الدولة العباسية، كان هذا منذ أيام المأمون وأول من عمل الآلات هو ابن خلف المروزي، وإقتدى الناس به، ثم انتشرت هذه الصناعة⁽⁴²⁾.

وكان العباس بن سعيد الجوهري المنجم يتقن صنع آلات الرصد، فذهب المأمون للإشتغال في رصد الشمس في بغداد⁽⁴³⁾

ويحيى بن رستم أبو سهل الكرهني المنجم، كان عالماً بعلم الهيئة وصناعة آلات الرصد، متقدماً فيها إلى الغاية المتناهية، طلب إليه شرف الدولة السويهي سنة (378هـ/988م) برصد الكواكب ببغداد، فبنى بيتاً في دار المملكة، وأحكم أسسه وقواعده لئلا يضطرب بنيانه أو يجلس شيء من حيطانه، وعمل فيه آلات رصد أسخرجها ورصد الكواكب.

ومهر عدة علماء بصنع الأسطرلاب، وصنّفوا الكتب التي تبحث عن كيفية استعمالها، فكان أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب الفزاري أول من عمل أسطرلاباً في الإسلام وكذا أبو الصباح، وهم ثلاثة أخوة، فإنهم كانوا يتقنون صناعة الأسطرلاب، ولهم كتاب برهان صفة الأسطرلاب⁽⁴⁴⁾.

ومهم أحمد بن محمد الصاعاني أبو حامد الأسطرلابي (المؤلف سنة 379هـ/989م) وكان يُحكم صناعة الأسطرلاب غاية الإحكام، وصارت آلاته التي يصنعها هي المعول عليها في أيدي الناس، وتعلّم عن يديه عدة

بلامية، كانوا يُسبون إليه ويمحرون بذلك، ورد الصاعاني أشياء في آلات الرصد القديمة، وأشتغل بالرصد الذي بناه عميد الدولة البويهية⁽⁴⁶⁾

وقام العرب بعدة تجارب في المساحة التطبيقية، وقاموا دائرة نصف النهار، وكان هذا بأمر الخليفة المأمون، وعُيِّن لهذا العمل لجنّتين إحداهما اشتملت بصحراء (سجاء)، والثانية بصحراء (تدمر) وكانت النتيجة عندهما واحدة، ويكفي العرب فخراً أن النتيجة التي توصلوا إليها كانت قريبة لما تعلمه من طولها، ويمكن أن نعتبرها بأنها أدق نتيجة توصل إليها العلماء قبل العصر الحاضر

كان هذا بفضل الخليفة المأمون الذي قام فلكيوه لأول مرة في التاريخ بعملية علمية، قاسوا دائرة نصف النهار، وحققوا بواسطة محيط الكرة الأرضية وقطرها، وكانوا موفقين في عملهم، فكانوا أعظم الفلكيين في عصرهم. ومن أسانيد العالم بعلمهم الدقيق، ونتيجتهم التي توصلوا إليها⁽⁴⁶⁾

وقام الجغرافيون منهم بعمل مصورات جغرافية كانت في غاية الدقة والإنقان، ذكر الأستاذ جميل نخلة الدور نقلاً عن المسعودي أن لأحمد الهاوندي كتاباً صور فيه الدنيا كلها للرشد، وبحورها وجبالها وأوديتها وأقاليمها وبلدانها ومناظر أماكنها⁽⁴⁷⁾

وعمل قرّة بن قميطا الحرّاسي، صفة الأرض، وأتاحتها ثابت بن قرّة الحرّاسي ويذكر ابن النديم أنه رأى هذه الصورة في ثياب ديقسي خام بأصباغ وقد شُعب الأصباغ⁽⁴⁸⁾

وذكر المسعودي مصوراً كان قد صنّع للمأمون، فقال عند كلامه عن الأقاليم ورأيت هذه الأقاليم مصورة في غير كتاب بأنواع الأصباغ. وأحسن

ما رأيت من ذلك، في كتاب جغرافيا مارينوس، ونفسير جغرافيا قطع الأرض، وفي الصورة المأمونية التي عملت للمأمون، أجمع على صنعها عدة من حكماء أهل عصره، وصور فيها العالم بأفلاكه ونجومه، وبره وبحره، وعامره وغامره، ومساكن الأمم والمدن، وغير ذلك وهي أحسن مما تقدمها، من جغرافيا بطليموس وجغرافيا مارينوس وغيرها⁽⁴⁹⁾.

وذكر الزهري في مقدمة كتابه عنها أنها بعد حمد الله تعالى، فبأي نسخة هذه الجغرافيا من نسخة نسخت من جغرافيا لفزاربي، التي نسخت من جغرافيا أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، التي أجمع عليها وعلى عملها سبعون رجلاً من فلاسفة العراق، فوضعها على صفة الأرض وإن كانت على غير الحقيقة من ذلك - لأن الأرض كروية، والجغرافيا بسطة، لكنهم بسطوها كما بسطوا الأسطرلاب، وكما بسطوا هينات الكسوف في دواوينهم، ليعلم الناظر فيها جميع أجزائها وأصقاعها، وحدودها وأقاليمها وبحارها وأنهارها وجبالها، ومعمورها وقراها، وحيث تقع كل مدينة من مدائنها في شرقها وغربها، ويُنظر الناظر مكن أعاجيبها وما في كل جزء من الأعاجيب المشهورة، والمناهي الموصوفة بالقدم في أقطارها⁽⁵⁰⁾.

وكان أبو الحسن عبد الرحمن بن عمر الصوفي خدام عاصد الدولة البويهية من أكابر المتجيمين، وألف كتاب الكواكب مصوراً.

وكان أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف العربي (المتوفى سنة 260هـ/873م) في طليعة العلماء وأحد أنطاب هذه الحركة العلمية المباركة، ويُعد في الرعي لأول بين العلماء الذين تناولوا مختلف العلوم، وشئى المواضيع: في الكيمياء والطب والموسيقى والفلك والمنطق والرياضة

والطبيعات والإلهيات، فكان فاصل دهره، وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة، ونقل الكثير من اليونانية والفارسية والهندية والسريانية، وكان له يدٌ طويلة في توجيه الثقافة، وتدليل عوبصها في لقرن لثالث للهجرة (التاسع للميلاد)

ويمتاز الكندي بإطلاعه الواسع على اللغات التي ترجم عنها وتمكّه من إيداء المعنى بدقة وإمعان، حتى كان أحد أعلام الترجمة في الإسلام، كما قال عنه أبو معشر خذّاق الترجمة، في الإسلام أربعة: حنين بن إسحاق، ويعقوب بن إسحاق الكندي، وثابت بن قرة الحراني، وعمر بن الفرخان الطبري وأنحف المكتبة العربية بكتب عديدة بين مترجم ومنفّح ومهذّب ومؤلف نهر من علماء العرب والمسلمين، الذين مهّدوا لطرق العلم، وحلّوا ما أشكل منه وقد وصفه ابن جلجل بقوله إنه ترجم من كتب الفلسفة الكثير، وأرصح منها المشكل، ولخص المستعصب، وبسط العريض وهكذا كان الكندي من مفكري العرب، الذين يسّروا العلوم لن أتى بعدهم⁽⁵¹⁾

وأشتهر عدد من الأطباء بترجمة كتب الطب، وخدموا المكتبة العربية أجلّ خدمة بما ترجموه وألّفوه من الكتب الطبية منهم: يوحنا بن ماسويه، وآل بختيشوع، وعيسى بن الحكم، وزكريا الطيموري، وحبيش بن الحسن الأعسم، وصالح بن بهلة اهندي، وجبرائيل الكحال، والحجاج بن يوسف بن مطر، ويعقوب بن إسحاق الكندي، وغيرهم كثير.

ومما يجدر ذكره، أنّ المأمون كان يحرص على الاحتفاظ بكل أثر نفيس يعثر عليه، فيستدعي العلماء لفحصه وترجمته ودراسته، ومن ذلك كان المأمون في مصر، وعثر في مدينة أخميم على رسالة السر في الكيمياء لهرمس (كانت

نحت لوح مرمر في قيد قبة ((في قبة فيها)) امرأه ميتة نائمة الخلق، صفاتها ممدودة إلى رجليها، وعليها سبع حُلل مذهب، ولها كله رر واحد - أي قميص من ذهب - وحوها أسرة صغار، عليها أموت في هيئة الصبيان. وهذه الرسالة نحت رأسها، في لوح من ذهب، شبه بالكشف العظيمة بسواد بخط غريب، ولما علم بها الخليفة المأمون، استدعى العلماء لقراءتها وترجمتها، فقرأها رجل من حمير، كان عالماً بالمسايد. وفُسرَت له مع المزامير التي فسرت⁽⁵²⁾

وخلاصة القول: أن العرب ترجعوا إلى لغتهم أكثر كتب العلوم التي سمعوا بالحصون عليها، من طب وبلسة ونجوم ورياضيات ومطق وقلك وفلاحه وصاعات وتاريخ وأدب ومثل. وغيرها⁽⁵³⁾ فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها من علوم وفنون وآداب وصناعات.

كان الترجمة من ملل ونحل مختلفة فيهم المسلمون، وفيهم النصارى من السريان واليعاقبة، وفيهم الصابئة، وفيهم الأقباط والبراهمة والمجوس واليهود وغيرهم.

وكان الخلفاء ومحمو العلم يُقبلون عليهم، ويُجزلون لهم العطاء، ويرعونهم بشئ الطرق لكي يستفيدوا منهم في الترجمة، وشرح الكتب العلمية التي يترجمونها، ووضع الإصطلاحات لها، ولم يكن اهتمام الخلفاء مقصوراً على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط، بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقه والكلام وأيام العرب وأخبارها، فكانوا يعقدون المجالس العلمية ويُشاركون فيما يدور بها من العلوم والآداب والمعارف وخاصة الخليفة المأمون عالم بني العباس وحكيمها فإنه كان يُشارك في علوم كثيرة، وله مجالس علمية يعقدها في قصره يشارك فيها أجل العلماء، وبحضرها

الخليفة، ويُشارك فيما يدور بها من مباحث مختلفة، يجلس مع الخالسين كأحدهم بغير تمييز أو عنابة، فيتكلم العلماء بكل حرية وصراحة فيما يدور لهم. روى طيغور عن يحيى بن أكرم قال: لما دخل المأمون بغداد، وقرأ بها قراره، أمر أن يدخل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته، وكان يقعد في صدر نهاره على لسود في الشتاء، وعلى حصير في الصيف، ليس معها شيء من سائر الفرش، وكان يجلس الفقهاء الذين أختارهم يحيى من أكرم للمناظرة في حضرة المأمون يُعقد كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع⁽⁵⁶⁾

الباب الأول

بيوت الحكمة

بيت الحكمة في بغداد

بيت الحكمة الذي أسسه العباسيون ببغداد، هو أول بيت حكمة عُرف عند المسلمين، كما كان أعظمها شأنًا، لما يحتويه من الكتب النفيسة في شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات والنصوص التي وقفنا عليها - عن هذه المؤسسة الثاقبة - لا تُأير البحث، بل نجدُها مفرقة في بعض المصادر، ذكرت عرصاً، ومن الصعب أن نقف على أخبارها بصورة متسلسلة.

ولذي نراه أن أول أمره كان في خلافة أبي جعفر المنصور (136/ 158هـ/ 752 - 774م) فقد مرُّبنا أنه تُرجمت له كتب في الطب والنجوم والهندسة والآداب. كما ألُفت له بعض الكتب في الحديث والتاريخ والآداب فجمع المنصور هذه الكتب في خزانة كانت السواة لـ(بيت الحكمة). وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب، وأوصى بها إلى ابنه وولي عهده محمد المهدي (55). وكان المهدي قليل العناية بكتب الحكمة، خاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد، فأنه شدد عليهم، وقصى أكثر حلفائه في تقصّي أخبارهم، والمصاء على ذمّة هذه الحركة الهدامة، وتكل بهم سرّاً تنكيل، فضعفت حركة الترجمة على عهده، وتجب العلماء ترجمة كتب الحكمة والفلسفة والنجوم، والكتب التي تبحث في الملل والبلل والأهواء والمعتقدات، فلم تتوسع خزانة الحكمة في عهده.

ولما جاء الخليفة هارون الرشيد (170 - 193هـ/ 786 - 808م) وكان كثير الإهتمام بعلوم الحكمة، وترجمة كتبها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، فأضاف إلى خزانة جدّه المنصور، ما اجتمع عنده من الكتب المترجمة والمؤلفة، فترسعت الخزانة وصارت علّة خزانات أقسام لكل منها من

يقوم بالإشراف عليها، ولها راجحة يتولون ترجمة الكتب المختلفة إلى العربية، ونساختون يشتغلون بنسخ الكتب التي تُترجم، والتي تؤلف للخزانة، ولها مجلدون يُجلّدون الكتب، ويعنون برحرفتها وتزويقها. وهكذا صار في بيت الحكمة دوائر علمية متنوعة، لكلٍ منها علماءها وتراجتها، ومُشرفون يتولون أمورها المختلفة.

كان يوحنا بن ماسويه (المتوفي سنة 243هـ/ 857م) يتولّى الكتب التي أمر الرشيد بنقلها من عمورية وأنقرة، عندما غزا بلاد الروم، وجعله الرشيد أميناً على الترجمة - وأكثرها كانت من كتب الطب - وعيّن له الرشيد كاتباً حذاقاً يعملون بين يديه، ويُساعدونه في عمله. وخدم بعده الأمين والمأمون وبقي إلى أيام المتوكل⁽⁵⁸⁾.

قال القفطي 'كان يوحنا من أحلّ علماء عصره، متضلّعاً في الترجمة، عالماً بالعلوم التي يقوم بترجمتها، كما كان يعقد مجلساً للظُر، ويعمّر ذلك المجلس بعلم هذا الشأن أتمّ عمارة، ومحري فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة، واجتمع إليه أهل العلوم والأدب، وكان يجتمع إليه تلاميذ كثيرون'⁽⁵⁹⁾

فوجد مما تقدم أنّ يوحنا كان على جانب من العلوم المختلفة، وكان يُحاضر بهذه العلوم، ويجتمع إليه تلاميذ كثيرون، يأخذون عنه ويدرس عليه بعضهم ما يرغب به من العلوم.

ومن كان يشتغل في بيت الحكمة للرشيد، فيترجم من الفارسية إلى العربية، أبو سهل لفضل بن نوبخت الفارسي، وهو من أئمة المتكلمين، كان متضلّعاً باللغتين الفارسية والعربية ومعوله في علمه على كتب الفرس، وله

عده مؤلفات معلوم مختلفة. عهد إليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية إلى العربية⁽⁵⁸⁾

وكان علان الرأق الشعبي ينسخ في بيت الحكمة للرشيد، ومن بعده للمأمون⁽⁵⁹⁾.

ولما تولي الخلافة عبد الله المأمون (198 218 هـ/ 813 833 م) وكان شغوفاً معلوم الحكمة، وجهه همة إلى توسيع دوائرها المختلفة، فأرسل في طلب كتبها من مختلف الأقطار، واجتمع لديه عدد كبير منها، واختار لها المترجمين من اللغات المختلفة اليونانية والسريانية والفارسية والعبرية والقبطية والهندية والحيشية، فتوضع بيت الحكمة وازداد عدد كتبه بما يُضاف إليه من الكتب المختلفة، التي يأتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية، وجزيرة قبرص، وما كان يجمعه السريان من كنائسهم وأديرتهم، في الشام وبلاد الجزيرة، وعهد بأمر هذه الكتب إلى أجل العلماء وأصحهم.

فكان سهل بن هارون بن راموي الدسمياني - وهو من البلقاء الفصحاء الحكماء - فارسي الأصل، شعوبي المذهب، شديد العصبية على العرب، ومن المختصين بخدمة الخليفة المأمون، فجعله أميناً على كتب الحكمة التي أرسلت إليه من جزيرة قبرص، وصنف للمأمون كتاب (ثمة وعفرا) يُعارض به كتاب كليله ودمنة، في أنواره وأمثاله، ويريد عليه في نظمه⁽⁶⁰⁾

وكان سعيد بن هارون شريكاً لسهل في بيت الحكمة، ويقوم بترجمة الفلسفة، وهو من البلقاء الفصحاء، المترسلين، الذين يعول عليهم في مثل هذا العمل الخطير⁽⁶¹⁾.

وكان سَلم أَمِيناً على الكتب التي نُقلت إلى المأمون من القسطنطينية، أرسله لإختيار الكتب والإشراف على نقلها إلى بغداد، ثم صار ينقل مع سهل بن هارون من المارسية إلى العربية⁽⁶²⁾، وكان يوحنا بن الطريق لترجمان - مولى المأمون - أميناً على ترجمة الكتب لفلسفة من اليونانية إلى العربية، فتولَّى ترجمة كتب أرسطاطاليس وأبفراط في الفلسفة وغيرها⁽⁶³⁾

وكان أبو جعفر مُحَمَّد بن موسى الخوارزمي، منقطعاً إلى خزانة الحكمة للمأمون، وهو من أصحاب علم الهيئة وصاحب الزيج المعروف بـ(السند هند)، وله مؤلفات في الجبر والمقابلة، وكتاب العمل بالإسطرلاب، ومن مؤلفاته كتاب (الجبر والمقابلة)، وكتاب العمل بالإسطرلاب، وهو أحد العلماء الرياضيين الذين خدموا ست الحكمة، بما ألفوه من الكتب المختلفة في الرياضيات والهيئة⁽⁶⁴⁾. عُدَّ الخوارزمي أعلم جغرافي فلكي عربي في عصره حتى أطلق عليه (سارتون) في مقدمته لتاريخ العلم أسم عصر الخوارزمي وهو النصف الأول من القرن التاسع الميلادي، وقال إنه أكبر رياضي عصره وواحداً من أكبر رياضي جميع العصور على الإطلاق إذا ما أخذنا في حسابنا اختلاف الظروف⁽⁶⁵⁾. وعلى الرغم من اشتهار الخوارزمي في الرياضيات إلا أن مؤلفاته في العلوم الأخرى لا تقل أهمية عن مؤلفاته الرياضية، ومنها الجغرافية إذ يُعد كتابه (صورة الأرض) الذي أشار إليه كلُّ من (نلينو) و (ماربولاند) بأنه لا يوجد شعب أوربي واحد يستطيع أن يهجر مُصنَّف يمكن مقارنته بهذا الكتاب الذي يُعد أقدم أثر في الجغرافية العربية⁽⁶⁶⁾. وقد أكد الدكتور صالح الهيبي مطلقاً الرأي القائل بأنه ترجمة أولية لكتاب بطليموس (الجغرافيا) لأنَّ عالمنا الجليل كان ضليعاً بالمعرفة الجغرافية عن طريق لملك وتعرَّف على الثقافة المارسية والهندية والسريانية ثم الإغريقية، كما كان مولعاً بالملك

والرياضيات⁽⁶⁷⁾. فكتاب (صورة الأرض) الذي أطلق عليه أبو الفداء اسم (كتاب الربع المعمور) ألّفه الخوارزمي نزولاً عند رغبة المأمون، في إعداد صور للسموات والعالم وقد شاركه في ذلك علماء آخرون في إعداد صور أيضاً، ويُعد هذا الكتاب شرحاً لخريطة رسمها الخوارزمي وفقدت، إلا أنها أقدم أثر في الجغرافية العربية اتسمت بالأصالة والابتكار⁽⁶⁸⁾

هناك أمور عديدة أجاد بها الخوارزمي وكان السبّاق فيها، فسجل فيها إبداعاته وأصاليته، ومن تلك الأمور في مجال علم الخرائط التي تفرّد بها، واستخدامه المسقط الأسطواناني ذا الإحداثيات المتعامدة والمتقاطعة بزوايا عمودية قائمة، ويُعتقد أنّ الخارطة المأمونية رُسمت على أساميه. وتكون خطوط الطول والعرض مستقيمة ومتوازية جمعها بعكس المسقط الذي اتّبعه بطليموس (المسقط المخروطي) وبما أنّ الخوارزمي قد سبق (أنا الكاربو كرافيا) العالم الهولندي مريكتور بسبعة قرون فمن الحائز أن يكون الأخير قد أطلع على التراث الجغرافي العربي وأخذ عنه وطوره وهناك جانب آخر من جوانب الأمانة عن الخوارزمي في مجال رسم الخرائط أنه اعتمد خط الطول الذي يمر بالساحل الأفريقي وهو خط الصفر، ويقع شرق خط الصفر الذي اعتمده بطليموس والذي يمر بجزر السعادات أو الخالدات (جزر كناري) وتوضح دقة الخوارزمي ما احتضاره لطول البحر المتوسط، فبينما قدره بطليموس الذي سكن على سواحله في الإسكندرية بـ (62) درجة طولية، صحّحه الخوارزمي إلى (52) درجة طولية، ثم جاء اليرغالي الأندلسي الذي اتّبع نهج الخوارزمي في عمل جداوله ليختصره إلى (42) درجة⁽⁶⁹⁾

وكان بنو موسى بن شاكر، من أنشط العناصر التي كانت في بيت الحكمة وهم ثلاثة أخواه: مُحَمَّد وأحمد والحسن، وعُرف أبناءهم - فيما بعد - ببني موسى المُتَجَم. كان أبوهم قد خدم المأمون، فتوفي وهم صغار، فأوصى المأمون بهم إسحاق بن إبراهيم المصيصي، أن يشتهم مع يحيى بن أبي منصور المُجَم، في بيت الحكمة، فلارموا التعلّم بها، فشتوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والملك، والحيل والحركات والعسفة، ولما علا شأنهم أثبتوا في بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين، فكانوا يتولّون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى، وأشهر أكبرهم أبو جعفر مُحَمَّد بن موسى (المتوفى سنة 259هـ/872م) فكان يُشرف على ما يُترجم من كتب الخبر والمقالة لبيت الحكمة، وله كتاب يعملون بين يديه، وتراجمه يترجمون الكتب التي يختارها، ومن كان يساعده في عمله هذا يحيى بن أبي منصور الموصلي المُتَجَم، وكان أحد حزنة بيت الحكمة وأحد الرُصّاد.

وكان أحمد بن موسى بن شاكر، متوقفاً في صناعة الحيل، لا يُدانيه أحد في ذلك، واشتهر بكتابه الذي ألّفه في الحيل، ويقسمه الدائرة إلى ثلاثة أقسام متساوية⁽⁷⁰⁾

وكان عمر بن امرخان المصري، أحد رؤساء الترجمة والمحققين بعلم حركات النجوم وأحكامها، استدعاه الفضل بن سهل - وزير المأمون - ووصله بالخليفة المأمون، مترجم له كتباً كثيرة وألف كتباً كثيرة في النجوم وغيرها من فنون الفلسفة⁽⁷¹⁾.

وكان حنين بن إسحاق فصيحاً في اللسان اليوناني، واللسان العربي وهو أحد تلامذة الخليل بن أحمد القراميدي، وعلى جانب من العلم، اشتغل في

بيت الحكمة فترجم هو ومن كان يعمل بين يديه كتباً عديدة كانت على غاية الأهمية العلمية في الطب والفلسفة والمنطق، وكانت دائرته التي يرأسها في بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة أنباء موسى - الدين تقدم ذكرهم - ⁽⁷²⁾ بما أضافوه إليه من الكتب كان هذا في زمن الخليفة المتوكل لعتاسي (232 - 247هـ) وكان إسحاق بن حنين (المتوفى سنة 298هـ، 910م) ممن يشتغل بترجمة كتب الطب والفلسفة للمأمون، ومن أجل أعماله أنه نقل كتاب أرشميدس إلى العربية، وهو النقل الذي سُمي بالمأموني، وأصلح النقل ثابِت بن قُرّة الحرّاني، فكان من أصحّ لقول ⁽⁷³⁾

ونقل حبيب بن بهير - مطران الموصل - للمأمون عدّة كتب إلى العرس، كما ألّف له - أو نقل عن اليونانية - كتاباً في أخبار ملوك اليونان ⁽⁷⁴⁾.

فاجتمع في بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء والأطباء والملكيين وأصحاب الصاعات والحيل، وترجموا مختلف الكتب التي تبحث في شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم على عهد المأمون.

وكان في بيت الحكمة ما ألّفه لعلماء والأدباء في اللغة والتاريخ والفقه وعلم الكلام والبلل والنحل، وبعض هذه الكتب ألّفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكي توضع في بيت الحكمة

قال الأصمعي: كان هارون الرشيد الإمام إذا نشط يُرسل إليّ، فكانت أحدثه بحديث الأمم اسالفة، والقرون الماضية، فيبدا أنا أحدثه ذاب لُبلة، فقال: يا أصمعي أين الملوك وأبناء الملوك؟ قلت: يا أمير المؤمنين مصوا لسيولهم، فرجع يديه إلى السماء ثم قال: يا مُفني الملوك أرحمني يوم تُلحقني بهم،

ثم دعا صالحاً صاحب مُصْلَاح، فقال: أُنْطَلِقُ إِلَى صَاحِبِ بَيْتِ الْحِكْمَةِ، فَمُرْهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْكَ سِيرَ الْمُلُوكِ وَاتَّبِعِي بِهِ فَأَخْرِجْ إِلَيْهِ الْكِتَابَ، قَالَ فَأَمَرَنِي أَنْ أَفْرَأَهُ عَلَيْهِ، فَقَرَأْتُ مِنْهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ سِتَّةَ أَجْزَاءٍ وَ.... ثُمَّ أَوْصَاهُ الْخَلِيفَةُ بِالذَّهَابِ إِلَى أَبِي الْحَثَرِيِّ، لِلإِسْتَعَانَةِ بِهِ فِي كِتَابَةِ مَا كَانَ بَيْنَ آدَمَ وَسَامِ بْنِ نُوحٍ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا مَدُوناً فِي سِيرِ الْمُلُوكِ، الَّذِي يَبْدَأُ بِسَمِ بْنِ نُوحٍ، فَذَهَبَ إِلَيْهِ وَأَحْبَرَهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَخَذَ كِتَابَ الْمُسْتَدَأِ وَنَسَخَهُ مِنْهُ هَذِهِ الْجُزْءَ، وَنَسْتَأْهُ وَجَعَلَهُ فِي عَشْرَةِ أَوْرَاقٍ، فَذُتْ عَلَى سِيرِ الْمُلُوكِ⁽⁷⁵⁾

فَرَى عَمَّا تَقْدِمُ: أَنَّ الْأَصْمَعِي كَانَ يُؤَلِّفُ فِي التَّارِيخِ، وَأَنَّهُ أَكْمَلَ كِتَاباً كَانَ فِي بَيْتِ الْحِكْمَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ بِأَمْرِ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَمِنْ الْكُتُبِ الَّتِي أَسْتَعَانَ بِهَا الْأَصْمَعِيُّ فِي إِكْمَالِ كِتَابِ سِيرِ الْمُلُوكِ، هُوَ كِتَابُ (الْمُسْتَدَأِ) الَّذِي كَانَ فِي حِزْمَةِ بَيْتِ الْحِكْمَةِ، وَهُوَ عَمَّا عَمِلَ فِي الْأَصْلِ لِلْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، أَلْفَهُ: الشَّعْبِيُّ، وَابْنُ الْقُرَيْبِ

وَجَاءَ أَيْضاً: أَنَّ الْمَأْمُونُ أَمَرَ الْقُرَّاءَ أَنْ يُؤَلِّفُوا مَا يَجْمَعُ بِهِ أَصُولُ النَّحْوِ، وَمَا سَمِعَ مِنَ الْعَرَبِ، فَأَمَرَ أَنْ تُفْرَدَ لَهُ خُجْرَةٌ مِنْ خُجَرِ الدَّارِ، وَتُكَلَّ بِهَا جَوَارِي وَخُدَمَاءٌ لِلْقِيَامِ بِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، حَتَّى لَا يَتَعَلَّقَ قَلْبُهُ، وَلَا تَتَشَوَّقَ نَفْسُهُ إِلَى شَيْءٍ وَصِيْرَ لَهُ الْوَرَّاقِينَ، وَالرَّمَمَةَ الْأَسْمَاءَ وَالْمُسَقِّينَ، فَكَانَ الْوَرَّاقُونَ يَكْتُبُونَ، حَتَّى صُنِّفَ الْخُدُودُ، وَأَمَرَ الْمَأْمُونُ بِكُتُبِهِ فِي الْخَزَائِنِ، فَبَعْدَ أَنْ فَرَّغَ مِنْ ذَلِكَ خَرَجَ إِلَى الْبَاسِ⁽⁷⁶⁾.

وَذَكَرَ ابْنُ النَّدِيمِ عِنْدَ كَلَامِهِ عَنْ أَسْمَاءِ كُتُبِ الشَّرَائِعِ الْمُنْتَزِلَةِ عَلَى ذَهَبِ الْمُسْلِمِينَ، وَمَذْهَبِ أَهْلِهَا قَرَأَتْ فِي كِتَابٍ وَقَعَ لِي قَدِيمَ النُّسخِ، بِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ مِنْ خِزَانَةِ الْمَأْمُونِ، ذَكَرَ نَاقِلُهُ فِيهِ أَسْمَاءَ الصُّحُفِ وَعَدَدَهَا، وَالْكَتُبَ الْمُنْتَزِلَةَ

ومبلعها، وأكثر الحشوية والعرام يُصدّقون به، ويعتقدونه، فذكرت منه ما علّق
بكتابي هذا⁽⁷⁷⁾.

فكان بيت الحكمة يحوي كل نادر وغريب، يقصده المؤلفون ويجدون فيه
خير معين لما يرغبون به من العلوم المختمة.

وأن حمزة الأصمهاني (المتوفى حوالي سنة 350هـ/961م) عندما وصع
كتابه (سني ملوك القرم) استعان بشماني نسخ مترجمة إلى العربية من كتاب
(تاريخ ملوك القرم) كانت إحدى هذه النسخ في خزانة المأمون⁽⁷⁸⁾.

ومن لازم بيت الحكمة ونقل عن كتب خزائنه هو ابن النديم (المتوفى
بعد سنة 390هـ/990م) صاحب الفهرست، فأطلع على ما فيه من كتب
نادرة ومصررات جغرافية، وخطوط لمختلف الأمم، ورقوق قديمة، ولغات
منوعة. فكان ما في بيت الحكمة من كتب وغيرها، من المصادر التي عوّل عليها
في تأليفه الثمين. وآخر ذكر لدار الحكمة نسمعه من ابن النديم

نقل ابن النديم من بيت الحكمة نماذج من خطوط الأمم التي تكلم عنها
مذكر عبد كلامه عن القلم الحميري ورأيت أنا جزءاً من خزانة المأمون ترجمته
ما أمر أمير المؤمنين عبد الله المأمون - أكرمه الله - من التراجع وكان في جلته
القلم الحميري، فأثبت مثاله على ما كان في النسخة⁽⁷⁹⁾

وقال عند كلامه عن الخط الحشبي، أمّا الحشبة: فلهم قلم حروفه متصلة
بحروف الحميري يبتدئ من الشمال إلى اليمين، يفرقون بين كل أسم منها
بثلاث نقط، ينقطونها كالمثلث، بين حروف الإسمين. وهذا مثال الحروف
وكتابتها من خزانة المأمون⁽⁸⁰⁾

ودكر أيضاً. وكان في حراسة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم، فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم، من أهل مكة، على فلان بن فلان الحميري، من أهل وزل (صنعاء) عليه ألف درهم بضعة كيلاً بالحديدة، ومتى دعاه بها أجاهه، شهد الله والملائكة⁽⁶¹⁾

هذا هو بيت الحكمة الذي أسسه العباسيون، لتسهيل مُلّ الدرس والمطالعة ولتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك فقد كان يتعثر على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة، والتي تُرجمت من اللغات المختلفة إلى اللغة العربية، وصُرف في سبيل الحصول عليها، وعلى ترجمتها وتفتيحها المبالغ الكبيرة، فذلل الخلفاء للناس مُلّ المطالعة والدرس في بيت الحكمة، الذي أنشئ لشر العلوم والمعارف المنقولة عن الأمم الأخرى، والتي رغب الخلفاء بتيسيرها للناس، ليقفوا على حقائق الأمور، وبراك الأمم التي تقدمتهم في شتى التواحي لفكرية والعلمية ففتحوا أبواب الدار لكل قاصد، وشوّقوا الناس إلى اتعلم والإقبال عليه، ويسرّوا لهم المطالعة والدرس والاستساح كما كان الناس يحرصون المناظرات العلمية التي تجري بين العلماء في هذه الدار، في مختلف العلوم والفنون وإبداء لأراء وغير ذلك

كانت الحرية النائمة نسود بيت الحكمة، فلا تجد فيه أثراً للتعصب الذميمة، بل تجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة، ويتكلم أهل الليل والنهار بما يبدو لهم وما يمتقدونه، ويرون أقرب إلى العقل والمنطق

وما يؤيد لنا هذا: أنه كان بين الذين تولّوا أمر بيت الحكمة، وأشرفوا على حركة الترجمة فيه، هم من اسريان واليهود والمجوس وغيرهم، ولهم منزلة

رفيعة عدد الخلفاء، يُعمل برأيهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين، ويرجعون إلى أقوالهم وآرائهم.

كما كانوا يؤدون شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية، ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة، ويتناظرون المسلمون في الأمور الدينية، ولربما كان هذا أمام الخليفة نفسه.

كان ثودورس أبوقرة (المتوفى سنة 820م) تلميذ يوحنا الدمشقي، وأسقف حرّان، يجادل علماء المسلمين في الأمور الدينية بحضور الخليفة المأمون⁽⁸²⁾.

وكان بعض أصحاب بيت الحكمة من الشعوبيين المغالين في بغض العرب، وتفضيل غيرهم من الأعاجم عليهم، فكان علان الوراق من متولي بيت الحكمة ذكر عنه ياقوت. أصله من العرس وكان علامة بالأنساب، والمثالب والمنفرات، منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة، وعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، ابتدأ ببني هاشم قبيلة قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن⁽⁸³⁾.

وكان سهل بن هارون مختص بخدمة المأمون، وصاحب خزانة الحكمة له، شعوبياً يتعصب للعجم على العرب، شديداً في ذلك، وله في ذلك كتب كثيرة⁽⁸⁴⁾ ولم ينكر عليه بل إنه قوبل بالرد المؤيد بالنصوص والمنطق والعقل، وكان غيرهم كثير.

هذا التسامح كان يسود بيت الحكمة الذي أسسه الخلفاء أنفسهم، حباً بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافة الطبقات كما صارت الكتب التي تبحث

في شئى النواحي الفكرية متيسره في دكاكين الوراقين، بعاصمة الرشيد والمأمون
في الوقت الذي كانت أوروبا تتخبط في دبابير انظلام

كتب عبد الله بن إسماعيل الهشمي رسالة إلى عبد المسيح بن إسحاق
الكتندي، يدعوها بها إلى الإسلام، فأجابه عبد المسيح برسالة يرد بها عليه،
ويدعوه إلى النصرانية فلم ينكر عليه هذا⁽⁸⁵⁾

وعرض الخليفة المهدي على طيمثاوس الكسير الجاثليق عشرين سؤالاً
عن النصرانية، فأجابه عليها بكل صراحة⁽⁸⁶⁾.

وكان الحارث بن قيس المراري شيخاً أعمى، وكان له ابن شيعي، وأبنة
حرورية، وامرأة ترى رأي المعتزلة، وكانوا حلوساً معه، فقال أن الله جلّ وعز
يحشرني وإياكم يوم القيامة - طرائق قدداً⁽⁸⁷⁾.

وأخيراً فحين نستطيع أن نستشف بكل وضوح وجللاء من حقائق، أنه
وفي حدود منتصف القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أصبح تحت يد
العرب مختلف علوم اليونان والفرس، ولم يمض قرن حتى كان لعرب قد
استوعبوا هذه المعارف والعلوم استيعاباً تاماً وعمدوا في الوقت نفسه إلى
تصحيح الكثير من الأخطاء التي جاءت في هذه الكتب، فضلاً عن العلوم
الجديدة التي أضافوها إلى هذه العلوم مثل الكيمياء والجبر في صورته الجديدة

والحدير بالذكر أن من النتائج العلمية الأخرى التي أدت إليها الترجمة في
بيت الحكمة أن كان هناك تعاون علمي بين المترجمين والمؤلفين ومن تراط بين
أجزاء العلم الواحد لما يوفره هذا الاختصاص من إمكانيات التحقيق ولتدقيق
واسمعداد المعرفة من أصولها وجللاء الأدلة والحقائق التي بُنى عليها لأحكام.

وفي وسعنا القول أنَّ الفكر العلمي الذي أُردهر في بيت الحكمة ببغداد تطور بكونه تجريبيّاً قائماً على أساس المشاهدات والملاحظات إذ وجّه العلماء العرب جلَّ اهتماماتهم الفكرية والعلمية إلى دراسة مختلف العلوم من طب وكيمياء وفلك وغيرها من العلوم، والعمل على تحييدها بما توصلوا إليه من تجربة ونظريّة. وكان التطبيق وامتحن الحقائق عملياً هو طريق العلماء العرب في البحث.

وفي هذا الصدد يقول لوبيون: «ومنح اعتماد التجربة مؤلفاتهم دقّة وإبداعاً لا يتظر مثلهما من رجل تعود درس الحوادث في الكتب ونشأ عن منهاج العرب التجريبي وصوغهم إلى اكتشافات مهمة وإذا ما تمحصنا في أعمال العرب العليمة أنهم أجزوا في ثلاثة أو أربعة قرون من الاكتشافات ما يريد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيراً».

إضافة إلى هذا كله فإنَّ من النتائج العلمية لبارزة الأخرى هو ظهور الأمانة العلمية في كثير من المؤلفات العربية، وكان المؤلفون العرب يذكرون في كثير من الأحيان الكتب التي اقتبسوا منها كما كانوا يذكرون العلماء الذين اقتبسوا منهم. وهذا يدل على عمق النزعة العلمية عند العلماء العرب. وقد أصبح ذكر المراجع في مصنفاتهم العلمية من الأصول المألوفة⁽⁸⁸⁾.

وهنا نجد أنَّ أثر بيت الحكمة لم يقتصر على الترجمة والنقل من علوم الأسبقين، كما أنه لم يحصر في نطاق الإضافات البسيطة ولتطوير الشكلي، بل تعدّاه إلى مجالات الإبداع والأصالة والتجديد فقد أوجدوا مصطلحات علمية عن طريق التعريب ولاشتقاق وتخصيص الألفاظ العربية لتلك

المصطلحات⁽⁸⁹⁾. وبذلك كانت لهم ارياده في التعريب وفي جعل اللغة العربية لغة العلم لقرون عديدة

ومن المزايا التي انصف بها العلماء العرب في البحث العلمي أنهم جعلوا السيادة للعقل لمُفَكِّر في كل أمورهم فقد ظهر إلى جانب العلوم الدينية التي عُرِفَتْ بِـ(العلوم العقلية) من طب ورياضيات وفلسفة وقد عُرِفَتْ بِـ(العلوم العقلية) تمييزاً لها عن (العلوم القليلة) فقد جعلوا لها أقيسةً منطقية وقواعد خاصة تستند إلى العقل والدراية أكثر من إستنادها إلى النقل والرواية وكان تطبيق الحقائق وتجربتها ومتحابها عملياً هو طريق علماء العرب المسلمين في البحث والتقصي، وهكذا أصبح للعلوم العقلية منهج في البحث ولتأليف يعتمد على التحلس والتقد والتحررة العملة والتدقيق المطقي هو الذي يحكم على الأشياء إن كانت حصاً أو صواباً. فلولا هذا الأسلوب في التحقيق والاختبار والاستنتاج والاستقراء والتعليل الذي عُرِفَ بالأسلوب العلمي لما انكشف حق أو حدثت معرفة أو تكرر علم

لقد تم تطبيق هذا الانجاز العلمي من قبل العلماء المسلمين في العصر العباسي في بيت الحكمة محصوراً في يدهم بهم الذين تنهوا بفعل السبق الذي أحرروه في استنباط هذا الأسلوب العلمي قبل أن يتبته إليه العرب علماً أن أوربا في القرون الوسطى سارت على درس الكتب والاقتصار على تكرار رأي المعلم، وقال سيديو في هذا لصدده أيضاً إن أهم ما انتصفت به مدرسة بغداد في البداة هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة لأعمالها، وكان استخراج المجهول من العلوم والتدقيق في الحوادث تدقيقاً إلى استنباط العلل من المعلولات وعدم التسليم بما لا يثبت بغير التجربة⁽⁹⁰⁾.

ويتحدث لوبود عن تجارب العرب العلمية واحترافهم وابتكارهم فيقول وإذا قيل أن يكن أول من قال بالتجربة والترصد اللذين هما ركس المناحت العلمية الحديثة فلإنصاف بقصي بأن نعترف بأن الفضل في ذلك للعرب وحدهم

فترى مما تقدم أن الحياة العلمية والفكرية قد اردهرت في بغداد، إذ كان العلماء العرب يهتمون بالدراسات والبحوث لعلمية، ولم تقتصر الاهتمامات على اختصاص محدد، وظهر منهم الكثيرون من أعظم الفلاسفة وكبار الأطباء الذين يعتمدون في معرفهم على التجارب والتحقيق والترصد. منهم أبو بكر الرازي⁽⁹¹⁾ صاحب اليمارستان العتيق في بغداد، وله في الكيمياء تجارب وقد أحصى له في علوم الطب والفلسفة والكماء أكثر من مائتي كتاب

ومن علماء العرب في مجال الملك أبو عبد الله مُحَمَّد بن جابر ابن سنان التباسي، المعروف عند الغربيين في العصور الوسطى بأسم **Al butegni** أو **Al bateri us** وهو من أكبر علماء الملك عند العرب، وقد عدّه (لاند) واحداً من العشرين فلكياً المشهورين في العالم. ويتكفي أن نذكر أن عدد من يبلغ في علم الفلك بلغ (534) عالماً⁽⁹²⁾.

فصلاً عن هذا كله فقد نفع عدد كبير من العلماء في مجالات العلوم المختلفة الأخرى وتقدموا بهذه العلوم خطوات واسعة وكان تقدمهم وابتكاراتهم في هذه العلوم العون الأول لهم على بلوغ هذا التقدم.

تخطيط بيت الحكمة

مرّت دور العلم والمدارس في عصر الحضارة الإسلامية بمراحل عدّة، فقد ابتدأت بحلقات المساجد ثم استقلت عنها وأصبح في كلّ منها مسجد تابع لها، وكانت هذه المدارس في أول الأمر تُدرّس العلوم الدينية.

وتدل مجموع الأخبار التي انتهت إلينا أنّ فكرة دراسة العلوم المختلفة في خارج المسجد كان من الأمور التي تراود أذهان الخلفاء العباسيين ببغداد في زمن مبكّر من تاريخ دولتهم فأوجدوا من أجل ذلك دور العلم وأودعت فيها حرائن للكتب وكذلك بيوت الحكمة التي أنشأها الخلفاء العباسيون وجمعوا فيها أمهات الكتب.

تؤكد المصادر التاريخية أنّ بيت الحكمة كان أشبه بدور للكتب، وكثيراً ما أشار المؤرخون إلى وجود خزانات جليلة للكتب في بيت الحكمة ومن هنا يتضح لنا أنّ الغرض من إنشاء بيت الحكمة لم يكن لسدّ نقص في التدريس وإنما أنشأ لتحقيق غرض آخر ما كان المسجد الجامع وحده بنظامه التقليدي يوفي أو يتحمل وسائله.

للاستدلال على الرسم التخطيطي الاجتهادي لبيت الحكمة لا بدّ من الوقوف على المعهد العلمية والمدارس التي شُيّدت في لعراق في العصر العباسي ليجد أنّ العراق قد حفل بعدد كبير من المعاهد ودور العلم والمدارس الكبرى القائمة بذاتها المستقلة عن المساجد الجامعة وكانت هذه المدارس في إزدياد مستمر حتى دخول الموعول ببغداد سنة 656هـ⁽⁸³⁾

ولعل أكثر المدارس وضوحاً وتكاملاً هي (مدرسة الأربعين) في مكرت،
شُيّدت في أواخر القرن الخامس الهجري لتكون مدرسة لأنها تمتلك جميع
مواصفات المدارس، وأنها تحتوي على إيوانين متناظرين وفناء وسطي يحيط به
مجموعة من القاعات، ولا شك في أنّ نظامها يُعد حلقة من سلسلة ممتدة تشمل
عناصر معمارية وتخطيطية سبق تطبيقها في غيرها من المدارس في العراق

وهناك أيضاً مدارس شُيّدت في بغداد بعد مدرسة الأربعين كـ (المدرسة
الشرايية) في بغداد (الفصل العباسي) والمدرسة المستنصرية⁽⁹⁴⁾، إنّ تخطيطهما
يُعبّر عن مراحل تطور النظام المدرسي في بغداد. ولذي يهتما في سياق الحديث
عن تخطيط هذه المدارس الثلاثة (الأربعين والشرايية والمستنصرية) أنها تميزت
بوحدة التخطيط والشكل العام فهي مربعة أو مستطيلة الشكل بتوسط كل منها
فناء مكشوف تحيط به مجموعة من المرافق تتألف من أرواب وقاعات وغرف
وحُجرات تتوزع في طابق واحد أو طابقين إضافةً إلى المسجد⁽⁹⁵⁾ والإيران هنا
يشبه الصدر في الطم الحيري دي الصدر والكمين، ويكون مفتوحاً على
الفناء وأنّ تخطيط هذه المدارس الثلاثة يشبه ذلك النظام الذي كان سائداً في
العراق من حيث تعدد الأرواب فقد ظهر في العصر الأشوري، كما توجد
عدة أمثلة في مدينة الحضر (الحظر)، واستمرت فكرة بناء الأرواب في العصر
الإسلامي في عماره القصور وبراها وأصحاء في الإحيصر ودور سامراء⁽⁹⁶⁾.

أما فيما يتعلق بـ (بيت الحكمة) فمن الواضح ومن خلال النصوص
التاريخية التي أتت على ذكر بيت الحكمة أنّ له شروطاً خاصة به وأنّ تعريفه
وظائفه الرئيسية من كونه أعضاً لثخبة مختارة من المترجمين والعلماء وأصبح فيه
دوائر علمية متنوعة لكل منها علماءها وتراجتها ومشرفون يتولّون أمورها

المختلعة وكذلك ألحق بـ(بيت الحكمة) مكتبة واسعة ومرصد فلكي وإلى جانب المرصد مدرسة لتدريس الفلك، فأصبح بذلك معهداً علمياً بالمعنى الدقيق للكلمة وأنه كان مُعدّاً إعداداً كاملاً ليكون موضعاً علمياً وثقافياً

لهذا نجد أن المعيار (البُناء) قد راعى تلك المسألة عند قيامه بتخطيط بيت الحكمة تلك المسألة عند قيامه بتخطيط بيت الحكمة راعى مسألة وجود أروين وقاعات وغرف للمترجمين والمؤلفين والدارسين وبيوت للعاملين فضلاً من مرافق أخرى

وعلى الأرجح فإن تخطيط هذه المدارس الثلاث وغيرها من دور العلم قد استلهم من تخطيط بيت الحكمة الذي هو بدوره قد استلهم تخطيطه من التصاميم والتقاليد المتبقية في العراق⁽⁹⁷⁾

وفي الختام لا بد من القول أنه لا يمكن الخلط بين نظامي بيت الحكمة والمدارس، ومع أن لكل منهما نظاماً مختلفاً تمام الاختلاف. إن نظام المدرسة كان يسهل الفرض التدريسي الذي خُصص له في حين أن بيت الحكمة قد جعل له نظاماً خاصاً يسير في تحقيق الكتب وترجمتها ومراجعتها وفي البحث والرصد فأصبح أشبه بـ(المجمع العلمي)



بيت الحكمة في القيروان

قامت دولة الأغالبة في تونس (سنة 184هـ / 800م) على يد مؤسسها إبراهيم بن الأغلب، وأخذت مدينة القيروان عاصمة لها. أمتاز أمراؤها بميلهم إلى العلم والأدب، وكان منهم شيخ الفنيا وقاصيهم (أسد بن الصرات) فاتح صقلية وصاحب كتاب (الأسدية) في الفقه المالكي

وأمتاز عصر الأغالبة (184 - 296هـ) بأشجار علوم الفلسفة والطب والحكمة في تونس، وأول من أهتم نشرها بين السكان هو الطبيب إسحاق بن عمران، فإنه شرح كتب الفلسفة وفكّ عامضها وبسط كتبها، فبسر أمر قراءتها لمحبيها.

وبهذا يصبح مؤكداً أن أفريقية أيام الأغالبة شهدت ظهور العلماء الرواد المتخصصين بالعلوم العلمية والفلسفية، فكان لا بد أن تكون أنشطتهم البحثية والتدريسية في صدر قائمة اهتمامات ومهم المؤسسة العلمية لأغلبية بيت الحكمة⁽⁹⁸⁾

يُمد الطبيب الشهير إسحاق بن عمران من أول هؤلاء الرواد وأبرزهم، وهو بعدادي الأصل، مسلم النحلة. كان قدومه من بغداد إلى القيروان باستدعاء من أحد أمراء الأغالبة، وهو ابن جلجل الأمير زيادة الله بن الأغلب⁽⁹⁹⁾ وقد عُرف عن إسحاق بن عمران بأنه كان طبيباً حادقاً مميّزاً بتأليف لأدوية المركبة، بصيراً بترقة العلل، أشبه الأوائل في عمله وحوادة فريخته⁽¹⁰⁰⁾. إن غير وشهرة هذا الطبيب في مجال انطب وصناعة الأدوية من المؤكد أنها كانت وراء استدعائه إلى القيروان وقد وافق إسحاق على القدوم بشروط كان أحدها العودة إلى وطنه متى أراد، وهذا الذي لم يتحقق له. وكان

لإسحاق بن عمران فصل كبير على ميدان الطب والصيدلة بل والفلسفة في أفريقيا، قال ابن جلجل: «وبه ظهر الطب بالمغرب، وعُرفت الفلسفة» وفي هذا شهادة كافية إلى أن هذا الرجل كان صاحب الفضل والرائد الأول في بدء البحث والتدريس في ميدان علوم الطب والصيدلة والفلسفة في أفريقيا بصورة فعلية⁽¹⁰¹⁾.

وسعى الأغلبية بحلب الكتب لعلمية المختلفة من أقطار الشرق كالعراق والشام ومصر وغيرها، ورغبوا بعض الفساوسة من صقلية باستقدموهم إلى القيروان، وكلفوهم بترجمة الكتب المختلفة من اليونانية واللاتينية، فترجموا لهم عدة كتب في الفلسفة والطب والنبات والتاريخ، كان يساعدهم في عملهم رجال أفريقيون يُتقنون اللغة العربة.

ويذهب الأستاذ عثمان الكعاك أن الذي أسس بيت الحكمة بالقيروان، هو زيادة الله الثالث (290 296 هـ/ 902 908 م) وكان بيت الحكمة قريباً من الجامع الكبير، واقعاً على السباط الأعظم الذي هو الحادة لكبرى الرئيسة بالقيروان وبه مكتبه ودار ترجمه وتأليف، ومعهد لتدريس علوم الطب والصيدلة والرياضيات والملك ولخدمة والنبات والموسيقى وغيرها.

وانتشرت بواسطة الأرقام الهندية، التي أحدها العرب وهذبوها، وأدخلها إلى الأندلس دوناس بن فرش القيرواني، وترجمت فيه الكتب المختلفة، وترجم عن البربرية مانيثا ويوغورطة وأنساب البربر التي عول عليها ابن خلدون في مؤلفه، وعن اللاتينية تاريخ ليف الروماني، وعن اليونانية كتاب ماعون في الملاحة، وغيرها من الكتب العلمية والأدبية المختلفة

وكان فيه محل لإقامة العلماء ومن يرناد هذا البيت، فيجدون فيه السكن
وأصباب العيش ولوازم الكتابة، كما نجد فيه من يساعدون من النسخين
والتراجم والورثاء، كان هذا يسهل لهم الإنقطاع فيه، والتفرغ للدرس
والتأليف

ومن تولاها هو أبو اليسر إبراهيم بن أحمد الشامي، ويعرف بالرياضي
وهو من أهل بغداد، سكن القبروان، وله سماع ببغداد من جلة المحدثين
والفقهاء والصحابة، لقي الجاحظ والمبرد وثعلباً وابن قتيبة، ولقي من الشعراء
حبيباً (أما تمام) ودعبلأ وابن الجهم والبحتري، ومن الكتاب سعيد بن حميد
وسليمان بن وهب وأحمد بن أبي طاهر وغيرهم. وهذا يدل على أن أبا اليسر
الشامي درس الحديث وفقه اللغة ولأدب والشعر والكتابة على يد كبار
التخصص المتميزين الذين عاصروهم. وهو الذي أدخل إلى أفريقيا رسائل
المحدثين وأشعارهم وطرائف أخبارهم، وكان عالماً أديباً مترسلاً بليعاً ضارباً في
كل علم وأدب، وله تأليف كثيرة وكان أديب الأخلاق نزيه النفس، كتب
لإبراهيم بن أحمد بن الأغلب ثم - من بعده - لابنه أبي العباس عا الله، وفي
أيام زيادة الله - آخر أمراء بني الأغلب - عهد إليه بأمر بيت الحكمة، وبقي
يشرف عليه إلى أن سقطت دولة الأعالية على أيدي الفاطميين، وعمر مستين
بعد هذا، وبقي مدة (298هـ/ 910م) ودُفن في مدينة القبروان

يذكر لنا ابن الأثير رحلة الشامي إلى القيرون ولكن من دون أن يحدد
تاريخاً لها، ولكن من المؤكد أنها كانت بعد اكتمال تكوينه الفكري لقد حمل
هذا الرجل معه إلى أفريقيا العلم الذي تعلمه في بغداد، وكان من بين ما أدخله
إلى أفريقيا الرسائل والأخبار علماً في رأس هذا الرجل أم كتباً وكراريس حملها

من المشرق إلى المغرب ؟ أم الاثنين معاً، وهو الأصوب كما ترى الأستاذة
الدكتورة صباح الشخيلي⁽¹⁰²⁾ وبهذا يكون الشيباني قد أسهم في بناء صرح
الثقافة والفكر في أفريقيا أيام الأعالية.

كان الشيباني، كما جاء عند ابن الأثير، عالماً أديباً ومرسلأً بليغاً ضارباً في
كل علم وأدب بهم، وكتب يده أكثر كنه مع براعة خطه وحن ورافته،
وحكي أنه كتب على كبره كتاب ميبويه كله بقلم واحد وما زال يبريه حتى
نصر فأدخله في قلم آخر وكتب به حتى تمام لكتاب⁽¹⁰³⁾. وهذا يُشير إلى
موسوعة الرجل الذي كان له مهم ضارب في كل علم وأدب بل وفن، فقد
كان فناناً في الوراثة يُدلل على ذلك حكاية نسخه في شيخوخته لكتاب ميبويه
كاملاً بقلم واحد وما زاد في سعة ثقافته كونه رجلاً حال في السلا من
حراسان إلى الأندلس ونقلأً عن تاريخ عريب بن سعيد يُسمي ابن الأثير
بعض مؤلفات الشيباني وهي مستند الحديث ومرج الهدى، والرسالة الوحيدة
المؤنسة، وقطب الأدب، ولقيط المرجان، وغير ذلك

لم يكن أبو اليسر الشيباني واسع العلم والمعرفة هط، بل كان أديب
الأخلاق نزيه النفس بهذه الصفات والمميزات العلمية والأخلاقية بالخطوة
عند أمراء بني الأغلب، فأصبح ضمن جهازهم الإداري يقول ابن الأثير نقلأً
عن تاريخ عريب: كتب [الشيباني] لبني الأغلب حتى انصرفت أيامهم ثم
كتب لعبد الله لمهدي [الماطمي] حتى مات سنة 298هـ ومن نصر سجله
ابن الأثير نقلأً عن تاريخ الرقيق القيرواني ثم فيه تحديد أسماء الأمراء الأعالية
الذين كتب لهم الشيباني، فجاء فيه: كتب لإبراهيم بن أحمد الأغلب صاحب

أفريقيا ثم لأبيه أبي العباس عبد الله وكان أيام ريادة الله بن عبد الله آخر ملوك
الأغالبة على بيت الحكمة⁽¹⁰⁴⁾

لم يمر بيت الحكمة الأعلي بمراحل النشأة التي مر بها بيت الحكمة
العباسي، من كونه نشأ كخزانة للكتب ثم تطور إلى مؤسسة علمية للبحث
 والترجمة، فقد وجدت اللجنة المؤسسة نموذجاً متكاملًا فقامت بالتأسيس على
عراره، وهذا أحد الأدلة الإضافية إلى الدور البارز والمؤثر الذي لعبه بيت
الحكمة العباسي في المساعدة على إنشاء مراكز العلم والحكمة في العالمين
العربي والإسلامي أصبح عالم الفكر والثقافة في أفريقيا أيام الحكم لأغلي
ثالث الركائز واضح الخصائص فتطور المدرسة الفقهية في القيرون أوصلها إلى
درجة الحبوبة والتنوع، والمدرسة الكلامية أصبحت تزخر برجالات أفذاذ لهم
مقالاتهم ومناظراتهم الجدلية ولهم ملاميدهم، وسارت الحركة الأدبية واللغوية
إلى مرحلة النضج⁽¹⁰⁵⁾ فلم يبق أمام هذه الساحة الثقافية والفكرية إلا ظهور
مدرسة تتوجه باهتمامها إلى العلوم الصرفة والمفسية، فكان تأسيس بيت
الحكمة من قبل إبراهيم بن أحمد ليحتضن مثل هذه العلوم الناشئة في أفريقيا،
ولتتال بعده رعاية ولده وحفيده لذي عاش في كنفهم بيت الحكمة. ولا
نستطيع هنا أن نحزم، هل جاء هذا التوجه نتيجة لولع الأمير إبراهيم بن أحمد
الشخصي بالعلوم الرياضية والحكمة، أم أنه وجد أن المجتمع لأفريقي م
يظهر عناية جادة بالعلوم كالطب والفلسفة والرياضيات التي شاعت وازدهرت
في المشرق⁽¹⁰⁶⁾ ولدينا في كتب الطب والفلسفة والرياضيات التي شاعت وازدهرت
بالعلوم الرياضية وغيرها ما يسند ما ذهنا إليه من أن بيت الحكمة أنشئ على
أنه مؤسسة وجهتها الأساس العناية بالعلوم الصرفة والمفسية، وإن كان هذا
لا يعني إهمال الأعالة عنايتهم بالعلوم الدينية والأدبية والإنسانية ورجالاتها.

وبعد سقوط دولة الأغالية تنقطع عنا أحبار بيت الحكمة، وأن بعض العلماء أخذوا يترحلون منها إلى الأندلس، فرحب بهم عبد الرحمن الناصر، وأنه الحكم من بعده، وفتحوا لهم أبواب مساجدهم للجامعة، ويسرّوا للناس نشر العلم والحكمة في عاصمتهم قرطبة، ومن سار إلى الأندلس من هذه النمّة ابن سعيد الصيقل والفتى طريف فإنهما نشرّا علوم الحكمة في الأندلس⁽¹⁰⁷⁾

دار الحكمة في القاهرة

كانت المنافسة بين الفاطميين والعباسيين في السيادة والعلم والأدب، وفي القرن الرابع الهجري أسس الفاطميون دار الحكمة⁽¹⁰⁸⁾ بالقاهرة سنة (395هـ/1004م) على نحو ما كان عليه بيت الحكمة في بغداد وجعلوا فيها مكتبة كبيرة، وضموا بها آلاف الكتب المتنوعة والنادرة العزيزة المال، والتي تمتاز بجودة الخط، وجمال التجليد، ودقة الزخارف، وهي في شتى العلوم والفنون والمعارف تجدد فيها كتب الفقه والحقوق واللغة والحديث والسير والتجويد والروحانيات والكيمياء والفلسفة والطب وغيرها، من كل كتاب عذبة نسخ. وفيها المصاحف المذهبة بالخطوط المسبوبة، كخط ابن مقلة وابن البواب، وغيرهما من الخطاطين

ذكر المقرئ أن الحاكم بأمر الله (375 410هـ/985 1019م) نقل إليها من كتب قصره، ومن خزائن المصور المعمورة، بما يُقدَّر بستمئة ألف مجلد، من أصل تلك الكتب كانوا يعدون مائة ألف مجلد بديعة الخط والتجليد. وبلغ عدد كتب دار الحكمة بعد هذا مليون وستمئة ألف مجلد ويذكر المقرئ أيضاً: أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم منها.

وكان فيها مصورات جغرافية، وآلات فلكية، وخطوط نادرة، وأقلام منسوبة، وتحف فنية نادرة ومن ذلك كرتان أرضيتان إحداهما من الفضة، كان قد صنعها بطليموس ثم صارت إلى الأمير خالد بن يزيد بن معاوية. وكان مكتوباً عليها حُملت هذه الكرة من الأمير خالد بن يزيد بن معاوية أمَّا الكرة الثانية فكانت من النحاس صنعها أبو الحسن لأسد الدولة صالح بن مرداس

الكلايين، أول الأمراء المرداسيين بحلب وكان في دار الحكمة صاديق مملوءة
أقلاماً، من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما من الخطاطين المشهورين

ووصف المفريزي دار الحكمة وصفاً جامعاً فقال ففي سنة خمس
وتسعين ونثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها
الفقهاء، وحُملت الكتب إليها من خزائن القصور المعسورة، دخل الناس إليها،
ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمس، وكذلك من رأى قراءة شيء
مما فيها، وجلس فيها لقراء والمتجملون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد
أن فرشت لدار، وزُخرفت وعُلقت على جميع أبوابها وعمراتها السنور، وأقيم
قوام وخدّام وبراؤون وغيرهم، وسمّوا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من
خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله، من الكتب التي أمر بحملها إليها، من
سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة، ما لم يُر مثله مجتمعاً لأحد قط من
الملوك، وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم، ممن يؤثر قراءة الكتب
والنظر فيها فكان من المحاسن الماثورة أيضاً التي لم يُسمع بمثله، إحراء الرزق
الذي لمن رسم له الجلوس فيها، والخدمة لها، من فقهاء وغيره، وحضرها الناس
على طبقاتهم: فمنهم من يحضر قراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم
من يحضر للتعلّم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق
والحماير

وكان الحاكم بأمر الله، يُشرف بنفسه على الحركة العلمية التي كانت في
دار الحكمة، وتجري بحضرته المناظرات والمجالس الدينية والعلمية.

وفي سنة ثلاث وأربعمئة أحصر أهل الحساب والمطوق، وجماعة من الفقهاء، وجماعة من الأطباء إلى حضرته، فكانت كن طائفة تحصر على إنفرادها للمُنظرة بين يديه، ثم خلع على الجميع ووصلهم.

وأوقف الحاكم للدير ما يكفي لإدامة عمارتها، ولمرتبات من يشتغل فيها من لعلماء والفقهاء والخدم، ولأثاث الدار، وما يلزمها من المصروفات المختلفة، وما يحتاج من مرتادوها من أدوات الكتابة ولوازمها، وكان لها حصة معينة من أوقاف الجامع الأزهر، وجامع المقص، وجامع راشدة، وغير ذلك.

وسار الخلفاء الفاطميون على طريقته، فضاعفوا أوقافها وصرفوا عليها بسحاء، يذكر السيد أمير عني أن النفقة عليها بلغت (43) مليون درهم سنوياً، بينما يذكر المقرئزي أن النفقة السنوية عليها كانت (257) ديناراً في السنة⁽¹⁰⁹⁾ ولعل ما ذكره المقرئزي هو ما كان يُصرف عيها في أواخر أيامها

والسبب الذي حمل الخلفاء الفاطميين على أن يُضاعفوا النفقة على دار الحكمة، وأن يصرفوا عليها بحدودٍ ومخاء، أنهم اتخذوها مركزاً ثقافياً لشر دعوتهم، ومبادئ مذهبهم الذي يؤيد حقهم في الخلافة، خاصة وأن النزاع بينهم وبين العباسيين كان قوياً على الخلافة، وكانت الدولة العباسية في ضعفٍ سياسي، قد تحكَّم الأعاجم في الدولة، وانتزعوا السلطة من الخليفة، وتحكموا في البلاد كما أرادوا، فلجأ الخلفاء العباسيون إلى الطعن بنسب الفاطميين، وأدعوا أنهم ليسوا من نسل الإمام جعفر الصادق (ع)، وشنوا حملة قوية ضد مذهبهم والطعن في نسبهم، ولم يجد الفاطميون بداً من مقاومة هذا العداء، فلجأوا إلى الدعاوى المذهبية في الدواع عن خلافتهم، والرد على ما كتبه عنهم علماء أهل السنة أنصار الخلافة العباسية ونقض ما كتبه عنهم

وكانت الدعوة لفاطمية أقوى بكثير من الدعوة العباسية، واتحدوا لهم مراكز عديدة في بلاد الشام و لعراق وبلاد الجزيرة

وكانت مجالس الدعوة التي نظموها في دار العلم كثيرة ومتوعة، وهي خير ما يعتمدون عليه في تعزيز الدعوة في مصر وفي غيرها من البلاد، وبها يُدرَّب الدعاة الذين ينشرون الدعوة في البلاد الأخرى، وعقد وزراءهم وأهل الرأي منهم مجالس علمية - لتأييد خلافتهم - في دورهم، وفي المساجد الجامعة، وشروا المذهب الفاطمي بما كانوا يجرونه فيها من المظاهرات والمساجلات المذهبية والأدبية المختلفة التي تهدف إلى بث مبادئهم بين كافة طبقات الشعب.

ومن ذلك ما فعله الوزير يعقوب بن كُلس (318 - 380 هـ / 930 م) الوزير الفاطمي، فإنه كان من أكثر الناس اهتماماً بنشر مبادئ المذهب الفاطمي، وكانت داره مجمع العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء، وقلماً يمر يوم إلا ويعقد فيه مجلس علمي يحضره الناس، وألف هو كتاباً في فقه الإسماعيلية كان يقرأه كل ليلة جمعة في داره، بمجلس عام يحضر المجلس: القضاة والفقهاء والقراء والسُّحاة وجميع أرباب الفضائل والعدول وغيرهم، من وجوه الدولة وأصحاب الحديث، فإذا فرغ من مجلسه، قام الشعراء بشدود المدائح، وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم، وآخرون يكتبون الحديث والفقه والأدب حتى الطب، ويعارضون المصاحف ويشكلونها وينقطونها.

وصُفَّ كتاباً مما سمعه من المعز وولده العزيز، وجلس في شهر رمضان من سنة 369 هـ مجلساً حضره الخاص والعام، وقرأ الكتاب بنفسه على الناس، وجلس في الجامع العتيق بمصر جماعة يُفتون الناس من هذا الكتاب.

على أن ما قام به الورراء - من كلّس وغيره - لم يكن من الأهمية
 بمكان، على ما كانت عليه الدعاة الواسعة في دار الحكمة - دار العلم -
 فإنهم نظموا دعوة واسعة فيها، ويسرّوا أمر المطالعة والدرس والإستساح
 لكافة الطبقات التي تقصدها، بما قدموه من الكتب المختلفة، وأدوات الكتابة
 ولو زعمها، فدخلها الناس على اختلاف طبقاتهم فبعضهم كان يسخ ما يرعب
 به من الأبحاث، وبعضهم يعارض أو يصحح ما عنده من كتب، وبعضهم
 يتلقى الدروس على شيوخ الدار، وأكثرهم لحضور مجالس العلم المختلفة، لقي
 كان يعقدها الفاطميون للمناظرة في شئ العلوم الفلسفية والمنطقية والمذهبية،
 ويدعون خلالها إلى مبادئهم وتعاليمهم السرية - وهي الغاية التي كانوا يسعون
 إليها - فالدار مركز مهم لنشر مبادئ المذهب الفاطمي وتعاليمه، والداعي
 الدعاة مجلس في دار الحكمة، وهو يشرف بنفسه على تنظيم الدعوة بين سائر
 الطبقات التي كانت ترتاد الدار. قال المقرئزي. كان بجوار لقصر دار تُعرف
 بدار العلم - حلف خان مسرور - كان داعي الشيعة يجلس فيها، ويجتمع عليه
 من التلاميذ من يتكلّم في العلوم المتعلقة بمذهبه.

ولما توسعت الدعوة، وكثر الإقبال على مجالس العلم، ضاقت الدار بمس
 يرتادها، فأخذوا يعقدون مجالس الدعوة بالمحلّ أيضاً، وهو مقر داعي الدعاة،
 يتلقون منه أسرار المذهب الفاطمي، والتعاليم التي يرغب بنشرها بين الناس،
 ويُنظم العقهاء مجالس بما سيُلقى، يعرضونها على الداعي وكان هذا يعرضها
 بدوره على الخليفة، وبعد أن يأخذ موافقة على نشرها، كان الداعي يقوم
 تلاوة المجلس (المحضر) على الناس.

قل المقرري ويحضر إليه - أي داعي الدُعاة - فقهاء الدولة، ولهم مكان يُقال له دار العلم، ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة، وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يُقال له (مجلس الحكمة) في كل يوم اثنين وخمس، ويحضر ميصاً إلى (داعي الدعاة) فينمذ إليهم ويأخذه منهم، ويدخل به إلى الخليفة في هدين اليومين المذكورين، فيتلوه عليه إن أمكن - ويأخذ علامة بظاهره، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين: للرجال على كرسي الدعوة بالإيوان الكبير، وللنساء بمجلس الداعي، وكان من أعظم المناني وأوسعها، فإذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا إليه لتقبيل يده، فبمسح على رؤوسهم

فالفاطميون اعتمدوا كل الإعتماد على فقهاء (دار الحكمة). وكان من أعمال فقهاء الدولة أن يجتمعوا في دار الحكمة عد جماعة متصدين بها، وأن يقوموا بتنظيم مجالس الدعوة، التي تهدف إلى نشر المذهب الفاطمي - الإسماعيلي - وهي تكون تحت إشراف داعي الدُعاة الذي كان يُراجع الخليفة في أمرها

ولما زاد الإقبال على مجالس العلم الدعوة نظم الداعي عدة مجالس لها فكان يُفرد للأولياء مجلساً، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلساً، ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلساً، وللنساء بالجامع الأزهر مجلساً، ولحرم وخواص ساء لقصور مجلساً، كما كان لداعي يُنظم المجالس بداره، ويفذها إلى من يختص بخدمة الدولة. هذه المجالس المختلفة كانت تُنظم بكتب خاصة، يقوم بها فقهاء دار الحكمة، وتُسمى (مجالس الحكمة).

فمصدر مجالس الدعوة القوية المنظمة هو دار الحكمة، بوضع بها المجالس المتفاوتة بمبادئها وتعاليمها، وكل نوع منها يُناسب قابلية وعقلية من مُتلقى عليه. فمجالس الأولياء - وهم المُقدمون في المذهب وعليهم الإعتماد - هي غير مجالس العامة والطارئين على البلد، وهذه تختلف عن مجالس النساء، أو مجالس خواص الخدم، وغيرهم، فكانت الدعوة تشمل كافة طبقات لشعب عالمهم وجاهلهم، الرجال والنساء، الخاص والعام، المقيم والطارئ على البلد، وكلها تصدر عن دار الحكمة

وكما كانت دار الحكمة تنظم الدعوة في مصر، فإنها صارت مركزاً لشر المذهب الفاطمي في شمال أفريقيا، وبلاد الشام وبلاد الجزيرة، وتخرج منها أعلام هذا المذهب ومجتهدوه ودُعَاتُه، الذين خدموا الفاطميين أجل خدمة، وأمدوا الخزانة الفاطمية بشئ الكسب الفقهية والعلمية التي تعزز مذهبهم، وتؤيد خلافتهم

ومن الذين تولوا دار الحكمة، هو داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى بن أبي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين تولّى الدار في خلافة المستنصر (427 487 هـ / 1035 1094 م) وله ثمانمائة مجلس، عقدها في دار الحكمة، وهي تقع في ثماني مجلدات كبيرة، تناول فيها موضوعات إسماعيلية شتى: دينية وسياسية وأدبية وتأويلية. وكلها لتأييد المذهب الإسماعيلي - الفاطمي - وترد على من يرى خلاف ذلك - وهو الذي كانت المراسلات بينه وبين فيلسوف المعرفة أبي العلاء المعري - كما أنه رد على ابن الراوندي، وما نقله في كتابه (الرمرد) في إبطال البروات

وبجانب هذا فإن الدار خدمت العلم خدمةً بذكر، كان يُدرّس فيها من النحو واللغة والطب والفلسفة والكيمياء وتخرّج منها أعلام الفكر في العصر الفاطمي.

ومن الحفقات التي كانت تُعقد فيها، هي ابتي كان يعقدها جُنادة بن محمد بن الحُسين الأُردي الهروي أبو أسامة اللغوي الحوي (الحوي سنة 399هـ/1008م) قَدِمَ مصر وصحب الحافظ عبد الفتي بن سعيد، وأبا إسحاق عسي بن سليمان الممرّي التحوي، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة، ونجوي يسهم مباحثات ومذاكرات، فقتل الحاكم جُنادة وأبا علي، وأمنتر عبد الغني⁽¹¹⁰⁾

بقيت الدار عامرة بمجالسها العلمية حتى سنة (461هـ/1068م) فأصابتها نكبة طوّحت بكثير من كتبها النفيسة. وذلك أن الخليفة المستنصر بالله بن الظاهر (427 487هـ/1025 1094م) كان ضعيفاً سيء التصرف، مدمماً على الخمر، أهمل أمور البلاد، فثار عليه الجيش بقيادة ابن حمدان سنة (461هـ/1068م) وأصطروه إلى بيع كتوزه، وكنوز قصوره، لسد حاجتهم، وأمتدت أيدي الجيش إلى خزانة كتب دار الحكمة، وكادت تحوي كنوراً ثمينة وما كان فيها ألفان وأربعمائة خنمة، مكتوبة بخط مُحلّي بالذهب والفضة، فاقسمها الأتراك وفرقوها بينهم، وفرقوا كتب دار الحكمة وما فيها من نفائس، وحلوا منها عدّة أحمال إلى الإسكندرية، أرسلت على الجمال إلى الوزير حماد الدين أبي الفضل بن المخرق - حاكم الإسكندرية - ولما وصلت قرية (أيبار) سطا عليها بعض العربان من قبيلة (لوانة) مبرها، وأحرقوا ورقها، وانتزعوا جلودها الثمينة، وصنعوا منها أحذية، وهكذا تبدد قسم لا يُستهان به من كتب

دار الحكمة. وهي من النكبات الكبرى التي أصابتها وفي شهر ذي الحجة من سنة (516هـ / 1122م) جرت في الدار فتى، أدت إلى غلقها، وتعطيل مجالسها العلمية ذلك أنه كان ممن يتردد إلى الدار رجلاً، أحدهم يُدعى (بركات) والآخر يُدعى (حميد بن مكي الأطمحي القنصر) مع جماعة، وكان انقصار هذا يث تعاليم هدامة، وما زال يُغالي بها، حتى إدعى الألوهية، ولاقت تعاليمه رواجاً عند بعض السطاء الذين كانوا يترددون إلى الدار، كما استفسد أستاذين من أساندة الدار، فتفاقم أمرهم، وخشي أولوا الأمر عاقبة هذه الحركة الهدامة، فأغلق دار العلم - دار الحكمة - وقبض على المضللين وتكفل بهم

واننا نرى أن هذا لم يكن السبب الأصلي الذي أدى إلى إغلاق دار الحكمة، وتعطيل مجالسها العلمية، وإنما كان مسأ مباشراً لغلقها والسبب الرئيسي هو أن الفاطميين أفرقوا إلى فرقتين، مُستعلية وزارية، فالمُستعلية يدعون إلى أن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله إلى أبيه المُستعلي بالله ثم إلى أولاده من بعده - وهم حزب الخليفة.

وأما النزاريه فيدعون أن الإمامة انتقلت بعد المستنصر بالله، إلى أبيه مزار، كان ذلك بالنص من أبيه المُستعلي بالله، وكانت مجالس المناظرة تُعقد في دار الحكمة بين أصحاب الفرقتين المذهبيين وأخذ دُعاة كل مذهب بتأييد ما يدعيه، ويظهر أن النزارية تغلبوا على المُستعلية بدعوائهم وتعزيز مذهبهم، فمال الناس إليهم، وكثر الخوض في المذهب، وخشي المُستعلية من تفوق النزارية عليهم، لذا رأوا من الحكمة غلق دار الحكمة، وتعطيل مجالس العلم فيها، إلى أن تهدأ الأحوال ويترك الس الجدل في المذهب، فأمر الأفضل بعلق الدار، وتعطيل مجالس الدعوة فيها، بهدأت الحالة وبطت المجذلات⁽¹¹⁾.

وبعد عدة أشهر هدأت حركة التزارية، وأمعن أتباعها عنها، واستقرت الأمور بالمستعلية، ولم يبق لهم منازع، فطلب بعض خدام دار الحكمة من الخليفة لأمر بأحكام الله (495 - 524هـ / 1101 - 1149م) أن يُعيد فتح الدار ففاوض الخليفة وزيره (المأمون البطائحي) في الأمر، فأجاب الورير على هذا، مشروطاً إذا أعيد فتح الدار أن تسير الأوضاع الشرعية التي يقرها فقهاء المستعلية، وأن يُبنى لها محل بعيد عن محلها الأصلي، الذي يجاور قصر الخليفة، ووجودها قرب القصر قد لا يحلر من خطر على حياة الخليفة ومحاذير لا تُحمد عقباها.

فأشار عليهم الثقة (رمام القصور) أن تُبنى قرية من داره، على بقعة حالة يصلح أن يكون موقعها لدار العلم - دار الحكمة - وشُددوا عليها (دار العلم الجديدة) وكانت داراً كبيره، يُقال أن النفقة بلغت عليها مائة ألف دينار وأكثر، ونقلوا إليها ما كان في دار الحكمة القديمة، وفتحت الدار الجديدة في شهر ربيع الأول سنة (517هـ / 1123م) وعاد الانتعاش بها كسابق عهدها، وجعل بها شارحاً أبو محمد حسن بن آدم من أقطاب العلم والفضل، ومتصدرون برسم قراءة القرآن، وداعي المذهب، وناظر يتولّى أمورها، ولم تنزل عامرة بمجالسها العلمية إلى أن أنهت الدولة الفاطمية سنة (567هـ / 1171م) فإن السلطان صلاح الدين الأيوبي - بعد أن احتل مصر - حاول طمس معالم الدولة الفاطمية وقضى على مذهبهم، بهدم دار الحكمة، وشيّد في محلها مدرسة الشافعية، كما أن القاضي الفاضل نقل منها مائة ألف مجلد إلى مدرسته الفاضلية.

لم يكن لبيت الحكمة الذي أسسه العباسيون بعداد صبعة مذهبية وم يدعو فيه لناصره مذهب على آخر، ولا نجد فيه أثراً لتقييد الحرية الفكرية، تسوده روح العلم، وأكثر كتبه كانت في علوم الحكمة: من طب وفلسفة ومنطق وموسيقى ورياضيات وفلك ونجوم. وتولاه علماء أعلام من الأطباء والفلاسفة والفلكيين، وغيرهم من أصحاب العلوم العقلية، وفيه من السريان والنصارى، ومن الفرس اشعويين، ومن الصائفة ومن اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الملل والنحل المختلفة، فالحرية الفكرية مطلقة، ولكل منهم حق الكلام والمنظرة والتأليف بما يبدو له. حتى ولو كان لأمر ضد العرب والمسلمين.

والعباسيون لم يقدوا الأفكار، ولم يفرضوا مذهبهم على الناس، بل لكل دينه ومذهبه ورأيه، وكان الخلفاء يشاركون في المظاهرات العلمية والدينية، ويبدون آرائهم كأحد الحاضرين، وتكون عروضة للنقد والرد عليها

كان المأمون يعقد المجالس العلمية والدينية، ويشارك فيها، ويحاده العلماء بكل حرية وصراحة، ويبدون آراءهم ولو كانت تخالف ما يذهب إليه المأمون، وكان هو يتقبلها بكل ارتياح.

ذكر الطيموري: سمعت يحيى بن أكثم يقول أمرني أمير المؤمنين عند دخوله بغداد أن أجمع له وجوه الفقهاء وأهل العلم من أهل بغداد، فأحضرت له من أعلامهم أربعين رجلاً، وأحضرتهم، وجلس لهم المأمون، فسأل عن مسائل، وأفاض من فون الحديث والعلم، فلما أنقضى ذلك المجلس الذي جعلناه ننظر في أمر الدين. قل المأمون يا أبا محمد كره هذا المجلس الذي جعلناه ننظر طوائف من الناس، بتعديل أهوائهم وتركيز آرائهم، فطائفة عابوا

علينا ما نقول في مصيل علي بن أبي طالب - عليه السلام - وظنوا أنه لا يجوز تفصيل علي، إلا بانتقاص غيره من السلف، والله ما أستحل أن أنتقص الحجاج، فكيف السلف الطيب.

كان المأمون يبغي من مجالسه المقيمة الدعوة إلى تفصيل الإمام علي - عليه السلام - وهو ما كان يميل إليه، ولكنه لم يفرض هذا الرأي على الفقهاء الذين اختارهم يحيى بن أكثم لمناظرته، ولذا تراه يشكو إلى يحيى استياء القوم مما يراء المأمون، ظناً منهم أنه بتفصيل الإمام علي، انتقاص لغيره من الصحابة وإنهم جادلوه في أمر تفصيله له، وظهر منهم الاستياء من ذلك، ولكن المأمون لم يغضب من موقفهم معه، بل سمع إلى ما قالوه بكل أرياح

وكان المأمون يرى رأي المعتزلة، ولكنه لم يفرض مذهبه على الناس، بل إنه عزز مذهب المعتزلة أهل الرأي بترجمة كتب الفلسفة والمنطق، وهي التي تؤيد مذهبهم، وكان من هذه الحركة (علم الكلام) الذي مهد المعتزلة قواعده، ويرعوا فيه، وصار خير مساعده لهم على نشر مذهبهم

أما الماطميون فإنهم كانوا بالضد من هذا، فآخريه الفكرية مقيدة، وأهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها. فكانت كتب فقه دار الحكمة مما يؤيد مذهبهم، ويعزز خلافتهم. والدار نفسها مركز دعوة واسعة للمذهب الإسماعيلي، ولا تجد في الدار الكتب التي تعارض مذهبهم أو تطعن بدعوتهم.

وأن المجالس التي كانت تُلقي فيها مقيدة غاية التقييد. فكان يُنظمها فقهاء الدولة، مع فقهاء دار الحكمة، ويكون هذا تحت إشراف الداعي، ثم الخليفة نفسه، ثم بعد هذا التحفظ كانت تُذاع على السامعين فالدار دار دعوة منظمة

للمذهب الإسماعيلي، تحت ستار من العلم. ومناهج الدار تنع السياسة العليا للدولة، فهي در دعوة ثم هي دار علم أو حكمة وعلى هذا فإن الدار مرت بأدوار مختلفة، تتبع بذلك سياسة الخليفة التي يرمي إلى تحقيقها

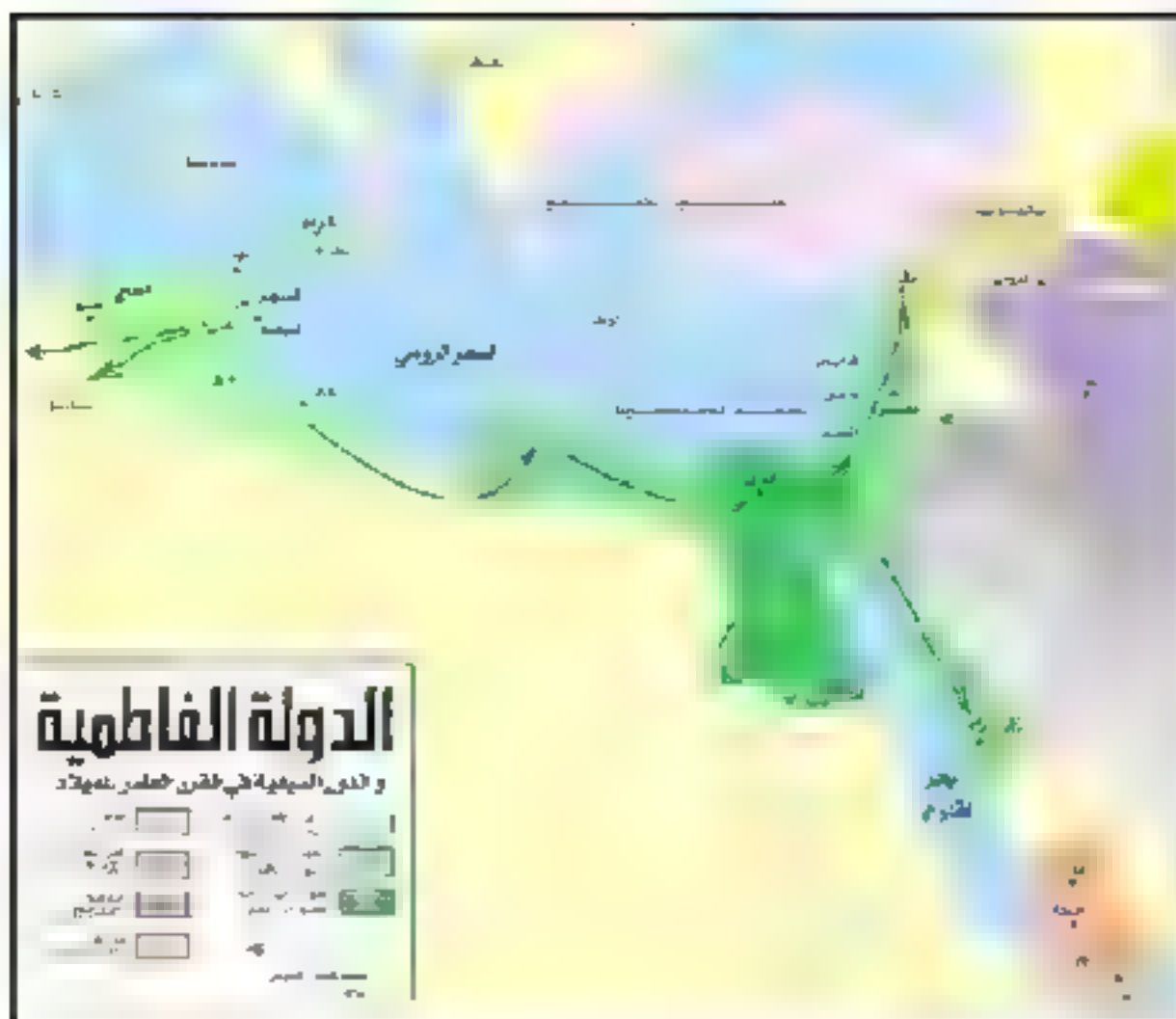
ولما أشتد عسف الخليفة الحاكم بأمر الله على أهل السنة وأهل الدمة، أرسل إليه ابن باديس بنكر عليه أعماله وأراد الحاكم ترضية بن باديس واستمائه إليه، فأمر في سنة (400هـ/1009م) بالاهتمام بدار الحكمة، وراد عدد كتبها، وأسكنها من شيوخ السنة شيعيين، يُعرف أحدهما بأبي بكر الإنطاكي، وخلع عليهما وقربهما، ورسم لهما بحضور مجلسه، ولارمة دار العلم، وجمع الفقهاء والمحدثين إليهما، وأمر أن يُقرأ بضائل الصحابة، ورفع عنهم الإعراص في ذلك، وأطلق صلاة التراويح، وأمر الفقهاء بتدريس مذهب الإمام مالك، وأقام على ذلك ثلاث سنين. ولكنه لما أعرض عن ابن باديس وأمن جانبه فإنه نكل بأهل السنة، ومنع نشر مذهب الإمام مالك، وأبطل كل ما أمر به في دار العلم، وعاد إلى سياسته الأولى في الإقتصار على بث مبادئ المذهب الفاطمي، فقتل الفقيه أبا بكر الإنطاكي وأشبح الآخر وحلقاً كبيراً من أهل السنة⁽¹¹²⁾ فعل ذلك كله في يوم واحد، وعلق دار العلم ومنع من جميع ما فعله، وعاد إلى ما كان عليه من قبل.

ولما وجد حزب الخليفة وهم المستعلية أن دعة المذهب الراري في دار الحكمة في أزدباد، وأن حركتهم لاقت مجاحاً كبيراً، وأن الدعوة صارت عليهم لا لهم، خشي المستعلية عافية الأمر، فبادروا إلى غلق دار الحكمة، وتعطيل مجالسها العلمية - كما قدما - ولم يسمحوا بفتحها إلا بعد أن هدأت الأحوال وكف الناس عن الجدل في هذا - وهكذا نجد أن الصبغة السياسية في

دار الحكمة فوق كل اعتبار، فهي مركز سياسي تدعو إلى تثبيت دعائم المذهب الإسماعيلي - المستعلية منهم - ولكنها كانت تسير تحت ستار من العلم والحكمة.

هذه لصيغة السياسية لا نجد لها في بيت الحكمة ببغداد، فهي مؤسسة ثقافية عالية، تهدف إلى نشر الحكمة والعلم والأدب، نجد فيها الشعري يجادل العربي، ويؤلف الكتب في ثلب العرب، وتفضيل العجم عليهم، والعرب هم الذين مهم الخليفة مؤسس الدار وحامي العلم والدين

ومجد فيه النصارى بجانب المسلمين يتولون أمور الدار، ويقومون بالإشراف على الترجمة والتأليف فيه، يشاركونهم بهذا الصابئة والمجوس واليهود وغيرهم، ومسرلتهم العلمية والاجتماعية عند المسلمين، لا تقل عن منزلة المسلمين العلمية الخالصة الخالية من كل تعصب ديني أو مذهبي أو عنصري فالروح العلمية هي السائدة في الدار، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار



دار الحكمة في طرابلس

آل عمار من الأمر العلمية التي كانت بطرابلس الشام، وكانوا على اتصال بالفاطميين الذين أخصعوا طرابلس لحكمهم، وأخذوها مركزاً لشعر دعوتهم. وقام من آل عمار عدة قضاة تولوا قضاء طرابلس، وكانوا على جانب من العلم والأدب ومكارم الأخلاق⁽¹¹³⁾

أخذت هذه الأسرة تطمح إلى الاستقلال في بعض مدن الساحل، خاصة بعدما شاهد اضطراب الحالة في سورية ومصر فقد ثار بالقاهرة ابن حمدان مع الجيش علي الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (427 487هـ/1035م) وأستولى الصليبيون على بعض مدن سوريا، وهم جادون بتوسيع مودهم فيها، وكانت بعض المدن تخضع اسمياً للخليفة العباسي، يدير شؤون كل منها أمير أو ملك قد أستأثر بالحكم فيها

وأول من أستقل منهم هو القاضي أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار، أسس بأمور المدينة، وقطع صلته مع الفاطميين، وصار يحكمها ويسولي سائر أمورها حتى سنة (464هـ/1071م) حيث قضى نحبه.

وملك بعده ابن أخيه جلال الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار لإستولى على جبلة، وحاول بدر الجمالي سنة (483هـ/1090م) أن يستولي على طرابلس، فلم يتمكن لخصانة المدينة، ودفاع أهلها المجيد عنها

وأشهرت طرابلس على عهدهم بدار العلم الكبيرة التي كانت فيها، والذي يراه أن الفاطميين هم الدين ساعدوا على تأسيسها. وأخذوها مركزاً قوياً لشعر المذهب الفاطمي في سوريا، وكان الذي يرعاها وينمق عليها هم آل عمار الدين كانوا من علماء الشيعة ويرون رأي الفاطميين.

وأن آل عمار بعد أن تمكنوا في البلد وآسرو بقوبهم، ومناعة مدينتهم، وأنشغال العاطميين في الأضطرابات الداخلية، انفصلوا عن الدولة العاطمية، وأسسوا لهم دولة مستقلة، ولكنهم بقوا على مذهبهم الشيعي، وكانوا يؤيدونه وينشرون دعوته. ولما حاول الصييون الإستيلاء على طرابلس، لجأ آل عمار إلى السلاجقة والخلفاء العاصيين، وطلبوا المساعدة منهم، ولم يستعينوا بالعاطميين، خوفاً على أستقلالهم الإداري.

أما أخبار دار العلم فهي قليلة في كتب التاريخ وتتلخص أن الذي كان يرعى الدار المذكورة هم آل عمار، وهم رجال سياسة وعلم، كانوا قضاة طرابلس، وصاروا ملوكها، وأنهم كانوا يصرفون على الدار بسخاء فأضافوا إليها آلاف الكتب المختلفة من علمية وفلسفية وأدبية وفقهية وغير ذلك وشجعوا المؤلفين وأنفقوا على النساخين الذين كانوا ينسخون الكتب المختلفة فيها فقد كان يعمل بها مائة وثمانون نساًخاً ينسخون الكتب بالجرارية والنفقة عليهم جارية، والصيانة لهم مشتملة

ويستدل مما ذكره (ابن الصرات) في تاريخه أن أول من تولأها منهم هو أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار المتوفى سنة (464هـ/1071م) قال عنه وكان ابن عمار رجلاً عاقلاً فقيهاً، شديد الرأي، وكان شيعياً من فقهاءهم، وكانت لهم دار علم في طرابلس، فيها ما يزيد على مائة ألف كتاب وقفاً، وهو الذي صنف (ترويح الأرواح ومصباح السرور والأمرح).

وفي سنة (472هـ/1079م) ومنع الدار وجدها جلان الملك أبو الحسن علي بن محمد بن عمار، وأضاف إليها كتباً كثيرة

وكان منو عمار لا يعهدون بأمر الدار إلا لأجلُ العُلماء في الفقه والعلم،
ومن يُناصر مذهبهم ومن تولأها الحسين بن بشير بن علي بن بشير الطربلسي،
المعروف بالقاضي، قال عنه الذهبي ذكره بن أبي طي من رجال الشيعة
وقال كان صاحب دار العلم بطرابلس، وله حطب يُصاهي خطب ابن نباتة،
وله مناظرة مع الخطيب البغدادي، ذكرها الكراجكي في رحلته، وحكم له على
الخطيب بالتقدم في العلم.

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه أن الدار كانت دار دعوة للفاطميين الذين كانوا
يسعون في نشر مذهبهم في بلاد سورية، وقد نجحوا في ذلك بعض النجاح، فإن
مادئ الفاطميين تسربت فيها، وتعدتها إلى بلاد الجزيرة وبغداد، وخطب
للخليفة الفاطمي في كثير من بلاد العاصميين، كما حدث هذا بسورية
والموصل، وفي بغداد نفسها، كان هذا بتأثير الدعوة الفاطمية القوية التي
نظموها ونشروها في طول البلاد الإسلامية وعرضها، فكان لهم مراكز للدعوة
في سورية وبلاد الجزيرة والعراق، ومن أقوى المراكز التي كانت في سورية هي
دار الحكمة التي تولأها آل عمار، وأما زارها بعلهم ومالهم فصارت من
المعاهد الإسلامية المعدودة في العالم الإسلامي.

كانت الدار تحوي كتباً كثيرة في شتى العلوم والمعارف والآداب، وقد مر
بنا أنه كان بها أول تأسيسها مائة ألف كتاب، وما زالت الكتب في زيادة مما
يجمعه آل عمار، وما يكتبه السامعون، ويؤلفه العلماء، حتى تضاعف عدد
الكتب فيها

قصدها العلماء من مختلف أنحاء الشام للاستفادة من كتبها وعلمائها،
ومن زارها فيلسوف المعرفة أبو العلاء المعري الشاعر المشهور.

وصلتنا روايات متصارعة عن عدد كتبها، وهي على اختلافها مدل على كثرتها، وإنها كانت من معاهد العلم الكبيرة في الإسلام، خدمت العلم والفقه والأدب والحكمة أجل خدمة حتى دمرها الصليبيون سنة 553هـ/1109م

قال ابن الأثير عند كلامه عن هجوم الصليبيين على طرابلس فهجموا على البلد وملكوه عنوة، ونهبوا ما فيها، وأسروا رجالها، وسبوا نساءها والأطفال، وعمروا من أهلها من الأموال والأمتعة وكتب دار العلم ما لا يُحصى ولا يُحصى.

يؤيد هذا ما ذكره بن خلكن فقال: وحصل في أيديهم من أمتعتها وذخائر دار كتب علمها، وما كان في خزائن أربابها ما لا يُحصى ولا يُحصى.

فهم مجمعون على أن تدميرها كان على أيدي الصليبيين، وأن ما أتلفوه من كتبها كن عدداً كبيراً، ونقل جرجي زيدان عن جيبون Gibbon أن عدد الكتب التي أحرقها الصليبيون في دار العلم كانت ثلاثة ملايين

وقال البستاني عند كلامه عن طرابلس: وكانت المدينة على ما أثير المؤرخون عامرة بالزراعة والصناعة، حتى أنهم روي أنه كان فيها نحو من أربعة آلاف نول للنسيج، ناهيك بما كانت تحوي من نتائج العفول، إذ كان فيها مكتبة شهيرة، اختلف الرواة في عدد كتبها بين مئتين ومئتين، قالذي أقل م ينقص عن مائة ألف مجلد، والمكثرتجاوز الملايين لثلاثة عداً قيل وكانت من كتب اليونان والرومان والفرس والعرب

ومهما يكن من أمر، فإن دار العلم المذكورة كانت من الدور الجليلة، عامرة بكتبها الكثيرة المتنوعة في شتى المواضيع والعلوم: من علمية وفلسفية وفقهية وأدبية بلغات متعددة.

ويذكر ابن انهرات عند كلامه عنها، وإهتمام آل عمار بنشر العلم في طرابلس (أنَّ طرابلس في زمن آل عمار صارت جميعها دار علم)

ومن المؤسف أن يكون نصيب هذه الكتب الجليلة، كنصيب كثير من كتب دور العلم في الإسلام، التي أحرقت أو أُلغيت أو لعبت بها أيدي الجهَّال، وأصحاب الأهواء، كما حدث هذا في الشرق على أيدي التتر، وفي الأندلس على أيدي الإسبان.

فكان مصير هذه الكتب على أيدي قومٍ جهَّال، أعملوا فيها النهب والتدمير والحرق، وتركوها كومة رماد كما أعملوا السيف في رقاب أهل طرابلس، فلم ينجُ منهم إلا من رحم الله.

دار الحكمة في مراغة

نصير الدين الطوسي أحد الأعلام الذين تبعوا في القرن السابع الهجري ولد بمدينة طوس سنة (597هـ/1201م) وتلقى علوم الحكمة والفلسفة على علامة زمانه كمال الدين بن يونس الموصلي

كان نصير الدين يتنقل بين بغداد وفهستان، ويأخذ عن العلماء، ثم اتصل بالإسماعيلية فقرّبه رئيسهم صاحب قلعة (آلموت) وعاش في أكثفهم زمناً، وألف عندهم معظم كتبه، واتصل بهولاكو، فأعجب به وأصطحبه معه في حله وترحاله، وكان هولاكو بطبعه فيما يُشير به عليه، فأنقذ جماعة من العلماء والحكماء والفلاسفة والمنجمين من القتل، وشفّع لهم عند هولاكو، بما عندهم، وأصطحبهم نصير الدين معه.

أسس نصير الدين بمدينة (مراغة) دار حكمة جمع فيها كتباً مختلفة من بلاد العراق والجزيرة والشام، وذلك بعد أن أُمْتُولى عليها (هولاكو) فنقل منها أربعمئة ألف مُجلّد، في شتى العلوم والفنون والمعارف، خاصة في علوم الحكمة والفلسفة والمنطق والهندسة والهيئة والنجوم

وفي سنة (662هـ/1273م) قدم نصير الدين إلى بغداد من جهة هولاكو، فنظر في الأوقاف، وأحوال البلد، وأخذ كتباً كثيرة من سائر مدارسها، ونقلها إلى رصده الذي بناه في مراغة

ورتب في دار الحكمة من الحكماء والفلاسفة والأطباء والمنكلمين والمحدثين والفقهاء، وجعل كتب الحكمة والفلسفة والرياضيات في قبة كبيرة، ورتب لمن يشتغل فيها من الجراية ما يكفيهم، فلكل واحد منهم ثلاثة دراهم في اليوم، وجعل بها دار طب، ورتب للطبيب فيها درهما في اليوم، وبها

مدرسة للفقه، لكل فقيه في اليوم درهم واحد، وبها دار حديث، لكل محدث نصف درهم في اليوم.

وفي شهر جمادي الأولى من سنة (657هـ / 1268م) شيد بجانب دار الحكمة مرصداً، عُرف هذا المرصد بآلاته الدقيقة، وبالعلماء الذين كانوا يشتملون فيه، جمع بصير الدين من أنقذهم من هلك هولاء، وجاء بهم إلى دار الحكمة في مراعاة منهم: ركس الدين الاستراباذي وبخر الدين المراقبي من الموصل، والفخر الخلاطي من بنليس، وعز الدين بن الفوطي من بغداد وقطب الدين الشيرازي، ونجم الدين الإسطرلابي، وظهير الدين الشرواني، وحسام الدين الشامي. ويشتمل معهم في المرصد صدر الدين علي بن الخواجه نصير الدين، وأصل الدين حسن بن الخواجه نصير الدين وكان في الرصد من مختلف الآلات شيئاً كثيراً، منها.

ذات الحس وهي خمس دوائر متحدة من نحاس، الأولى دائرة نصف النهار، وهي مركوزة على الأرض، ودائرة معدل النهار، ودائرة منطقة البروج، ودائرة العرض، ودائرة الميل.

وفي الرصد أيضاً قبة الدائرة الشمسية يُعرف بها سميت الكواكب، وإسطرلاب تكون سعة قطره ذراعاً، وإسطرلابات كثيرة، وكتب تبحث عن هذه الآلات وكيفية استعمالها.

وأن بصير الدين أخذ من هولاء لعمارة الرصد مبلغاً كبيراً، وأقل ما كان يأخذه بعد فراق الرصد لأهل الآلات وإصلاحها عشرين ألف دينار في السنة

كأنت الدار جامعة واسعة، يُدرّس فيها أشهر العلماء والحكماء
والملاسة والمنجّمون والملكيون والفقهاء والمحدثون، ولكن كان اهتمامه
بعلوم الحكمة والهيئة والملك أكثر من غيرها، كما يتضح لنا من المرتبات التي
عينها للمشتغلين بها

كان هو لا كثر قد فرّس إلى بطومسي إدارة الأوقاف في جميع البلاد التي
استولى عليها، يعين مواباً عنه في البلاد، يتولّون إدارة الأوقاف، ويرسلون عُشر
وارداتها إليه، فكان يصرفه على دار الحكمة والبرصد⁽¹⁴⁾

توفي نصير الدين الطوسي سنة (672هـ/1273م) وله تصانيف كثيرة في
النجوم والهيئة والمنطق والطبيعة والإلهيات، منها كتاب (أحلاق فارس) يذكر
ابن العبري عنه أنه في غاية ما يكون من الحسن، جمع فيه نصوص أفلاطون
وأرسطو في الحكمة العملية.

الباب الثاني

خزائن الحكمة

خزانة الحكمة - للفتح بن خاقان

هو الفتح بن خاقان بن أحمد (غرطوح) الركي، وزير الخليفة المتوكل على الله العباسي (232 - 247 هـ / 846 - 861 م) كان في نهاية الذكاء والفطنة، وحسن الأدب، زكي النفس، حسن العشرة، في عاية الجود والكرم، اتخذه المتوكل أحاً، وكان يُقدّمه على أهله وأولاده

كان بصيحاً شاعراً مولعاً بالعلم والأدب والفلسفة والطب والنجوم، وكانت داره مجمع أهل الفضل والأدب، يعقد فيها المجالس العلمية، والمناظرات الأدبية، ويُشارك القوم في علومهم ومعارفهم، وله مواقف دقيقة معهم، تدل على منزلته السامية في العلوم، ونفوذه في الكثير منها.

وله شعرٌ رقيق، ذكر ياقوت منه نحية تدل على شعوره المرهف، وبراعته في اللغة، وجودة النظم، كقوله.

أيها العاشق المذب صبراً فخطابا أخني الهوى معفورة

زفرة في لمرى أحط لذنب من غزاة و حجة مبرورة

وهو أحد الثلاثة الذين عُرفوا بحبهم أنشيد للكتب وكثرة المطالعة الجاحظ، وإسماعيل بن إسحاق القاصي، والفتح بن خاقان.

يذكر عنه المؤرخون: أنه قلماً كان يُعارق الكتاب، حتى في مجلس الخليفة المتوكل، فكان يحمي الكتاب في كُمه أو جيبه إذا حضر، فإذا قام، الخليفة بحاجة أخرج الفتح الكتاب من كُمه وقراه، إلى عودة الخليفة

كان جماعاً للكتب أنفق المدلغ الكبيرة على التراحة والمؤلمين والنسأحين، واجتمع عنده غنية ممتازة من شتى الكتب المختلفة.

وكان الذي يُشرف على كُتبه ويختارها له أبو الحسن علي بن عيسى
المنجّم، أحد علماء عصره، ذكر ياقوت أنَّ علياً جمع للمتبحر (خزانة حكمة)،
نقل إليها من كتبه، وبما أستكتبه الفتح أكثر ما اشتملت عليه خزانة حكمة
قط⁽¹¹⁵⁾.

ويذكر ابن اندليم أنه لم يرَ أعظم منها كثرةً وحداً، لما تحويه من الكتب
الفيسة في العلوم والآداب، فتجد فيها كتب الفلسفة والطب والمنطق
والرياضيات والنجوم والسير والتاريخ والآداب وغيرها

ولا شك أنَّ الخزانة كانت تحوي كتب الفتح بن حاقان، وهي كتاب
البيستان، وكتاب أحلاق الملوك، وكتاب الصيد والجوارح، وكتاب الروضة
والرهز. كما كانت تحوي الكتب التي ألّفت له مثل كتاب التاج في أخلاق
الملوك، وكتاب مناقب الترك وعامة جند الخلافة، وكلاهما للجاحظ ألفهما
للفتح، وأخبار الملوك لمحمد بن الحرث الشعبي، وكتاب القبائل الكبيرة
والأيام، جمعه للفتح بن حاقان محمد بن حبيب أبو جعفر، وكتب المفضل بن
سلمه بن عاصم أبي طالب النحوي اللعوي، فإنه كان منقطعاً إلى الفتح بن
حاقان، وله كتب كثيرة.

لم نقف على مصير هذه الخزانة الثمينة بعد مقتل الفتح مع المتوكل سنة
(247هـ / 861م) لأن أخبارها تنقطع عنا.

خزانة الحكمة لآل المنجّم في كركر

آل المنجّم من الأسر المارسية العريقة بالعلم، أول من أسلم منهم يحيى
بن أبي منصور، كان متصلاً بالفصل بن سهل، ووصله هذا بالخليفة المأمون

فرغهُ بالإسلام وأسلم على يده، وأحتص به المأمون، وكان من مُنَجِّميه الذين يُعَوَّل عليهم في الرصد، وعهد إليه مع جماعة من المنجِّمين أن يقوموا برصد الكواكب في الرصد الذي كان في الشَّصَّاسِيَّة ببغداد، والرصد في جبل قاسيون بدمشق، وذلك في سنة (215 - 217هـ / 830 - 832م)

ثم سافر إلى بلاد الروم لتحصيل كتب الحكمة، فتوفي بطرسوس، ونُقل إلى حلب ودُفن بمقابر قريش، وأعجب أولاداً كانوا علماء أعلام.

كان أشهرهم (أبو الحسن علي) على جانب من العلم والأدب، راوية للأخبار والأشعار، شاعراً حسناً، أخذ عن إسحاق الموصلي الأدب وصنعة الغناء.

أتصل بمُحمَّد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي، ثم اتصل بالفتح بن خاقان وزير المتوكل على الله العاسي، وقد مرَّ بنا أنه عمل له خزانة حكمة كبيرة كانت من الخرائات المعدودة في العصر العاسي.

ثم اتصل بالخليفة المتوكل، وصار من تدمائه المتقدمين عنده، وبقي مخلصاً بالحنفاء، يُحَالِسُهُمْ وَيُتَادِمُهُمْ وَيُعِيهِمْ، إلى أيام المعتمد على الله.

وبلغ من المنزلة عندهم أنه كان يجلس بين يدي أسرتهم، ويقصون عليه بأسرارهم، ويأمنونه على أخبارهم، ولم يزل على هذا حتى توفي سنة (275هـ / 888م) ودُفن بسرٍّ من رأى ورثاء أجل شعراء عصره: مثل عبد الله بن المعتز، وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر وغيرهما¹¹⁶.

كان شاعراً راوية إحصارياً علامة أيام العرب وأخبارها، وله مؤلفات بهذا الباب، مثل كتاب الشعراء القدماء والإسلاميين، وكتاب إسحق بن إبراهيم، وكتاب الطييح وغيرها.

كان هو وأخوته من الذين يُعتنون بكتب الحكمة والفلسفة والمنطق والموسيقى، ولهم جماعة من التراحة يشتغلون بترجمة الكتب التي يرغبون فيها، منهم: حنين بن إسحاق، وإصطفي بن لراهب، وإسحاق بن حنين، وثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابي وغيرهم وثقلت عنه كتب باسم أبي الحسن علي، نقل له إصطفي بن لراهب هو وإسحاق بن حنين كتاب المقاييس الجالينوس، وألف له ثابت بن قرة بن مروان الحراني الصابي كتاباً في علم الموسيقى، وعمل له حنين فهرست كتاب جالينوس وغيرها من الكتب.

فكانت داره مجمعاً لأهل العلم والأدب، وكان هو يُقرّبهم إلى الخلفاء والأمراء، ويستخرج لهم منهم الصلات

وأنجيب أسرة علمية يقول عنهم الأُمدي: "وهو وأهله وولده وأولادهم، في البيت الخطير من الدين والأدب والشعر والفضل، ولا أعلم بيتاً أتصل فيه إلى هذه الأنواع الشريفة ما أتصل لهم وفيهم

ويقول التوحي عند كلامه عن أحد أحفاده أبي العباس هبة الله بن محمد بن يوسف: "وَحَلَّ أَهْلَهُ وَصَلَهُ وَبَيْتُهُ فِي مُتَادِمَةِ الْخُلَفَاءِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْأُمَرَاءِ مَشْهُورٌ، وَمَوْضِعُهُمْ مِنَ الْكَلَامِ وَالْحُجُومِ وَالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَقَوْلِ الشَّعْرِ وَتَصْيِيفِ الْكُتُبِ فِي أَنْوَاعِ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ."

وأراد أبو الحسن عني أن يُحلّد ذكره، وذكر آل مُنجم مدار كتب جليّة، تجمع صوف كتب الحكمة والفلسفة والمنطق والحجوم والموسيقى والآداب

والتاريخ وغيرها من العلوم، تكون مرجعاً لمن يقصدها من الناس على اختلاف طبقاتهم، وجعل بها من التسهيلات التي تُساعد على المطالعة والنسخ والدرس، تُقدّم لهم الكتب، ويُبدل لهم ما يحتاجونه من أدوات الكتابة ولو زملها، وما يلزمهم من طعام ومسكن، ما داموا يدار الكتب المذكورة، فكان يرتادها العلماء والأدباء وطلاب العلم، فيجدون ما يساعدهم على التحصيل.

قال ياقوت الحموي: كان يكرّر من بواحي القمص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى المنجّم، وقصر جليل، فيه خزانة كتب عظيمة. يُسمّيها (خزانة الحكمة) يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها، ويتعلّمون منها صفوف العلم، والكتب مبدولة في ذلك هم، والصيانة مشتملة عليهم، وانفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو جعفر المنجّم من خراسان يريد الحج وهو إداك لا يُحسن كبير شيء من التحوم، فوصفت له لخزانة فمضى وراءها فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم الجوم، وأغرق فيه حتى الحد وكان ذلك آخر عهده بالحج والدين وبالإسلام أيضاً

لم ينف على مصير هذه الخزانة النفيسة التي حوت كتباً سادرة في شتى العلوم والآداب، وحوت مؤلفات آل المنجّم، والكتب التي تُرجمت لهم وألفت باسمهم

ولمّا تُرجم أن الخزانة بقيت على حالها بعد موت أبي الحسن علي، لأن أولاده وأحماده ساروا على نهجه، من محبة العلوم والآداب، فلا شك أن الخزانة لاقت من عنايتهم ما لاقت من مؤسسها علي

صوان الحكمة في بخارى

منصور بن نوح بن نصر الساماني (350 - 366هـ / 961 - 977م) من أمراء الدولة السامانية التي قامت في ما وراء النهر، وعاصمتها مدينة بخارى كانت الدولة السامانية تُعنى بالعلم والعمران، وازدهرت بخارى على عهدهم، وصارت من المدن التي تُشدُّ إليها الرحال

شيد السامانيون فيها دار كتب كبيرة سَمَّوها (صوان الحكمة) لما تحويه من كتب الحكمة المختلفة، يقصدها العلماء والحكماء والأدباء لمطالعة فيها والأخذ عن العلماء والحكماء المتصدرين فيها، والدار واسعة فيها عدة قاعات، في كل منها صناديق فيها كتب علمي واحد، غرفة للشعر وأخرى للحكمة وثالثة للفلسفة الخ...

وخير من وصف هذه الدار هو العلامة ابن سينا عند كلامه عن اتصاله سلطان بخارى نوح بن منصور فقال فسألته يوماً الإذن لي في دخول دار كتبهم، ومطالعها وقرءة ما فيها من كتب الطب، فأذن لي، فدخلت داراً ذات بيوت كثيرة، في كل بيت صناديق كتب، منفصلة بعضها على بعض، في بيت كتب العربية والشعر، وفي آخر العقيدة، وكذلك في كل بيت علم مفرد، وطالمت فهرست كتب لأوائل، وطلبت ما احتجت إليه، ورأيت من الكتب ما لا يقع إلى كثير من الناس قط، ولا رأيت أيضاً من بعد وقرأت تلك الكتب، وظهرت بوائدها، وعرفت مرتبة كل رجل في علمه، فلما بلغت ثمانين عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها⁽¹¹⁷⁾.

وكان الملوك السامانيون يبدلون الرغائب للعلماء والفلاسفة الذين كانوا يغذون المكتبة المذكورة بالمؤلفات العلمية والفلسفية المختلفة، فحوت فرائد من علوم الحكمة والفلسفة والطب والفلك والرياضيات، فضلاً عما كان فيها من كتب الأدب والفقه والسيرة والتاريخ وغيرها

ومن الكتب الفريدة التي كانت تحويه هذه الخزانة كتب أرسطو، فقد حرص منصور بن نوح الساماني أن يحصل على ترجمة فريدة من كتبه، وعهد بالأمر إلى الفارابي الفيلسوف المشهور، فجمع الفارابي من بينها ترجمة ملخصة بحرية مذهبية، مطابقة لما عليه الحكمة، ونقل كما أراد وسمى كتابه (بالتعليم الثاني) ولذلك لُقّب بالمُعَلِّم الثاني وكان هذا في خزانة المصور إلى زمان السلطان مسعود من أحفاد المصور كما هو مسود بخط الفارابي غير مخرج إلى الياص وكان الفارابي غير متلفت إلى جمع نصابه، وكانت تلك الخزانة تُسمى (صوان الحكمة)⁽¹¹⁸⁾.

والشيخ الرئيس أبو علي ابن سينا تقرب إلى المصور بسبب الطب، حتى استوزره، وصنم إليه خزائنه الكتب، فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب، واستفاد منها استفادة كبيرة بإطلاعه على مختلف الكتب التي فيها، خاصة الطبية والفلسفية.

ومن الكتب التي استعان فيها في دراسته كتاب التعليم الثاني، فإنه عكف على دراسته بكل جد وإمعان، ولخص منه كتاب الشفاء، وأن ابن سينا يعترف باستفادته من هذه الكتب ومن التعليم الثاني خاصة.

وكانت نهاية هذه الخزانة محزنة، فإنها احترقت ولا يعلم سبب احترانها ونسب بعضهم هذا إلى أبي علي ابن سينا بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة،

وَأَلَّفَ مِنْهَا مَصْنُفَانَهُ ثُمَّ أَحْرَقَهَا لَثَلَا بِتَشْرِيبِ النَّاسِ بِأَنَّهُ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ مِنْ كُتُبِ
الْفَارَابِيِّ وَغَيْرِهِ. وَهَذَا افْتِرَاءٌ عَلَى ابْنِ سِينَا لِأَنَّهُ صَرَّحَ فِي رِسَائِلِهِ وَفِي الشِّفَاءِ
بَأَنَّهُ كَتَبَهُ عَمَارَةَ عَنْ تَلْخِيصِ التَّعْلِيمِ الثَّانِي لِلْفَارَابِيِّ^(١٩)

الباب الثالث

دور العلم

دار علم جعفر بن حمدان في الموصل

أبو القاسم جعفر بن حمدان الموصلي (240 - 323هـ / 854 - 934م) أحد فقهاء الشافعية، وله تأليف جليلة في الفقه، كما كان مضطرباً بعلوم كثيرة في الأصول والحكمة والهندسة والشعر والأدب، ناقداً بصيراً للشعر، كثير الرواية له كان صديقاً لعلماء عصره وشعرائهم، وله مراسلات معهم كتغلب والمبرد والبحتري الشاعر، ورثاه بعد موته بقصيدة منها قوله

تعولت السدع والقصيد وأردى الشعر مذ أودى الوليد
وأظلم جانب الدنيا وعادت وجوه المكرمات وهنّ سود
فقل للدهر يجهل في الرزايا ميسر وراء سمعته مزبد

دخل بغداد ومدح الخليفة المعتمد بالله العباسي بقصيدة طويلة، ذكر فيها ما يحسنه من العلوم الدينية والأدبية، وتجنّح بمعرفة إقليدس وأشكاله، وريادات رادها في أعماله، وأنصل بالوزير قاسم بن عبيد الله، وله تكييف كثيره في الأدب، فريدة في بابها.

قل عنه ياقوت حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر أديب فاضل ناقد للشعر ومن تأليفه الباهر في أشعار المحدثين، عارض فيه كتاب الروضة لصديقه المبرد، وكتاب الشعر والشعراء الكبير، لم يتم ولو تم لكان غاية في معناه، وكتاب السرقات لم يتم أيضاً، ولو أنه لاستغنى الناس عن كل كتاب في معناه، وكتاب محاسن أشعار المحدثين، وغيرها

وأشتهر ابن حمدان بدار العلم التي أسسها في الموصل، وهي أقدم دار علم - في الإسلام - وقفنا على أخبارها كانت الدار تُفتح كل يوم لطلاب العلم والأدب والعق، فيجدون فيها الكتب المختلفة، وأدوات الكتابة ولوازمها، وإن كانوا مُعسرين فإنه كان يُنفق عليهم من ماله

قال ياقوت: كان ابن حمدان كبير المحل من أهل الرياسات بالموصل، وم يكن بها في وقته من ينظر إليه، ويفضل في العلوم سواء، متقدماً في الفقه، معروفاً به، قوياً في السحر فيما يكتبه، عارفاً بالكلام والجدل مبرراً به، حافظاً لكتب اللغة راوية للأخبار، بصيراً بالنجوم، عالماً مطلعاً على علوم الأوائل، عالي الطبقة هيباً، وكان صديقاً لكل ورياء عصره، مداحاً لهم، آنساً بالمبرد وتعلب وأمثالهما من علماء الوقت، مفضلاً عندهم وكانت له سلته (دار علم) قد جعل فيها حراة كتب من جميع العلوم، وقفاً على طالب العلم، لا يمنع أحد من دخولها، إذا جاءها غريب يطلب لأدب، وإن كان مُعسراً أعطاه ورقاً وورقاً، تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجمع إليه الناس، فيُملئ عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته، شيئاً من النواذر المؤلفة، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به، ثم يملئ من حصته من الحكايات المستطابة

لا نعلم ما آلت إليه الدار المذكورة بعد نكبة ابن حمدان، فإن جماعة من أهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والورراء والعلماء، وكان قد جحد بعض أولاده، وزعم أنه ليس منهم، فعاندوه بسبه، وزعموا أنه نفاء ظلماً، واجتهدوا أن يلحقوه به فما تم لهم، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً وشهدوا عليه فيه بكل قبيح عظيم ونفوه عن الموصل، فإلحدر هارباً منهم إلى مدينة

السلام، ومدح المعتصم بقصيده يشكو فيها ما دله منهم، ويصف ما يحسنه من العلوم، ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما

وبعد هذا الحدث تقطع عنا أخبار الدار التي خدمت لموصل، ويسُرت لأهلها سبيل العلم والأدب⁽¹²⁰⁾.

دار علم البستي

أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ التميمي البستي الحافظ الجليل، كان من فقهاء الدين واللغة، وحفاظ الآثار، عالماً بالطب والنجوم وفنون العلم، وله التأليف الحليّة منها لمسند والتاريخ وفقه الناس بسمرقند وكان من أوعية العلم ومن عقلاء الرجال، سافر ما بين الشاش والإسكندرية، وأخذ عن كثير من شيوخ الأئمة والعلماء، تولى قضاء سمرقند مدة طويلة ورد نيسابور سنة (334هـ/945م) وكانت الرحلة إليه وإلى مصنّفاته في حراسان ثم عاد إلى بلده وبقي بقرب داره مدرسة لأصحابه، ومسكناً للعرباء الذين يُقيمون بها من أهل الحديث والمتفهمة، ولهم حرايات يستنقونها داره، وفيها خزائن كتب، في يدي وصي سلمها إليه، ليبدّلها لمن يريد نسخ شيء منها في الصفة، من غير أن يُخرجه منها، توفي سنة (354هـ/965م) ودُفن بداره قرب مدرسته هذه، وكان قبره يُزار بعد موته.

كانت الدار مفتوحة لكل قاصد، فإن كان غريباً أقام بها، وتجري عليه النعقة مما أرصد على الدار، والكتب في تناول كل أحد، من غير أن يُخرجها من الدار.

بقيت الدار إلى أوائل القرن الخامس للهجرة - على ما عثرنا عليه - قال
ياقوت نقلاً عن أبي عبد الله الحاكم (321 - 405 هـ / 933 - 1014 م) أنها
اليوم مدرسة لأصحابه، ومسكن للفرهاء الذين يقيمون بها من أهل الحديث
والفقه..... الخ⁽¹²¹⁾

دار علم سابور - في بغداد

أسسها أبو نصر سابور بن أردشير (336 - 416 هـ / 947 - 1025 م)
وهو أحد وزراء الإمارة لبويهية في بغداد، ووزر لبهاء الدولة ثلاث مرات،
وورر لشرف الدولة أيضاً، كان يحب الخير عفيفاً عن أموال الناس، يحب
العلم وأهله، قرب العلماء والشعراء وأهل الفضل، وخلد ذكره في دار علم
أنشأها ببغداد بين السورين بجانب الكرخ.

ففي سنة (383 هـ / 991 م) أبتاع داراً كبيرة في الكرخ بين السورين،
وعمرها ويضعها، وسماها (دار العلم) ووقفها على أهله الذين يتمتعون بها،
ونقل إليها كتباً كثيرة، أبتاعها وجمعها، ووقف عليها الوقوف التي تكفل لإنفاق،
عليها، وعلى من يقوم منظارها، وخران الكتب والبوايين وغيرهم.

كانت الدار تحوي آلاف الكتب بالخطوط المنسوبة. فذكروا أن عدد كتبها
يزيد على عشرة آلاف مجلد، في شتى العلوم والمعارف: فنجد فيها كتب
الأدب والفقه والحديث والطب والفلسفة وغيرها

ومما يدلنا على أهميتها العلمية، أن بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم
بتقديم نسخة مما يؤلفونه من الكتب القيمة، إلى دار العلم، ليكون مرجعاً

للعلماء والمتعلمين الذين يرنادونها للدرس والمطالعة والسبح، وإلى ما يجري فيها من المناظرات العنمية والمساجلات الأدبية

ومن ذلك أنَّ جبرائيل بن عبد الله بن مختيشوع (المتوفي سنة 396هـ/1105م) بعد أن أتمَّ كدشه الكبير في طب - وهو في خمس مجلدات - وسمَّاه (بالكافي) نَبَأَ إلى كافي الكُفَّاءة صاحب بن عباد، فإنه وقف نسخةً منه على دار العلم المذكورة⁽¹²²⁾

وأحمد بن عبي بن خيران الكاتب المصري أبو محمد الملقب بولي الدولة، صاحب ديوان الإنشاء بمصر بعد أبيه تقلَّد ديوان الإنشاء للظاهر ثم للمستنصر، وتوفي سنة (431هـ/1039م) فإنَّه سلَّم إلى أبي منصور الشيرازي رسول ابن التجَّار إلى مصر من بغداد⁽¹²³⁾ جزأين من شعره، ورسائله ليعرضها على الشريف المرتضى أبي القاسم وعيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تحليده دار العلم، ليفذ بقية الديون والرسائل إن علم أن ما أنقذه منها أرتضى وأستجيد.

وصار للدار شهرةً في العلم الإسلامي، لما تحويه من نقائس الكتب، ومن كان يتصدر بها من العلماء والأدباء، فكانت مجمع أهل العلم والأدب في بغداد، وهي مما حملت فيلسوف المعرفة أبي العلاء المعري أن يرحل إلى بغداد سنة 399هـ فاجتمع علمائها وأدبائها، واجتمع إليهم وجادلهم وناظرهم، وتركت الدار أثرًا في نفسه ذكرها عدة مرات في رسالة الغمران وفي غيرها من مؤلفاته⁽¹²⁴⁾

ومن ذلك أنه كتب إلى أهل المعرفة، يعرفهم سبب رحلته إلى بغداد، جاء فيها وأحلف ما ساعرت استكثر من الشب، ولا أنكثر بقاء الرجال، ولكن

آثرت الإقامة (بدار العلم)، فشاهدت أنس مكان، ولم يُسعف الزمن الإقامة فيه. ... الخ

ومما يجدر ذكره أن فيلسوف المعرفة سمع حمامة تصيح بدار العلم فقال: ⁽¹²⁵⁾

وغنت لنا في دار صابور قينة من الورق مطراب إلا صائل ميهال
رأت زهراً غصاً فهاجت بهزهر مثابه أحشاء لطفن وأوصال
فقلت تغني كيف شئت فأنما غناءك عندي يا حمامة أعوال
وتحسدك البصر الحولي قلادة يجيدك فيها من شذى المسك ثمال

وكان بعضهم يدرس فيها فيجتمع إليهم طلاب العلم يأخذون عنهم جاء في معجم الأدباء عند كلامه عن علي بن فضال المجاشعي المغربي المتوفى سنة (479هـ/1086م) وكان من علماء زمانه وله عدة تأليف في علوم مختلفة وأنه كان يُدرّس فيها النحو

وأن أبا القاسم بن بامية دخل عليه دار العلم فوجده يُدرّس النحو في يوم بارد فقال ⁽¹²⁶⁾:

اليوم يوم قنارس بارد كأنه نحو ابن فضال
لا تقرؤا النحو ولا شعره فيعتري الفالج في الحال

وكان يُعهد لإدارة هذه الدر إلى أجل العلماء والأدباء، ومن ترواها

1 أبو أحمد عبد السلام بن الحسين بن أحمد البصري اللعوي المعروف بالواجكا المتوفى سنة (405هـ) كان عالماً أديباً قارئاً للقرآن عرقاً

بالقراءات وهو الذي استقبل أبا العلاء المعري⁽¹²⁷⁾ في هذه الدار، وعرض عليه أسماء ما فيها من كتب، فلم يستغرب فيها شيئاً لم يره بدور العلم بطرابلس سوى (ديوان تيم اللات)، فاستعاره منه، وخرج من بغداد سنة 400هـ وأعادته إليه بعد أن وصل بلدته المعرة، وأثنى عليه المعري عدة مرات.

2. أبو منصور محمد بن علي بن إسحاق بن يوسف الكاتب الخازن المتوفى سنة (418هـ) كان له معرفة بالأدب واللغة، وكان يتفقه على مذهب الشيعة، وهو فقيه في مذهبهم ومعنيهم، وذكره المعري في رسالة الغفران على لسان جارية كانت تُحرح الكتب للمساح والمطالعين أسماها توفق⁽¹²⁸⁾.

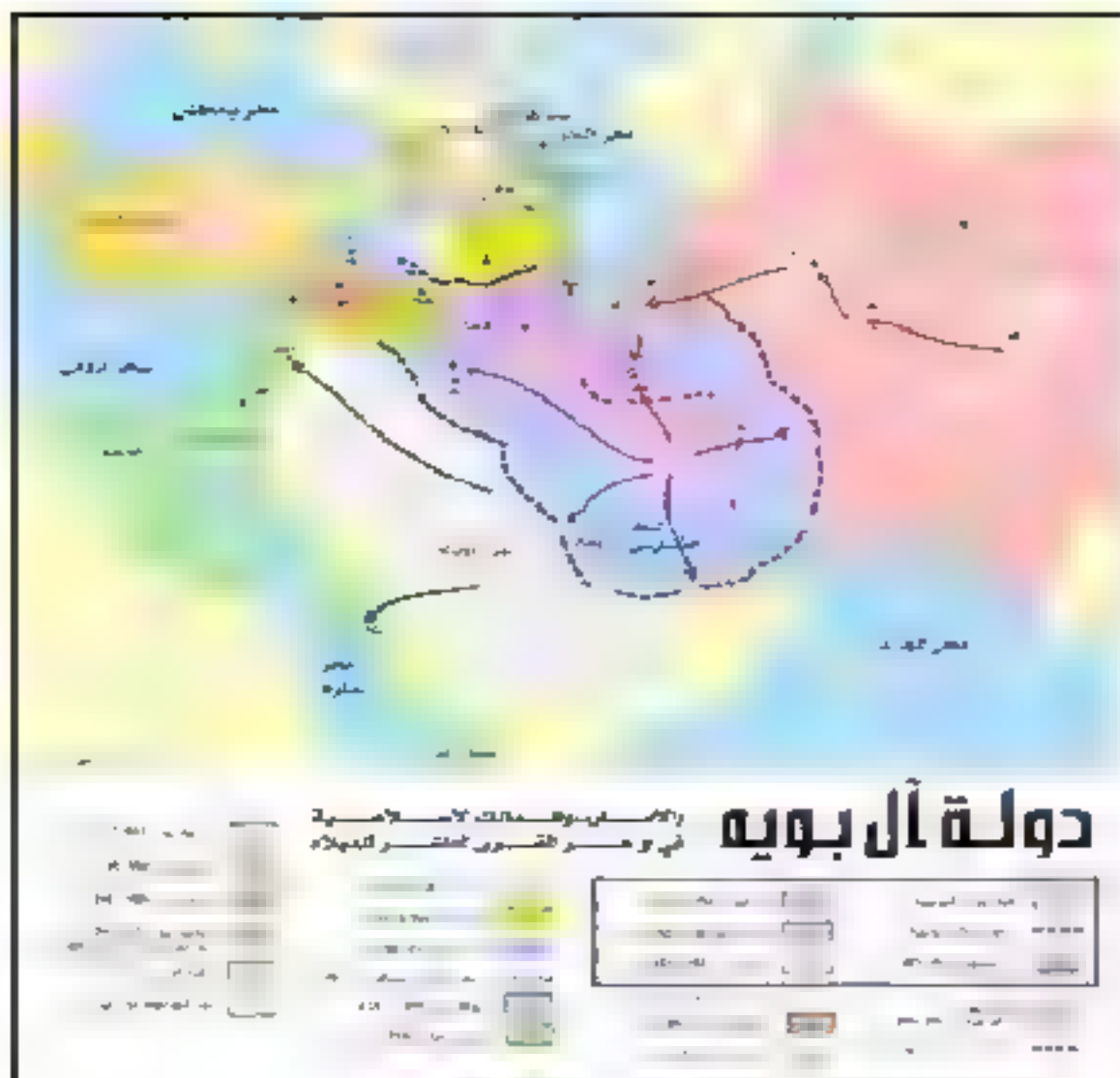
3. أبو عبد الله بن حمد، وكان يشغل مع الخازن ويُشرف على خراطة الكتب

4. الشريف المرتضى أبو انقاسم علي بن الحسن الموسوي نقيب الطالبين المتوفى سنة 436هـ - صاحب الأمانى - وهو من أجل كتّاب الأدب والتفسير⁽¹²⁹⁾.

5. أبو يوسف الإسفراييني كان خازن الكتب بها

وأستمرت الحركة العلمية في الدار حتى سنة (451هـ/1059م) فاحترق الدار، ذكر بن الجوزي حادثة أحتراقها في حوادث السنة المذكورة فقال:

وفيها احترقت بعداد الكرخ وغيره بين السورين، وأحترقت فيها حراة الكتب التي أوقفها سابور بن أردشير الوزير، ونُهبت بعض كتبها، وجاء عبد الملك الكندري وزير طغرل بك فإختار من الكتب خيراها، وكان بها عشرة آلاف مُجلّد، وأربعمئة مُجلّد من أصناف العلوم منها مائة مُصحف بخط بني مُقلّة، وكان العامة قد نهبوا بعضها لما وقع الحريق، فأراهم عبد الملك، وقعد بختارها، فنسب ذلك إلى سوء سيرته، وهكذا كانت نهاية الدار



هو مُحَمَّد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي، أبو الحسن الملقب بغرس النعمة، صاحب التاريخ المسمى (عيون التواريخ) دُيِّلَه على تاريخ أبيه هلال المتوفى سنة 448هـ وكان غرس النعمة هذا قاصلاً أديباً مترسلاً، وله صدقة ومعروف، محترماً عند الخلفاء والملوك والوزراء، توفي سنة 480هـ.

ومن محاسنه دار العلم التي أسسها ببغداد سنة (452هـ/1060م) قال عنها ابن الخوزي في حوادث هذه السنة وفي رجب وقف غرس النعمة مُحَمَّد بن هلال الصابي دار كتب بشارع أبي عوف من غربي مدينة السلام، ونقل إليها نحو من ألف كتاب⁽¹³⁰⁾.

وكان السبب في هذا أن الدار التي وقفها سابور الورير بين السورين - احترقت ونُهب أكثر ما فيها، فبعثه الخوف على دهاب العلم أن وقف هذه الكتب.

وجاء في المهرات النادرة لغرس النعمة أنه: رثب عنده في خزن الكتب بدار العلم من شارع ابن أبي عوف - أبو طاهر بن أبي قيراط العلوي - فكان هذا يُشرف على خزن الكتب⁽¹³¹⁾ ومن تولى بها خزن الكتب أبو مُحَمَّد يحيى بن مُحَمَّد الأقسامي العلوي، المتوفى سنة 500هـ وسعين وأربعمئة، فتصرف هذا في كتبها، فحكَّ ذكر الوقف منها وباعها⁽¹³²⁾.

دار علم ابن المارستانية

أبو بكر عبيد الله بن عبي التيمي لبكري، المعروف بابن المارستانية المتوفى سنة (599هـ/1202م) كان أبوه وأمه يخدمان المرضى بالمارستان العضدي،

الذي أسسه عهد الدولة البويهية، على دحلة ببغداد. فنشأ عييد الله نشأه علمية، فكان يعرف الطب والحكمة وعم النجوم، وله حلقة بجامع القصر في كل يوم جمعة، يقرئ فيها الحديث، ويجتمع إليه الناس فيأحدون عنه وكانت بينه وبين عييد الله بن يونس صدقة فلما ورر هذا أختص به وقره

كان ابن المارستانية معرماً يجمع الكتب، فحصل كلاً كثيرة، وبى داراً برب الشاكرية ببغداد، سمّاها (دار العلم) وجعل فيها خزانة علم، أوقفها على طلاب العلم، وبها كتب كثيرة متنوعة، منها كتبه الذي ألفه في تاريخ ببغداد وسمّاه (ديوان السلام في تاريخ در السلام)

وكان يتولّى النظر على اليمارستان العضدي، فلم تُحمد سيرته فيه، وقبض عليه وسجن مع المجانين، مسلسلأ في المارستان مدة.

وبيعت دار لعلم وما كانت فيها من كتب وأثاث، ثم أطلق سراحه بعد هذا وأخذ بطلب الناس، وصادف قبولاً منهم، فأثرى وحسنت حاله، وحصل كلاً كثيرة^(١٣٣).

الباب الرابع

دار الحكمة

في الدولة الفاطمية

في الدولة الفاطمية

قامت الدولة الفاطمية في المغرب وفي مصر على دعائم من العلم والثقافة والعقل وعندما يعود إلى الوراء ونستعرض ما بناه وحققه آباء وأجداد الحاكم بأمر الله في محال العلم نقف مقربين بهذا التفوق وتلك الرغبة التي كرسوا لأجلها حياتهم ووجودهم. ولا غرو فإن العلوم والثقافة ازدهرت كلياً في مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ففي تلك الفترة رفع النوبيون والحمدانيون لواء العلم والأدب في المشرق، كما ساهم العباسيون والأندلسيون في ذلك ولكن الفاطميين كانوا أكثر رغبة وإبداعاً في هذا السبيل، وما ذلك إلا لأنهم كانوا يعتقدون بأن كل نهضة علمية، لا يمكن لها أن تنصل إلى مستوى السبق والازدهار إلا إذا تولتها أيدي أحفاد الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هذا ومن جهة ثانية فإن الإسماعيليين كانوا يعتقدون بأن الإمام هو مصدر العلم والعرفان، وأنه هو المعلم.

ومن الجدير بالذكر أن الخليفة الفاطمي الثالث المنصور بالله أشتهر بسعة إطلاعه، ولم تشغله مهام الخلافة وأعباء الحكم عن البحث والتأليف، وقد ثبت أنه كثيراً ما كان يُحتم على ابنه وولي عهده المعز لدين الله بأن يتوفر على الدرس والتحصيل والتروء من العلم، وليس هذا وحده بل حرص على حث العلماء على الاستزادة من العلوم ومواصلة البحث ولدراسة

ومن الواضح أن مكتبة الفاطميين التي كانت في انصورية⁽¹³⁴⁾ بالمغرب ثم انتقلت إلى القاهرة المعزية كانت راخرة بالكتب ومفتوحة لأبواب لكل

طالب وراغب، ومن المشهور عن الخلفاء أنهم كانوا يعقدون المجالس العلمية، والندوات الثقافية، فيحضرها رجال الدولة والعلماء والأدباء فيُطهرون مقدراتهم وإمامهم بالفلسفة وعلم التأويل والعقيدة والحديث والطب والهندسة وعلم الفلك وغيرها من العلوم والآداب، ومن جهة أخرى يستحثون الرعية على التروّد من العلم وفقاً لطريقتهم ومبادئهم التي تنص بأنّه من الخير لهم أن يحكموا شعباً مثقفاً وأن تنالهم من ذلك المتاعب على أن يحكموا شعباً جاهلاً متخلفاً وشجعوا العلماء وقربوهم وأجروا عليهم الأموال والأرزاق، وفتحوا مكباتهم في القصور للعلماء ولطلاب العلم، وأباحوا لهم الإطلاع على الكسب ودراستها واستنساخها وانتفاقه فيها، كما أباحوا لهم سماع المحاضرات من كبار العلماء في لماعات والمساجد التي هياؤها لهذا العرص وبالإضافة إلى كل ذلك فقد كان لهم مجالس خاصة خارجة عن هذا النطاق، وتسمى مجالس الحكمة

والتي سنحاول دراستها في بحثنا هذا وهي خاصة بتماليم الدعوة الإسماعيلية، ففيها كان الدعاة يتولون شرح ما غمض من كتب الباطن والتأويل والفلسفة والإلهيات، حتى أن هذه المجالس كانت جزءاً من مخططات الدولة، وكان لها أثرها البارز في سير الدعوة في الأقطار الإسلامية بحيث كان يختار للإضطلاع بها دعاة من العلماء والأدباء. وبهذا يستطيع القول بأنّ الفاطميين قد ضربوا بسهم وافر في تنظيم شؤون دعوتهم فنت ثمرات مطرداً، وأنجبت رجالاً أفاضوا سبقوا عصورهم وقدموا للعالم الإسلامي أروع النتائج الفكرية، وأغزر الثمرات العلمية⁽¹³⁸⁾

لقد كانت مصر نصيرة العلوم والآداب حتى جاء الفاطميون ليضيفوا إلى ذلك اهتمامات أوسع مدى، فلما قامت دولتهم في مصر شغلت بادئ ذي بدء توحيد ملكها المتي، فكان اهتمامها بالحركة العلمية محدوداً، ولا يُشكّل كبير

عناية. بيد أن الحركة الفكرية لم تنبت أن لاقت اردهارها في قيام الجامعة الفاطمية الكبرى (الأزهر) التي بناها بأمر الخليفة المعز لدين الله القائد جواهر الصقلي⁽¹³⁶⁾، ثم أنشئت فيما بعد بعهد الخليفة العزيز بالله الحلقات الدراسية التي استحوطت إلى محاضرات جامعية، كما نُظمت مجالس الحكمة في لقصر، وفي جامعة الأزهر أيضاً، وأنشأ الخليفة الحاكم بأمر الله جامعة دار الحكمة وهي أول مجمع علمي أو أكاديمية تأسست في لعالم، بحيث كانت تُلقى فيها المحاضرات على الطلاب من مختلف المذاهب، ولم تقتصر على النواحي الدينية، بل تعدتها إلى النواحي العلمية والفلسفية ولأدبية والعلوم والقنون الأخرى

ويجب أن لا يعرب عن بالما كان لنورير يعقوب بن كلّس⁽¹³⁷⁾ من أثر سارز في توجهه الأزهر إلى مصيره الجامعي، وقد أدرك الحسن بن زولاق المصري⁽¹³⁸⁾ عميد الحركة الأدبية في عصر الإحيثيين أثر الدولة الفاطمية، فأخذ بقسطه في زعامة تلك الحركة، وتولّى رعايتها في عهد الخليفتين المعز لدين الله والعزيز بالله، ومما يجب أن يُذكر أن المعز لدين الله أولاء عظمه وتقديره، وابن زولاق عُرِف بأنه وضع كتاباً عن المعز لدين الله، ولكن هذا الكتاب فقد مع كل أسف، ولم يُعثر له على أثر

وفي عصر الخليفة الحاكم بأمر الله اردهرت الحركة الأدبية والعلمية في مصر، وقامت دار الحكمة والى جانبها دار العلم الذي كان يضم المكتبة الفاطمية الكبرى، وهذان المركزان كانا يغذيان الحركة العقلية إلى جانب الأزهر وجامع عمرو بن العاص، وقد كانت تلك الحلقات العلمية والأدبية عمصراً دائماً بارزاً في تكوين الحركة لأدبية لذلك العصر⁽¹³⁹⁾

ولا بد لنا ونحن نتحدث عن الحركة العلمية في عهد الحاكم بأمر الله من الوقوف قليلاً أمام العلامة الرياضي والمهندس الكبير (الحسن بن الهيثم)⁽¹⁴⁰⁾، الذي اشتهر بكتابه (علم المناظر في البصريات)، وهذا الكتاب تُرجم إلى اللاتينية وصار كتاباً مدرسياً في أوربا، ومن المعلوم أنّ ابن الهيثم كان يعيش في دمشق، فسمع لحاكم بأمر الله عنه كلاماً، هو كما ذكره لنا ابن أبي أصيبعة ووجدت الصاحب جمال الدين أبا الحسن بن القمطي قد ذكر أيضاً عن ابن الهيثم، ما هذا نصه: قال أنه بلغ الحاكم صاحب مصر من العويين وكان يميل إلى الحكمة خبره وما هو عليه من الإتقان لهذا الشأن تناقّب نفسه إلى رؤيته، ثم نقل له عنه أنه قال لو كنت بمصر لعملت في نسخها عملاً يحصل به النفع في كل حالة من حالاته من زيادة ونقص فقد فعلت أنه ينحدر على موضع عالٍ هو في طرف الإقليم المصري، فازداد الحاكم إليه شوقاً وسير إليه مسراً جملة من المال وأرعبه في الحضور فسار نحو مصر ولما وصلها خرج الحاكم للقاءه والتقياً بقربة على باب القاهرة لمعزّة تعرف بالحنديق وأمر بإنزاله وإكرامه واحترامه وأقام ريثما استراح وطأ به بما وعده من أمر النيل، فسار ومعه جماعة من الصّناع المثوين للعمارة بأيديهم ليستعين بهم على هندسته التي خطرت له، ولما سار إلى الإقليم بطوله ورأى آثار من تقدم من مساكنه من الأمم الخالية وهي على غاية من أحكام الصنعة وجودة الهندسة وما اشتملت عليه من أشكال مساوية ومما لا هندسية وتصوير معجزة تحقق أنّ الذي يقصده ليس بممكن، فإن من تقدمه في الصدور الخالية لم يعرف عنهم عدم ما عمله، ولو أمكن لفعلوه، فانكسرت همته ووقف خاطره ووصل إلى الموضع المعروف بالجنادل قبلي مدينة أسوان وهو موضع مرتفع ينحدر منه النيل فعابسه وباشره واختبره من جانبيه فوجد أمره لا يمشي على موافقة مراده وتحقق الخطأ والغيبة عمّا وعد

هـ، وعاد حجباً ومنحذلاً واعتذر بما قبل الحاكم طاهره ووافق عليه، ثم إن الحاكم ولأى بعض الدواوين فتولاهارهباً لا رغبة⁽¹⁴¹⁾

كما أن الحاكم بأمر الله طلب إلى عامله في حلب أن يرسل إليه أبا العلاء المعري الشاعر الفيلسوف، وما اعتذر بسبب مرضه، أمر بأن يُترك له ريع الدولة من معرفة العمان السورية طيلة حياته، وهو وجه آخر من أوجه اهتمام هذا الخليفة بالعلم والعلماء ومحاولته الهوض بالحركة العلمية والفكرية في بلاده.

وأرسل طلب الفيلسوف الكبير أحمد حميد الدين لكرماني لذي كان يعيش في العراق، وعندما حضر حضر مهمته بإلقاء سلسلة من المحاضرات في دار الحكمة لتعريف خصائص الإمامة ومعرفة مرتبة الأئمة ومحاربة القائلين بالأكوهمية والمعالاة والإلحاد، فقام بالمهمة كما وضع في مصر رسالة باسم البشارات والرسالة الراجعة، وهي تهدف إلى الاعتدال بالاعتقادات الفاطمية، وإلى سلوك الطريق الصحيح، والكرماني هذا هو حجة العراقيين ومن أعظم الملامحه الذين أحييتهم الدعوة الإسماعيلية، فكتابه (راحة العقل) بالإلهيات أعظم كتاب أنتجته المدرسة الفلسفية الإسلامية

ومن العلماء البارزين في ذلك العصر علي بن يونس⁽¹⁴²⁾ لقلكي المشهور، وقد ذكر أن الحاكم بأمر الله قرّبه ومحبه عطفه، وكان والده العزيز بالله قد أقام مرصداً على جبل المقطم حيث تمكن من أن يرصد منه كسوفين للشمس، ولهذا العالم كتاب (لزيج الحاكمي)، وقد كتبه تحليداً لذكرى الحاكم بأمر الله، ومن الجدير بالذكر أن ابن يونس هو أول من اخترع بندول الساعة وليس غالبو كما ذكر⁽¹⁴³⁾.

ومن الأمور التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتحقيق هو العلاقة التي كانت بين الحاكم بأمر الله وابن سينا ووالده الذي كان من دعاة⁽¹⁴⁴⁾

من خلال هذه المقدمة نستطيع أن نرى مجلاء الاهتمام الكبير والنواضع من قبل الحاكم بأمر الله بالحركة العلمية والثقافية في بلاده ومدى تشجيعه للعلم والعلماء للهوض بواقع المستوى العلمي لأبناء مصر خاصة ولأبناء الأمة الإسلامية عامة، ومن هذا المطلق كان تأسيس دار الحكمة أو دار العلم ليكون مركز إشعاع ومطلقاً للفكر الإسماعيلي الفاطمي بجميع لأقطار والبدان التي يمكن الوصول إليها من خلال دعاة وحملة رسالته.

خزائن الكتب الفاطمية

قبل دراسة دار الحكمة أو دار العلم وبدايات نشوء امدارس في الدولة الفاطمية لا بد من الإشارة إلى خزانة الكتب الفاطمية التي تعد أهم المؤسسات الثقافية الفاطمية، وقد وصفها ابن أبي طي بأنها من العجائب ويُقال أنه م يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر ويُقال أنها كانت تشتمل على ألف وستمئة ألف كتاب، وكان فيها من المخطوط المسوبة أشياء كثيرة وإن من عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري⁽¹⁴⁵⁾

وكان الخلفاء الفاطميون يكثر من زيارة خزانة الكتب، وعلى الأخص في القرن السادس الهجري، فكان الخليفة يجمع إليها ركباً ثم يترجل ويتخذ مجلسه فوق دكة منصوبة، ويمثل بين يديه أمين الخزانة ويأتيه بمصاحف مكتوبة

بأقلام مشاهير الخطاطين، وغير ذلك مما يقترحه من الكتب، وكان الخليفة يأخذ منها ما يرويه للمطالعة ثم يعيده مرة أخرى⁽¹⁴⁶⁾

وقد شارك الوزراء الفاطميون كذلك الخلفاء في اهتمامهم بتكوين المكتبات، فيذكر ابن خلكن أن يعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمي الثاني العزيز بالله كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ورؤسب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعاً يقرأ فيه بنفسه مصنفاته على الناس وتخصره القضاة والفقهاء والقراء والثحاة وجميع أرباب الفصائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه الدولة وأصحاب الحديث فإذا فرغ من مجلسه قام الشعراء يشدونه المدائح وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكتبون الحديث والفقه والأدب حتى الطب وبعارضون ويشكلون المصاحف وينقطنها وكان من جملة جلسائه الحسين بن عبد الرحيم المعروف بالزلزالي مصنف كتاب الأسجاع ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد اتخذ في داره وأقام في داره مطبخ لنفسه وجلسائه ومطبخ لغلماؤه وحاشيته وأتباعه وكان ينصب كل يوم حواناً لخامسته من أهل العلم والكتاب وخوادم أتباعه ومن يستدعيه⁽¹⁴⁷⁾.

وقد تعرضت حزانة كتب القصر الفاطمي وخزانة كتب دار العلم لأزمات كثيرة أضاعت الكثير من ذخائرها إلى أن فُضي عليها تماماً في أعقاب سقوط لدولة لفاطمية، يذكر انقريزي في كتابه (أتماظ الحنفا) ضمن حوادث سنة 461هـ/1068م قوله وأخرج من خزائن الكتب ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة، وألفان وأربعمائة ختمة في ربعات بخطوط منسوبة محلاة بذهب وفضة. وأخذ جميع ذلك الأتراك ببعض قيمته. وأخرج في المحرم منها في

يوم واحد خمسة وعشرون حملاً موقره كتباً صارت إلى دار الوزير أبي الفرج محمد بن جعفر بن المعز، وانتسمها هو والخطير بن الموفق في الدارين بخدمات وجبت لهما عما يستحقانه وعلمتهما من ديوان الحليين؛ وأن حصّة الوزير أبي المرج فومت عليه خمسة آلاف دينار، وكانت تساوي أكثر من مائة ألف دينار، نهبت بأجمعها من داره يوم أنهزم ناصر الدولة من مصر في صفر، مع غيرهما مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي المرج وابن أبي كدينة وغيرهما وأخرج ما في خزائن دار العلم بالقاهرة وصار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن المختف بالإسكندرية كثير من الكتب، ثم أنتقل منها كثير، بعد مقتله، إلى المغرب وأخذته لواته، فما صار إليها بالأشباع أو الغصب من الكتب، للخليلة الممدار ما لا يعد ولا يوصف، فجعل عبيدهم وإماؤهم جلودها في أرجلهم. وأحرق ورقها تالواً منهم أنها خرجت من القصر وأن فيها كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم، فصار رماده تلالاً عرفت في نواحي إيار بتلال الكتب، وغرق منها وتلف، ووصل إلى الأمصار ما يتجاوز الوصف⁽¹⁴⁸⁾

إدريس لنا النص الذي أورده لنا القرطبي أن الجنا والأمراء قد أمّحروا على نفائس ما كان في خزانة الكتب الفاطمية وخزانة دار العلم، ففرقت أكثر محتوياتها وكلها كتب مفردة مجلدة تجليداً فاحراً وصارت بعض هذه الكتب إلى عماد الدولة بن المختف بالإسكندرية، ثم أنتقلت بعد مقتله في ظروف غير معلومة لنا إلى المغرب، بالإضافة إلى ما استولت عليه قبيلة لواته وحملته أيضاً إلى الإسكندرية سنة 461هـ/1068م وما بعدها وهي لكتب التي أخذ جلودها عبيدهم وإماؤهم ما يلبسونه في أرجلهم. ثم أحرقوا ورقها بجمّة أن فيه كلام المشاركة الذي يخالف مذهبهم، وذلك سوى ما غرق وتلف وحمل

إلى سائر الأمصار، وما بقي منها دون حرق سفت عليه الرياح الراب فصار
تلالاً تُعرف بتلال الكتب⁽¹⁴⁹⁾

لا شك أن مكتبة بصخامة كتب الفاطميين بذل الفاطميون في سبيل
تكوينها الكثير واشتروا لها النسخ النادرة من أرجاء العالم الإسلامي، بالإضافة
إلى ما كلفوا النسخ والوراقين بكتابتهم، هم وورراءهم، كان لها مخابر تهتم
بالخطوات المختلفة لصناعة الكتاب (الورق والخبر والتجليد، وكذلك لصيانة
والترميم، بالإضافة إلى عددٍ وفير من النساخين والوراقين) خاصة وأن
المؤرخين يذكرون أن أغلب نسخ هذه الخزانة كانت ذات تجليد متميز⁽¹⁵⁰⁾.

ونحن نعرف أن قسماً من مصر حذقوا صناعة تجليد الكتب في العصر
المسيحي، وتعلم المسلمون عنهم أساليب التجليد في أعقاب فتح مصر. وقد
تعلم الرحالة المقدسي البشاري الذي زار مصر في النصف الثاني من القرن
الرابع الهجري فن تجليد الكتب على أقباط مصر وكان من بين ألقابه ورّاق
ومجلّد كما جلد المصاحف الكبرى في عدن. ورغم أنه قد وصل إلينا بعض
جلود الكتب البصية فإنه لم يصل إلينا أي تجليد لكتاب عربي قديم. أمّا أغلب
جلود المصاحف والكتب الإسلامية المحفوظة في مكتبات ومناحف العالم لأن
تراجع إلى العصر المملوكي في مصر والشام وابتداءً من القرن الثامن الهجري /
الرابع عشر الميلادي.

لقد كان الورراء الفاطميون يسرون على نهج خلفائهم في اقتناء الكتب
والحصول عليها عن طريق الخلفاء زملائهم ومن هؤلاء ابن كلّس وهو رائد
من رواد الحركة الفكرية في مصر⁽¹⁵¹⁾، وكذلك برجوان أستاذ الخليفة الحاكم
بأمر الله كان من الذين خلف من الكتب ما لا حصر له وأيضاً المسير بن فاتك

وهو من أمراء مصر كانت له خزائن عظيمة⁽¹⁵²⁾ والخزائن الفاطمية اشتهرت بعظمتها وجلالها وكثرة كتبها وأهميتها الكبرى في الإسلام

يقول ابن تغري بردي عن خزانة الكتب الفاطمية: وأما خزنة الكتب فكانت في أحد مجالس اليمارستان ابعثى ايوم كان فيها ما يزيد على مائة ألف مُجلَّد في سائر العلوم يطول الأمر في عدتها⁽¹⁵³⁾ وكان للفاطميين في القاهرة مكتبات منها اربعون خرابة في قصر الخلافة ملأى بنفائس الكتب والمؤلفات الجليلة المقدار وروادرها المعدومة المثال. وكان أشهرها هذه الخزانة.

وقد كانت خزانة الكتب التي تقع بالقصر الكبير تتكون من أربعين حجرة وتضم من الكتب ما يزيد على مائة ألف مُجلَّد تشمل كل أنواع العلوم بينها كتب بادرة ونقيسة. ولا غرو فإنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في العصر الفاطمي فقد أرادوا أن يملأوا الدنيا بعقيدتهم الشيعية الإسماعيلية وكان الخليفة المعز يُعطي كل معظم وقته بين خرابة الكتب⁽¹⁵⁴⁾.

عُنت الدولة الفاطمية بالكتب عناية كبيرة، فكان من أشهر حرائر القصور الفاطمية - كما أسلفنا - خزانة الكتب. يذكر أحمد أمين قول المقرئ الذي ينقله المسححي مؤرخ الدولة الفاطمية، والذي عاش في كنفها، أنه كان بحزنة العزيز نيف وثلاثون نسخة من كتاب العين للخليل بن أحمد، وما ينيف على عشرين نسخة من تاريخ الطبري، ومائة نسخة من الجوهرة لابن دريد - ثم قال: إنه كان في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة فيها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة (يعني الفلسفة والطب والإلهيات وما إليها)، هذا إلى العناية بالناحية الأثرية من اقتناء الكتب بخطوط المؤلفين، وما عنى فيها بحسن

الخط والتجليد. وينقل المقرئ أيضاً عن ابن الطوير أن كل خزنة تحتوي على عدة رفوف، والرفوف مقطعة بمحاجر، وعلى كل حاجر باب مقفل بمفصلات وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتي ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات، فمنها الفقه على سائر المذاهب، والنحو واللغة، وكتب الحديث، والتواريخ وسير الملوك، والنجامة والروحانية والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التي ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزنة⁽¹⁵⁵⁾.

وقد اتجه الفاطميون اتجاهاً غريباً في تكوين مكتبتهم فقد كانوا يحرصون على أن يجمعوا بها جميع نسخ الموجودة من بعض الكتب حتى تكون مكتبتهم المكان الوحيد الذي يوجد به هذا الكتاب أو ذلك، فإذا جمعوا مئات النسخ من كتاب ما ثم ظهر لهم أنه لا تزال هناك نسخة منه بعيدة عن مكتبتهم أظهروا استعدادهم لأن يدفعوا فيها ثمناً باهظاً مهما بولغ فيه ليصلوا بذلك إلى هدفهم وفيما يتعلق بالقرآن الكريم فإنهم كانوا حريصين على أن يجمعوا بمكتبتهم جميع النسخ الفخمة أو التي كتبها مشاهير الخطاطين وهذا يُفَرِّقنا ماداً كان بهده لمكتبة عشرات أو مئات النسخ من المصاحف أو من كتاب العين⁽¹⁵⁶⁾.

كان لعناية المسلمين بإشياء دور الكتب والمكتبات أثر كبير في تيسير وسائل الثقافة والتعليم ونشجيع الطلاب على الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي وقد أنتشرت المكتبات في الإسلام انتشاراً عظيماً يدعو إلى الفخر والإعجاب فقد كان في معظم المساجد والجوامع والمدارس ودور العلم ودور

الحكمة مكتبات كبيرة مزودة بالكتب المختلفة والمراجع النادرة ليرجع إليها الطلبة والعلماء والقراء ولتساع في أي وقت شاءوا⁽¹⁵⁷⁾

كما أهتم المسلمون بالكتب واقتناءها أهتموا بدور الكتب وخزائنها وحرصوا عليها وقدروها حق قدرها وكتبوا عن أثرها في تهذيب العقول وبث البطولة في النفوس وتزويد القراء بالأفكار والآراء، وكان علماء المسلمين يفصلون الجلوس في مكتباتهم الغنية بالكتب للقراءة والإطلاع على أن يتولوا أعظم اصاصب والمراكز لدى الولاية والحكام وكانوا يرسلون من يجوبون البلاد لشراء الكتب العلمية والأدبية من البلاد الأجنبية ليزودوا مكتباتهم بالكتب النادرة النفيسة والجديدة.

وتجلى نشاط الحركة العقلية في مصر منذ أن اتحد العاطميون القاهرة حاضرة الخلافتهم بفتح الخليفة المعز لدين الله أبواب قصره للعلماء والطلاب وأباح لهم جميع الإطلاع على الكتب المختلفة بمكتبة القصر وحذا الخلفاء من بعده حدوده فصاروا يعقدون المجالس العلمية بقصورهم ويدعون إليها الفقهاء والعلماء والأدباء فيتناظرون بحصرتهم ولم تكن هذه المجالس تصل في قيمتها العلمية عن الدروس التي تلقى بالجامع الأزهر أو بدار الحكمة.

وكان المعز يعقد المجالس العلمية فيحضر كبار رجال دولته ومشايخها وعلمائها وأدباؤها فيظهر مقدرته الفارقة وإلمامه بالملسعة وعلوم التأويل والحديث والفقهاء وما إليها. ولم يقنع بمكتبة القصر التي جمعت آلاف المجلدات فحمل الكثير من الكتب إلى مسجد القاهرة وهو الجامع الأزهر وإلى ابن طولون واجتمع العتيق فحمل إلى الأزهر من المصاحف والمخططات عدداً عظيماً ومكن الناس من القراءة والانتفاع بما فيها

وكان للعزیز عذیة كبره بحراته بتعهدها بنفسه حیثاً بعد حیث وقد رسب لها قیماً بتولی شؤونها ویجالسه ویقرأ له الكتب وینادیه، وعن تولى ذلك أبو الحسین الشاشتی⁽¹⁵⁸⁾ الكاتب المتوفى سنة 388هـ فكان الخلفاء یترددون على مكاتبتهم للإطلاع أو تفقدها وماقشة أمثاتها فیما یحتاجونه أو یحتاجه المكتبة من كتب ویبلغ عدد كتب مكتبة القصر أكثر من مائة ألف مجلد عدا كرتین سماویتین إحداهما من العضة یقال أن بطليموس هو الذي صنعها وكنعته ثلاثة آلاف دينار كما كانت مكتبة القصر تحوي كثيراً من المصورات الجغرافية⁽¹⁵⁹⁾

ومن الأهمية بمكان أن نذكر نص المقریزی الذي أورده لنا في كتاب الخطط المقریزية عن خزانة الكتب الفاطمية، وذلك لما لهذا النص من أهمية كبره في توضیح المكانة العلمية لهذه المكتبة وللأهتمام المباشر والكبير للحلفاء الفاطمیین بالحركة العلمية والفكرية في بلادهم

قال المقریزی: قال المسبحي: وذكر عند العزیز بالله كتاب لعین بلخلیل بن أحمد فامر خزائن دقائه، فأخرجوا من خزائنه بیعاً وثلاثین نسخة من كتاب العین، منها نسخة بخط الخلیل بن أحمد، وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاریخ الطبري اشتراها بمائة دينار، فأمر العزیز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما یبف عن عشرين نسخة من تاریخ الطبري منها نسخة بخطه، وذكر عنه كتاب الجمهرة لابن درید فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها، وقال في كتاب الذخائر عنة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزنة، خزانة من جملة ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة، وأن الموجود فیها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في

ربعات بخطوطٍ منسوبة رائده الحسن مُحلّاه مذهبٍ وفصّة وغيرهما، وأنّ جميع ذلك كلّ ذهب فيما أحذه الأتراك في واجباتهم ببعض قيمته، ولم يبقَ في خرائن القصر البرانية منه شيء بالجمعة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل إليها، ووجدت صناديق مملوءة أقلاماً مبرية من يرابة ابي عقلة وابن البراب وغيرهما قال: وكنت بمصر في العشر الأول من مُحرم سنة إحدى وستين وأربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملًا موقرة كتباً محمولة إلى دار الوزير أبي الفرج مُحمّد بن جعفر المغربي. فسألت عنها فعرفت أنّ الوزير أخذها من خرائن القصر هو والخطير بن الموفق في الدين بإيجاب وجب لهما عمّا يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجليلين، وأنّ حصّة الوزير أبي الفرج منها قومت عليه من جاري مماليكه وعلمانه بخمسة آلاف دينار، وذكر لي من له حبرة بالكتب أنها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم أنهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر في صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبي الفرج وابن أبي كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان في خزائن دار العلم بالقاهرة، وسوى ما صار إلى عماد الدولة أبي الفضل بن الخنوق بالإسكندرية ثمّ انتقل بعد مقتله إلى المغرب، وسوى ما ظفرت به لواته محمولاً مع ما صار إليه بالإتباع والعصب في بحر الليل إلى الإسكندرية في سنة إحدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليّة للمدار، المعدومة النسل في سائر الأمصار صحّة وخُسن خطٍ وتجليد وغرابة، التي أخذ جلودها عبيدهم وإمازهم يرسم عمل ما يلبسونه في أرجلهم وأحرق ورفقها، ثاولاً منهم أنها خرجت من قصر السلطان أعز الله أنصاره، وأنّ فيها كلام المشاركة الذي يُحالف مذهبهم، سوى ما غرق وتلف وحُبل إلى سائر الأقطار، وبقي منها ما لم يُحرق وسفت عليه الريح التراب، فصار تلالاً

باقية إلى اليوم في نواحي آثار تُعرف بتلال الكتب. وقال ابن الطوير حرامة
 الكتب كانت في أحد مجالس المارستان اليون يعني المارستان العتيق فيجئ
 الخليفة راكاً وبترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من
 يتولأها، وكان في ذلك الوقت المجلس بن عبد القوي فيحضر إليه المصاحف
 بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فإن عن له أخذ شيء منها
 أحذه ثم يُعبد. وتحتوي هذه الخزانة على عدة رفوف في دور ذلك المجلس
 العظيم، والرفوف مقطعة بمحارج، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات
 وقفل، وفيها من أصناف الكتب ما يريد على مائتي ألف كتاب من المجلدات،
 ويسير من المجردات. فمنها الفقه على سائر المذهب والنحو واللغة وكتب
 الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل
 صنف النسخ، ومنها النواقص التي ما تمت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة
 على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة في مكان يوقها، وفيها من
 الدروج بحط ابن مقلة ونظائره كائن البواب وغيره، وتولّى بيعها اس صورة في
 أيام الملك الناصر صلاح الدين، فإذا أراد الخليفة الاتصال مشى فيها مشية
 لنظرها، وفيها باسخان ومراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين
 ديناراً، ويخرج إلى غيرها وقال ابن أبي طي بعدما ذكر استيلاء صلاح الدين
 على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا
 ويُقال إنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة
 في القصر، ومن عجائبا أنها كان فيها ألف ومائتا مسحة من تاريخ الطبري إلى
 غير ذلك. ويُقال أنها كانت تشتمل على ألف وستمئة ألف كتاب، وكان فيها
 من الخطوط المسوبة أشياء كثيرة أنتهى، وما يزيد ذلك أن القاضي الفاضل
 عبد الرحيم ابن علي لما أشأ المدرسة العاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب

القصر مائة ألف كتاب مُجلّد، وباع ابن صوره دلال الكتب منها جملة في مده أعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضي الماضل منها شيء، وذكر ابن أبي راصل أنّ خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مُجلّد⁽¹⁶⁰⁾

ومن خلال هذا النص المهم الذي يورده لنا المقرئ عن واقع المكتبات وخزائن الكتب في الدولة الفاطمية، يتجلى لنا الاهتمام الفريد الذي يوليه خلفاء الفاطميين للحركة الفكرية في بلادهم ولسمي لنشر العلوم والمعارف بكافة تفرعاتها وتنوعاتها ومذاهبها بين أفراد شعبهم ومجتمعهم في مصر ولغيرهم من العلماء وطلبة العلم الوافدين إلى مصر من كل بقاع العالم الإسلامي، حتى أضحت القاهرة مركزاً يُنافس مدينة بغداد في إستقطابها للعلماء والمفكرين وحاضرة من حواضر العالم الإسلامي يبرغ منها فجر نهضة علمية إسلامية عظيمة

وبالتالي فإنّ استعراضنا للدور الكبير الذي لعبه الخلفاء الفاطميون من خلال الاهتمام بدور العلم وخزائن الكتب ومحاولة نشر ضياء التعليم لتمحي آثار الجهالة من قلوب الناس، أصبح من الواضح لدينا مدى عمق هذا الدور وأهميته والذي توجّ بإشياء (دار العلم) أو (دار الحكمة) في مدينة القاهرة حاضرة الخلافة الفاطمية . من قبل احكام بأمر الله الفاطمي لتكون بمثابة أكاديمية علمية تقف جسراً إلى جنب محاولة نشر لفكر الذي تبنته خزائن الكتب من قبل ومجالس الحكمة التي أعتمدها الفاطميون في نشر الدعوة الإسماعيلية - الفاطمية على طول تاريخهم الدعوي السري والعلني

أشأ الحاكم بأمر الله دار العلم أو دار الحكمة في القاهرة سنة 395هـ وحمل الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة، وقد وصلت إلينا ميزانية هذه الدار فكان يُنفق عليها في كل سنة 257 ديناراً من العين الغربي فمس ذلك الورق تسعون ديناراً، للخازن ثمانية وأربعون ديناراً، لفراش خمسة عشر ديناراً، للناظرين في الورق والخبر والأقلام اثنا عشر ديناراً، غرمة الكتب اثنا عشر ديناراً، ثم الماء اثنا عشر ديناراً، ثم الحصر العبداني عشرة دینارات - دنائير - ثمن لود للعرش في الشتاء خمسة عشر ديناراً، ثم طنوس في الشتاء أربعة دینارات - دنائير - غرفة الستارة دينار واحد⁽¹⁶¹⁾

وقد بقيت هذه الدار جزءاً من قصر الحاكم ولعلها هي الخزانة التي أشار إليها المسيحي بأسم الخزانة الراهية

إذن كانت مكتبة عامة على نحو ما نراه اليوم في المكتبات العامة ولكنها بجانب ذلك كانت جامعة علمية للتعليم وكثيراً ما كانت تُقام المناظرات بين علمائها من ذلك ما ترويه المصادر أن جنادة بن محمد بن الحسين الأردني الهروي أبا أسامة اللغوي النحوي⁽¹⁶²⁾ قديم مصر وصاحب الحافظ عبد الغني بن سعيد⁽¹⁶³⁾ وأبا إسحاق علي بن سليمان المصري النحوي وكانوا يجتمعون في دار لعلم بالقاهرة وتجري بينهم مباحثات ومداكرات.

ومن أشهر العلماء الذين ألقوا بعلومهم في دار العلم رجل مكفوف يُقال له أبو الفضل جعفر قديم مصر فأعجب به الحاكم وخلع عليه ولقبه بعمام العلماء⁽¹⁶⁴⁾، وجعله يجلس في دار العلم يُدرّس النحو والبغة ومنهم أبو بكر

الأبطاكي الفقيه المالكي الذي سمح له الحاكم ولشبح مالكي آخر أن يُقيما
بدار العلم ويُلقيا دروساً في المذهب المالكي⁽¹⁶⁵⁾

ومن الذين تولوا دار الحكمة، داعي الدعاة أبو نصر هبة الله بن موسى
بن أبي عمران الشيرازي المعروف بلقب المؤيد في الدين، تولّى الدار في خلافة
المتنصر (427 - 487 هـ / 1035 - 1094 م) وله ثمانئة مجلس. عقدها في
دار الحكمة، وهي تقع في ثماني مجلدات كبيرة، تناول فيها موضوعات
إسماعيلية شتى دينية وسياسية وأدبية وثأورية، وكلّها لتأييد المذهب
الإسماعيلي - الفاطمي - وتردُّ على من يرى خلاف ذلك - وهو الذي كانت
المراسلات بينه وبين فيلسوف المعرة أبي العلاء المعري كما أنّه ردُّ على ابن
الراوندي، وما قاله في كتابه الزمرد في إبطال التوآت

كان لطلاب يتلقون في دار الحكمة إلى جانب علوم كل البيت (عليهم
السلام) والفقه الشيعي (الإسماعيلي) العلوم العقبية والنقلية وهكذا احتلّت
مناهج التعليم في هذا العهد عن مناهج التعليم بالمساجد الفاطمية المعاصرة إذ
كانت تغلب عليها الصبغة العلمية بينما تغلب على مناهج المساجد الصبغة
الدينية، وكان بين أساتذة دار الحكمة كثير من أساتذة الحساب والمنطق
والجامة من أمثال: ابن يونس المنجم وأبو علي الحسن بن الهيثم وعلي بن
رضوان⁽¹⁶⁶⁾.

ومن الحقائق التي كانت تُعقد فيها، هي انّي كان يعقدها جنادة بن
محمّد بن الحسين الأزدي الهروي أبو أسامة اللغوي النحوي (ت
399 هـ / 1008 م) قديم مصر وصاحب الحافظ عبد العني بن سعيد، وأبا إسحق
علي بن سليمان المعري النحوي، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة،

وتجري بينهم مباحثات ومذاكرات، فقتل الحاكم جناده وأنا علي، وأستر عند
الغني⁽¹⁵⁷⁾

وقد استطاعت دار الحكمة بفصل هؤلاء الأساتذة وما كان لها من مباح
متوعة جمعت من الدراسات العلمية والفقهية أن تجتذب كثيراً من أعلام
المشرق من أمثال الرحالة الفارسي ناصر خسرو والداعي الحسن بن الصباح
الذين وفدوا إلى مصر في عهد المستنصر بالله الفاطمي.

ولعل الدافع على إنشاء المكتبات من أمثال دار الحكمة هو أن الكتب
كانت قل أحتراع الطاعة غالية الثمن، لا يقتنيها إلا الأغنياء لأنها كانت
مخطوطات باهظة التكاليف ولذلك لجأ القادرون من محبي العلم إلى إنشاء
المكتبات يجمعون فيها الكتب ويعتصمون أبوابها للراغبين كما فعل البطالة في
مكتبة الإسكندرية وكانت نواتها للجامعة وفعل العباسيون في إنشاء بيت
الحكمة في بغداد، وكذلك فعل الفاطميون بإنشاء دار الحكمة في القاهرة ولقد
أنفق المؤرخون على أن هذه المكتبات كانت تؤدي ما تؤديه معهد العلم
والجامعات والجمعيات العلمية في الوقت الحاضر⁽¹⁵⁸⁾

كان لمكتبة الفاطميين في القاهرة - دار الحكمة - فهرس كبير وكانت
استعارة الكتب مباحة وإن وضعت عليها قيود لتنظيم العمل وحسن سيره
وكانت مكتبة القاهرة تُعير كتباً للساكين في القاهرة فقط وأحياناً يُطلب من
المستعير أن يدفع ضماناً ولكن يعفى العلماء وأفاضل الناس من دفع الضمان
أو التأمين وكان علي بن محمد الشاذلي أميناً لدار الحكمة بالقاهرة.

وقد كان الحاكم يميل إلى حرية الفكر والرأي لذا شجّع المناقشات الحرة
في الدين والعلم وخلافه، ولهذا فقد كان إنشاء دار الحكمة لهذا الغرض وقد

أنح المناظرة بين انتردين إلى دار الحكمة والذين كانوا يعقدون الاجتماعات هناك وتقوم المناظرات وقد يُمضي الجدال إلى الختام⁽¹⁶⁹⁾

ومن الأهمية بمكان أن نذكر هنا ما أورده لنا المقرئ في خططه عن دار العلم (دار الحكمة) لما لهذا الص من أهمية كبيرة نوضح لنا أدق تفاصيل عمل هذه الدار وطبيعة عملها ومكانتها بالنسبة للدور العلمي والفكري الذي نبأه الخلفاء الفاطميون خلال فترة حكمهم في مصر. قال المقرئ: وكان بجوار القصر الغربي من بحرية دار العلم، ويدخل إليه من باب التباين، الذي هو الآن يُعرف بقبو الخرشف، وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضير الكاتبة بدرب الخضير المقابل للجامع الأحمر، ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت إلى أن أٌطلقها الأفضل بن أمير الجيوش

قال الأمير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسبحي وفي يوم السبت هذا يعني العاشر من جمادي الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحُملت الكتب إليها من خزائن المصور المعمورة، ودخل الناس إليها وسح كل من الشمس سح شيء مما فيها ما الشمس، وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس فيها القراء والمجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، بعد أن قُربت هذه الدار وزخرفت وعُلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور، وأقيم قوام وخدام وهرشون وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل في هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المسوبة ما لم يُر مثله مجتمعاً لأحد قط من الملوك وأباج ذلك كله لسائر الدس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها. فكان

ذلك من المحاسب المأثورة أيضاً، التي لم يسمع بمثله من إجراء الرق السبي لم رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره، وحضرها الناس على طبقاتهم. فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلم، وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر والأقلام والورق والمحابر، وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من أهل الحساب والمنطق، وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد، وجماعة من الأطباء إلى حضرة الحاكم بأمر الله، وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه، ثم خلع على الجميع ووصلهم، ووقف الحاكم بأمر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع، وصنعها كتاباً ثبت فيه على قاصي الفصاة مالك من سعيد، وقد ذكر الجامع الأزهر وقال فيه، وقد ذكر دار العلم، ويكون عشرة وثمان العشر لدار الحكمة لما يحتاج إليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون ديناراً من ذلك لثمان الحضر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنائير،

وقال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهي طويلة، وأولها من الأيام الأفضلية، وكان فيهم رجلان يُسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكّي الأظفحيي القصار مع جماعة يُعرفون بالبديعية وهم على الإسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة، وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جهلتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب، وكان ذلك في أيام لأفضل، فأمر للوقت بغلاق دار العلم والقض على المذكور فهرب. فلما توفي الأفضل أمر الخليفة الأمر بأحكام الله وزيره المأمون بن البطائحي باتخاذ دار العلم، وفتحها على الأوضاع الشرعية...

وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الألفصل بن أمير الجيوش قد
أبطلها، وهي بجوار باب التباين، وهي متصلة بالقصر الصغير، وفيها مدفون
الداعي المؤيد في الدين هبة الله من موسى الأعجمي، وكان لإبطلها أمور سببها
اجتماع الناس والخوض في المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب
التزاري⁽¹⁷⁰⁾

وفي كتاب الفلك الدوار في سماء الأئمة الأظهر يذكر أن الأعراض لتي
أنشأت دار العلم من أجلها ثلاثة من حملتها

- 1 استيعاب الكتب والمطالعات والمحاضرات
2. تنقيف القضاة وتدريبهم على ألا يُسمع لهم بدخول الدبر حتى
ينموا دراستهم في الجامع الأزهر.
- 3 تعليم موظفي الدعوة وذلك بعد أن يتم هؤلاء دراسة النحو
والفلسفة والمنطق والنجوم في الأزهر ثم يغادرون إلى دار
الحكمة.

وهكذا كانت هذه الجامعة التي أطلق عليها اسم دار العلم أو دار لحكمة
تقوم بوظيفة من أكبر الوظائف في الدولة وهي وظيفة إعداد الدعاة وتزويدهم
بالعلوم التي يستعينون بها على نشر الدعوة وكانت هذه لدعوة نفسها تخرج
بالمسقة.

وأخذ بعض أصحاب الدع الاجتماعية التي كانت تُعقد في دار لحكمة
وسيلة لث آرائهم فاضطر الألفصل بن أمير الجيوش في أوائل القرن السادس
الهجري لإبطلها دفعاً لأسباب القلق (الفتن) فلما توفي الألفصل أمر الخليفة

الأمر بأحكام الله وريثه المأمون البطنجي فأعادها سنة 517هـ ولكنه اشترط فيها السير على الأوصاف الشرعية وأن يكون متوليها رجلاً دينياً وأن يُقام فيها متصدرون برسم اقرآن فأشار عليهم الثقة (رمام القصور) أن تُبنى قرية من داره، على بقعة خالية يصلح أن يكون موقعها لدار العلم - دار الحكمة - فشيّدوا عليها (دار العلم الجديدة) وكانت داراً كبيرة، يُقال أن النفقة بلغت عليها مائة ألف دينار وأكثر، ونقلوا إليها ما كان في دار الحكمة القديمة، وفتحت الدار الجديدة في شهر ربيع الأول سنة 517هـ/1123م وعاد الانتماع بها كسابق عهدها، وجعل بها خازناً أبو محمد حسن بن آدم من أقطاب العلم والفضل، ومتصدرون برسم قراءة القرآن، وداعي للمذهب، وناظر يتولى أمورهما، ولا يظن أن عدد كتبها كان يصل عن 100، 000 كتاب. ولما أوصت الحكومة إلى صلاح الدين الأيوبي هدم دار لعلم، وشيّد في محلها مدرسة للشافعية. كما أن القاضي الفاضل⁽¹⁷²⁾ نقل منها مائة ألف مجلد إلى مدرسته الفاضلية وكان الخلفاء الفاطميون مولعين بجمع كل ما يعثرون عليه من نسخ أي كتاب وقد نهبت هذه المكتبة في عهد المستنصر حيث قام العوغاء بسرقة وحرق وإلقاء كثير من كتبها في التبل⁽¹⁷²⁾.

ومن خلال دراسة الحالة السياسية التي كانت تمر بها الدولة الفاطمية آنذاك يمكن اعتبار أن السبب الرئيس الذي أدى إلى إغلاق دار الحكمة، وتعطيل مجالسها العلمية، إنما كان بسبب افتراق الفاطميين إلى فرقتين، مستعلية ونزارية، وكانت مجالس المناظرة تُعقد في دار الحكمة بين أصحاب المرقتين المذهبيين - وأخذ دُعاة كل مذهب بتأييد ما يدعيه، ويظهر أن النزارية تغلبوا على المستعية بدعوتهم وتعزيز مذهبهم، فعال الناس إليهم، وكرر الخوض في المذاهب، وخشي المستعلية من تفوق النزارية عليهم، لذا رأوا من الحكمة علق

دار الحكمة، وتعطيل مجالس العلم فيها، إلى أن مهدأ الأحوال ويترك الناس الجدل في المذاهب، فأمر الأفصل بغلاق الدار، وتعطيل مجالس الدعوة فيها، مهدأت الحالة وبطلت المجادلات⁽¹⁷³⁾.

ولكن عندما تسلّم بدر الجمالي مقاليد مصر جدّ في أن يجمع من كتب هذه المكتبة ما سلم من الحرق والفرق فاستعاد ما استطاع أن يستعيد من الأقطار واسترد ما كان في حوزة بعض الناس وبهذا استطاع أن يعيد للمكتبة شيئاً من مكانتها.

من كل ما تقدّم وما ذكرناه عن دار الحكمة يدل على أنها كانت بمثابة جامعة بها أساتذتها وبها مكنتها وفيها كل ما يعث على النشاط العلمي والبحث والتحصيل فالماطميون بنشائهم الحسام لأزهر ودار الحكمة دار العلم كانوا أسق الناس إلى إنشاء الجامعات التي تمتاز بها المؤسسة الحديثة في أيامنا هذه.

مجالس الحكمة في عهد الحاكم بأمر الله

كان أخذ العهد شرطاً أساسياً لدخول أيّ معتقد جديد إلى المذهب الإسماعيلي والتعرف على أسرار المذهب أو علم الباطن المعروفة به الحكمة وكان تعليم الحكمة يتم في مجالس يحضرها المعتقد الجديد إما منفرداً كما في كتاب العالم والعلّام أو مع آخرين⁽¹⁷⁴⁾.

ولم يكن يتضمّن في هذه المجالس سوى المعتقدين فقط ولا يُسمح لغيرهم بحضورها، وحتى يمكن السيطرة على ذلك فإنها كانت تُعقد داخل قصر الإمام في مكانٍ مخصص لهذا الغرض سواء في أفريقية أو في القاهرة

وفي أعقاب الفاطميين لمصر لم يطرأ اختلافات أساسية على طريقة سلب الدعوة وعقد المجالس الحكمة التي كان يتولاها في الستين عاماً الأولى للحكم الفاطمي في مصر قاضي لقضاء، حيث توارث ستة من أسرة بني النعمان منصب القضاء في هذه الفترة، وكان أول من أضيفت إليه الدعوة إلى جانب القضاء منهم هو الحسين بن علي بن النعمان سنة 389هـ/998م وكانت هذه المجالس تُعقد في أول الأمر يومين في الأسبوع (الخميس والجمعة) في موضع بالقصر يُعرف بـ (المحول) كان يُدخل إليه من باب الريح وكان لداعي في أوقات الاجتماع يُصلي بالناس في رواقه

وحفظ لنا المسيحي⁽¹⁷⁵⁾ الذي يُقدم لنا أكثر المعلومات أصالة عن هذه الفترة التي عاشها نفسه، نصاً شتقاً حول عقد مجالس الحكمة في الفترة الفاطمية المكره، يقول إن الداعي كان يعقد خلال يومين في الأسبوع خمسة مجالس مجلس للأولياء، ومجلس للخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم، ومجلس لعوام الناس وللطائفة على ليل، ومجلس للنساء كان يُعقد في جامع القاهرة الذي عُرف بعد ذلك بالجامع الأزهر، ومجلس للحرمة وخوادم نساء القصر⁽¹⁷⁶⁾. يشتمل هذا النص على العديد من المعلومات الهامة، فهو يفيدنا أنه أصبح في القاهرة - كما كان من قبل في أفريقية - مجالس منفصلة للمستجيبين باحتلاب طوائفهم؛ ولم يكن هذه المجالس مخصصة فقط لقراءة الحكمة وإنما أيضاً لجمع النجوى التي كان يدفعها المستجيبون والمستجيبات عيناً وورقاً.

أما كيفية إعداد هذه المجالس وكتابتها فقد وصفه المسيحي أيضاً يقول: إن الداعي كان يعمل المجالس في داره ثم يُنفذه إلى من يختص بخدمة لدولة، ويتحد لهذه المجالس كتباً ييضمونها بعد عرضها على الخليفة.

وفي زمن الخليفة الحاكم بأمر الله وفي إطار مياساته المتناقضة طرأ تحول كبير على مجالس الحكمة، ومصدرنا في كل ذلك أيضاً المسيحي الذي يذكر أن الناس الذين جرت عاداتهم بالاحضور إلى القصر لسماع ما يُقرأ عليهم من كتب مجالس الدعوة اجتمعوا في دي القعدة سنة 396هـ/ أغسطس سنة 1006م ولكهم ضربوا بأجمعهم ولم يُقرأ عليهم شيء⁽¹⁷⁷⁾. وفي سنة 400هـ/ 1009م قرئ سجل صادر من الحاكم بأمر الله يقطع مجالس الحكمة التي كانت تُقرأ على الأولياء يومي الخميس والجمعة، كما قرئ سجل آخر بإبطال ما كان يؤخذ على أيدي القضاة من الخمس وانبطره والنجوى ثم عاد الحاكم في سنة 401هـ/ 1010م وكتب سجلاً أمر فيه بإعادة مجالس الحكمة وأخذ النجوى⁽¹⁷⁸⁾

لا شك أن هذه الإجراءات اتخذها الحاكم بأمر الله في أعقاب افتتاحه لدار الحكمة في فترة أراد فيها التفرغ لأهل السنة ويبدو هذا التردد بين المنع والإباحة في نصوص كثيرة، مصدرها دائماً هو المسيحي، الذي يذكر أنه عندما اجتمع الأولياء وغيرهم بالقصر يوم الخميس 18 رمضان سنة 404هـ/ 5 مارس سنة 1014م لسماع ما يقرأه القاضي من كتب مجالس الحكمة منعوا من ذلك⁽¹⁷⁹⁾، ولم يذكر المسيحي سبباً لهذا المنع الذي جاء مواكباً لبداية الدعوة الدرزية التي وصلت إلى مصر في هذا الوقت⁽¹⁸⁰⁾

وما يؤكد هذا التعليل أنَّ مجالس لدعوة عادت للإعقاد زمن الخليفة
الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله سنة 417هـ/1026م وعادت لسابق عهدها
ونظام عملها في نشر العلوم والمعارف المختلفة، إضافةً إلى عملها وهدفها
الرئيس في نشر تعاليم الدعوة الفاطمية بين صفوف المجتمع

الباب الخامس

المدارس في العالم الإسلامي

المدارس في العالم الإسلامي

يُقصد بالمدرسة فياً الأماكن التي بُنيت بجهود الدولة أو الأفراد وتتبعها الجهة المؤسسة بالنفقة عليها، وقد تُحبس عليها لأوقاف للإنفاق على الطلبة وهياة التدريس على وفق مناهج تخدم الأعراض التي من أجلها أُنست المدرسة⁽¹⁸¹⁾

لقد اختلف المؤرخون في تحديد نشأة المدارس وبداياتها وهل كان العرب أم الأعاجم هم أول من أنشأ المدارس في العالم الإسلامي

فقد ذكر (الدهلي)⁽¹⁸²⁾، أن نظام الملك⁽¹⁸³⁾ هو أول من سى المدارس⁽¹⁸⁴⁾

وينكر عليه (السبكي)⁽¹⁸⁵⁾ ذلك لأن هناك مدرس أُحدث قبل ولادة نظام الملك نفسه، مثل المدرسة اليهودية، والسعدية في نيسابور

أما (المقرئزي)⁽¹⁸⁶⁾ فيحدد بدايتها قائلاً: والمدارس ع حدث في الإسلام، ولم تكن تُعرف في زمن الصحابة والتابعين، وإنما حدث عملها بعد الأربعمئة من سبي المهجري.

والقطة المثيرة للاتباه حول هذا الموضوع، هو أن أغلب المؤرخين يقولون أن نظام الملك هو أول من سى المدارس وذلك عند إيشته المدرسة الطامية في بغداد، وإنه احتذى به الكثير من المسلمين في تلك الخطوة.

لكن بعد البحوث والدراسات التي قام بها عدد من الباحثين منهم (سعيد نفيسي)⁽¹⁸⁷⁾ و (كوركيس عواد)⁽¹⁸⁸⁾ و (مصطفى جراد)⁽¹⁸⁹⁾ و (ناجي معروف)⁽¹⁹⁰⁾ يظهر لنا عكس ما كان سائد من فكرة خاطئة حول نشأة المدارس فقد أكد الدكتور (ناجي معروف)⁽¹⁹¹⁾ ذلك قائلاً لقد أثبتنا في

البحوث التي شرناها عن نشأة المدارس الإسلامية أن (المدرسة النظامية)، م تكن أوى المدارس التي أحدثت في الإسلام، وإنما أنشئ قبلها في خراسان وما وراء النهر عشرات المدارس الفقهية والحديثية فصلنا انقول على ثلاثين مدرسة فقهية منها أنشأت في الفترة الواقعة بين أواخر القرن الثالث الهجري حتى منتصف القرن الخامس الهجري أي ما قبل النظامية البغدادية.

ولعلّ مسبب نسبة تأسيس المدارس إلى نظام الملّك، ويرجع ذلك إلى شهرته، لإدارته وإلى كثرة المدارس التي أسسها، وإلى دوام كثير منها، فمن المعروف أنّ نظام الملّك قد بسى المدارس في بغداد والبصرة والموصل وبلخ ونيسابور وهراة وأصفهان ومرو وطبرستان، حتى قيل أنّه كان في كل مدينة من مدن العراق وخراسان مدرسة⁽¹⁹²⁾.

لكن الشيء الذي يُميز مدارس نظام الملّك عن معظم المدارس التي أنشئت قبلها أنها كانت تحتوي على الأقسام الداخلية للطلاب، علماً أنّ مدرسة أبي حنيفة تسبق نظامية بغداد بأربعة أشهر.

أمّا أسباب ظهور هذه المدارس، فهو مريح من دين ودنيا، فقد أشتهر نظام الملّك بحُسن السياسة والإدارة، والظاهر أنّه أراد هذه المدارس لإعداد موظفين في دولة السلاجقة⁽¹⁹³⁾، وهي دولة أعجمية، ونظام الملّك نفسه كان أعجمياً ووزيراً لأعجمي، فما كان أحوجه وأحوج سلطانه لرضى الناس عنهما وعن حكمهما، وأيُّ طريق أضمن من طريق العلم والمدرسة للوصول إلى ذلك⁽¹⁹⁴⁾.

فصلاً عن ذلك، فإن الدافع في إنشاء هذه النظاميات، هو دافع مذهبي وسياسي، وذلك لمناهضة الفاطميين في مصر، بعد أن بهض جامع الأزهر سنة (359هـ/ 969م) في عهدهم بالتعليم⁽¹⁹⁶⁾

ويؤكد هذا المنحى في تأسيس المدارس في الفكر الشيعي ما ذكره (ابن كثير)⁽¹⁹⁶⁾ وهو يتكلم عن دار العلم التي بناها سابور في أردشير ووزيرها بهاء الدولة فيقول في أحداث سنة (383هـ/ 993م) أظن أن هذه أول مدرسة وقفت على الفقهاء وكانت قبل التنظيمية بمدة طويلة

على أن النظامية لم تكن أول المدارس التي أنشأت في العالم الإسلامي، وإنما سبقتها العديد من المدارس في العالم الإسلامي، ومنها جامعة الأزهر، التي كانت عبارة عن جامعة مُصغرة لمهوم الجامعة في الوقت الحاضر⁽¹⁹⁷⁾ فهي كانت تحتوي على غرف للطلبة والعلماء، فضلاً عن روائع توزع على الفقهاء والطلاب على حد سواء لسد نفقاتهم الدراسية، وإنها كانت ترمي إلى نشر مذهب الدولة الفاطمية، وإن شارك فيها علماء من مختلف المذاهب فضلاً عن تدريسها العلوم المختلفة ولم تقتصر على العلوم الدينية⁽¹⁹⁸⁾.

وبذلك تكون جامعة الأزهر التي أنشأها الفاطميون في مصر قد أنشئت قبل النظامية التي أسسها نظام الملك بحوالي 69 سنة، من الجدير بالذكر أن نظام الملك قد تأثر بالأزهر الفاطمي، فأقام على غرار النظامية في بغداد، لتقويض المذهب الفاطمي، وهي مسألة معهودة من قبل الفرق الإسلامية في إنشاء المدارس لأغراض مذهبية خاصة بها أو لأهداف سياسية تتخذ من الدين ستاراً لها.

فلو راجعنا تاريخ عدداً من المدارس التي أنشئت بعد جامعة الأزهر لتوضح لنا، أثر جامعة الأزهر الفاطمي في إنشاء هذه المدارس. فقد أنشئت عدة مدارس بعد الأزهر من أبرزها:

- المدرسة الحافظية في مصر سنة (532هـ/ 1138م).
- المدرسة العائرية في مصر سنة (546هـ/ 1151م)
- مدرسة أبي منصور النيسابوري في بُحاري سنة (381هـ/ 998م).
- مدرسة أبي صالح التباي سنة (385هـ/ 995م).
- مدرسة الحسن بن داود السمرقندي في نيسابور قبل سنة (395هـ/ 1004م)⁽¹⁹⁹⁾.

وقد اقتدى صلاح الدين الأيوبي بالمدارس التي أنشأها الفاطميون قبله في مصر، فهي المدرسة الناصرية، ثم المدرسة القمحية في القاهرة أواخر أيام الفاطميين⁽²⁰⁰⁾.

وتؤيد النصوص التاريخية أن المدارس في الإسلام أنشئت وخصصت الجرايات لفقهاءها وطلابها وشيوخها في زمن مكر يسبق تأسيس المدرسة النظامية في بغداد بأكثر من قرن من الزمان منها، مدرسة ابن حبان النسفي سنة (345هـ/ 956م)⁽²⁰¹⁾، وذكر (ابن حلكان)⁽²⁰²⁾، أبا بكر محمد بن الحسن الأصفهاني بى مدرسة نيسابور، فيما أسس مدرسة الصادرية الأمير شجاع الدولة سنة (391هـ/ 1000م) أسسها لأمر شجاع الدولة، كما كانت مدرسة الإمام أبي حنيفة في بغداد تسبق النظامية بأربعة أشهر، فقد خصصت المساكن لطلبتها وأجريت عليهم الجرايات⁽²⁰³⁾

ثم نوالى بعد ذلك إنشاء المدارس في أرجاء العالم الإسلامي لقاء بقل نظام الملك المدارس إلى المغرب العربي، فشُيّدت أول مدرسة في تونس في ظل الخفصيين سنة (650هـ / 1252م)، ثم مدرسة الصمّانية في المغرب سنة (684هـ / 1258م) وهي أشهر مدارس بني مرين في المغرب، وهكذا توالى المدارس في قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة وغيرها من مناطق العالم الإسلامي⁽²⁰⁴⁾.

إذا اعتبرنا جامع الأزهر يؤدي دور المدرسة في علومه ويُلبي حاجات الطلاب المعاشية بتوفير الخرابات والطعم فيما يُعرف لأقسام الداخلية فضلاً عن جريات ومرقات الشيوخ، فالفاطميون يسبقون السلاجقة بهذا المضمار، ويمكن اعتبار نشوء المنظمات ردّ فعلٍ قام به السلاجقة للوقوف بوجه الفكر والعقيدة الفاطمية، أمّا إذ أُعْمِل الأزهر ولم يُحسب إنشاءه بمهموم المدرسة على أساس أنه لم يبن بالأسم الفني للمدرسة عدئذٍ يتأخر الفاطميون بساء المدارس حتى ظهرت المدرسة الحافطية سنة (532هـ / 1138م) والمدرسة الفاية (المعدية) سنة (544هـ / 1149م) والظاهر أنهما قد بُيّتا في الوقت الذي تراجعت فيه هيئة الخلافة الفاطمية وفقدت سطوتها بتسلّط الوزراء على الخليفة حتى كانت هاتان المدرستان تخدمان المذاهب الفقية لأخرى المناهضة للفكر الفاطمي من المالكية والشافعية⁽²⁰⁵⁾.

من بيت الحكمة إلى المدرسة الجامعة

لئن كانت المدرستين النظامية والمستنصرية من أبرز مؤسسات التعليم العالي في العصر العباسي الأخير، فإنّ مظاهر محاكاة بيت الحكمة في هاتين المؤسستين العلميتين من الممكن ملاحظته ليس في خزائني مكتبتهما ونظامي

إدارتهما فحسب، بل في تحول الأخير منها ومعني بها المدرسة المستنصرية إلى مؤسسة تعليمية جامعة بعد افتتاحها على تدريس الطب والعلوم الرياضية والطبيعية فضلاً عن العلوم الدينية واللغة العربية.

إن محاولة أخرى للمقارنة والمقاربة بين بيت الحكمة والمدرسة للجامعة وصولاً إلى الجامعة الحديثة تبدو مفيدة حقاً عند الإشارة إلى أنموذجين آخرين من المدارس الجامعة وهما مدرسة القرويين في المغرب ومدرسة الأزهر في القاهرة. على أن كلاً من المقارنة والمقاربة موضوعتا دراستنا ينبغي أن يُنظر لهما من روايا أخرى وثيقة الصلة بنشأة الجامعات في العصور الحديثة الأمر الذي له دلالاته المفيدة في تقويم صلة بيت الحكمة وتأثيره ليس في نشأة الجامعات الحديثة فحسب، بل ودورها الذي لم يعد يُضاهيه دور أية مؤسسة ثقافية وعلمية أخرى.

لقد كان الخلاف في تحديد المعنى والدلالات التي ينصرف نحوها مصطلح (الحكمة) بين العلماء المسلمين وأقرانهم العلماء الأوربيين في مختلف العصور أحد الأسباب المهمة في تفاوت مجالات المعهد المنحصر بالدراسات العليا التي ظهرت في حقبة لاحقة لازدهار الحركة العلمية سواء أكان ذلك في الشرق العربي أم في أوروبا وعلى قدر تعلق الأمر ببيت الحكمة العباسي فقد بدا واضحاً أن مجال اهتمامه أنصرف نحو تلك العلوم التي اقتصت بها دائرة الحكمة المعرفية العربية الإسلامية وقصد بها تحديداً العلوم الإلهية والعقدية وصاعتي الطب والتنجيم

نحج لشرق الإسلامي في احتواء العلوم الأجنبية بعد قرن على تأسيس بيت الحكمة العباسي ولا سيما حين ظهرت نتاجات العلماء لعرب والمسلمين

في الفلسفة (الفارابي وابن سينا) والرياضيات (الخوارزمي وابن الهيثم) والطب (الرهرودي والرازي) والهندسة (البوزجاني وابن الهيثم) والفلك (البتاني والمجريطي)، بلدت مسألة قيام معاهد علمية جامعة للعلوم اللغوية والدينية (العلوم الإسلامية) والعلوم الأجنبية (الفلسفة والعلوم الصرفة) كدليل على الاستيعاب الإيجابي لدلالات الحكمة بمعناها انقراطي الشمولي واللافت للنظر أنَّ هذه الجامعة لم تظهر أول ظهورها، بعد تأسيس بيت الحكمة العباسي، في الشرق الإسلامي بل ظهرت في المغرب العربي ممثلة بجامعة القرويين التي بدأت الدراسة فيها سنة 515هـ على عهد المرابطين. وكانت عمارة هذه المدرسة الجامعة قبل تطورها إلى وضعها هذا تعود إلى القرن الثالث الهجري عندما بدأ بناء جامع القرويين سنة 245هـ ثم توسعت عمارته في عهد الربيعيين ابتداءً من عام 345هـ.

وبذلك تكون مدرسة القرويين قد سبقت المدرسة المستنصرية لتي أسست في بغداد بين عامي 625هـ / 631هـ في نيلها لقب جامعة على أساس الاجتهاد أنَّ هذا اللقب لا بد أن تتحققه كلٌّ من هاتين المدرستين أي القرويين من قبل والمستنصرية من بعد، نظراً لأنَّ علماء المدرستين انصرفوا لتدريس العلوم الدينية والفلسفة والتاريخ والعلوم الطبيعية والرياضيات والطب والملك.

أما مدرسة الأزهر التي شهدت انقلاباً مذهبياً بعد قضاء صلاح الدين الأيوبي على الحكم الفاطمي، فإنها لم تفتح على دراسة لعلوم لاجسية إلا في تاريخ لاحق متأخر

ومن كل ذلك يمكن أن نستنتج أن بيت الحكمة العباسي قد دفع بمؤسسة التعليم العالي الإسلامية بخطوات متقدمة جداً إلى الأمام يمكن إجمالها بالآتي

1. إخضاع الدوائر العلمية العليا شبه المستقلة (حلقات العلماء) لتوجيه السلطة. فقد كانت المدرسة تتبع المعلم، إلا أنه مع قيام بيت الحكمة أصبح المعلم يتبع المدرسة وصار هذا الاتجاه خطأ متصاعداً في مسيرة المدرسة في الشرق والغرب.

2 توجيه الانتباه نحو العلوم الأجنبية لتدريسها بنفس المستوى من الاهتمام الذي حظيت به العلوم الدينية واللغوية

3. تطوير نظام إدارة جديد خاص بالتعليم العالي يتجاوز نظام حلقات المساجد القديمة، يتميز بوجود هيئة من الموظفين تتولى رئاسة المؤسسة ورئاسة الشعب العلمية بما في ذلك حزانة الكتب وتسم الترجمة وإدارة المرصد الفلكي وتحديد المرتبات ونوع الملابس وطريقة المحاضرات وأوقاتها وأماكن الصلاة والراحة.

4. إن ظاهرة سكن الطلبة وبعض العلماء التي بدأت بإقامة أولاد موسى والخوارزمي في بيت الحكمة تحولت إلى نظام للسكن ولاسيما للطلبة والعلماء الوافدين، فصار ملحقاً بالمؤسسة التعليمية يتم الإنفاق عليه من قبل الدولة ومن الأموال الموقوفة على منفعة المؤسسة التعليمية.

المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية

أهتم الخلفاء بتأسيس المكتبات العامة وجمعوا فيها الكتب العربية والعربية واليونانية والفارسية، كما أنشأوا المكتبات في المدارس

والمساجد، ولم يكن هذا عريباً لأن الإسلام حرص على العلم، واستخدم العقل في أمور الحياة فقال تعالى: هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون (سورة الرمر: آية 9). وقد زاد من هذه النهضة العلمية وثقافية استخدام الورق في الكتابة وأعطوا الحبر ألواناً مختلفة وزخرفوا وجوه الكتب وزهّبوا ونشطت حركة التدوين والتأليف نشاطاً لم يعهده التاريخ إلا في العصر الحاضر ونظراً لاهتمام المسلمين بالقرآن الكريم وتدوينه وضعوا النقط والشكل للحروف منعاً للحن في القرآن ووضعوا قواعد اللغة، فقد قام أبو الأسود الدؤلي بوضع النقاط على الحروف نقطة فوق الحرف للفتحة، ونقطة تحته الكسرة، ونقطة على خط استواء الكتابة للضمّة، ونقطتان أمام يدي الحرف على خط استواء الكتابة للتنوين وأهمل السكون، ثم جاء نصر بن عاصم الليثي ونمط الحروف فجعل للباء نقط والثاء نقطتين والجيم نقطة في بطنها ثم وضع الخليل بن أحمد الفرهيدي الشكل فوضع الضمة والفتحة والكسرة والتنوين وحل أشكال النطق⁽²⁰⁶⁾

وبازدهار حركة التأليف والترجمة وخاصة في بغداد عاصمة العباسيين ظهر الاهتمام بالكتاب وازدهرت هذه المكتبات تبعاً لتزايد أعداد الكتب وشغف الناس الشديد بالقراءة وكان من الطبيعي أن تؤدي هذه النهضة العلمية إلى جمع الكتب والمؤلفات وتكوين مكتبات الخاصة ببعض الأفراد وقد كانت في مجموعها صغيرة ولكن مكتبات الخلفاء و كبار رجال الدولة ما لبثت أن تحولت إلى مكتبات عامة لخدمة طوائف معينة من القراءة. ولقد أوصى بها أصحابها أن تحفظ في المساجد والمدارس حفظاً دقيقاً. وكذلك فإن أساتذة معاهد العلم أهدوا مؤلفاتهم ومكتباتهم الخاصة إلى معاهدهم التي كانوا يدرسون فيها⁽²⁰⁷⁾.

ساريج المكتبات في الإسلام يربط ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ العربي الإسلامي، فالمعروف أنَّ العرب قبل الإسلام عاشوا في الجزيرة العربية الإسلامية أحقاباً طويلة وهم في شبه عُزلة عن لعالم رعم اتصالاتهم المحدودة مع الروم والفرس والأحباش عن طريق التجارة، وبشكل عام كانت حياتهم بدوية متنقلة أما علومهم فكانت تتناسب ومتطلبات حياتهم ولم يهتم العرب قبل الإسلام بالتدوين، فقد اعتمدوا على الذاكرة في حفظ ونقل نتاجهم الفكري، وبالتالي لم يكن عند العرب قبل الإسلام سجلات مكتوبة، بحيث لا يمكن الحديث عن شيء اسمه مكتبة. وبمكس إن يُعزى ذلك إلى الأمية وعدم توافر مواد للكتابة بالرغم من ذلك فإن قسماً منهم عرف الكتابة وكتب على عظام الحيوانات وسعف النخيل والحجارة إلا أنه لم يصلنا شيء من ذلك⁽²⁰⁸⁾

لقد كان القرآن الكريم ولا يزال فتحاً حديداً في ساريج المعرفة الإنسانية، فهو قد رفع العلم والعلماء إلى أسنى مرتبة، وأقسم الله في مُحكم آياته بالكتاب والقلم وما يسطرون، كما حصَّ القرآن على القراءة والتعليم في أول سورة نزلت على لرسول الأمين مُحَمَّد من عب الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن هنا فليس بغريب أن توصف الحضارة العربية الإسلامية بأنها كتب ومكتبات وإذا كان المصحف الشريف هو أول كتاب ظهر في لغة العرب، فقد بدأت حركة التأليف منذ منتصف القرن الأول الهجري، وشهد القرن الثاني ظهور الكتب وحركة تدوين التراث والتاريخ، متأثرة في ذلك بطريقة كتابة الحديث، أي القرنان الهجريان الثالث والرابع رأبنا اردهار حركة التأليف خصوصاً بعد إقامة صناعة الورق في بغداد، ونظراً لحب المسلمين الأوائل للكتب ولقراءة العلم، وكتيجة لاتصالهم بالثقافات الأجنبية لتي وجدوها في البلاد التي فتحوها، انتشرت عندهم أنواع عدة من المكتبات⁽²⁰⁹⁾.

إن تاريخ المكتبات جرح لا يتجزأ من تاريخ الحضارة العربية الإسلامية والفكر الإسلامي ارتقت بارتقائه وساعدت على ازدهاره ونضجت معه وانحطت باحطاطه ولا عرو في ذلك فالإسلام العظيم دعا إلى المعرفة وإلى التعلم وإلى إنارة العقول بالقراءة والكتابة، وأن أول ما أوحى به الله سبحانه وتعالى إلى عبده ورسوله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم (سورة العلق - الآيات 1 - 5)

إن تاريخ الكتب عند المسلمين مهم جداً وأساسي لمعرفة تطور المعرفة الإنسانية عندهم، ذلك أنه لم تتفوق على المسلمين أمة من الأمم في حبهم للكتب والعناية بالمكتبات والمعرفة عامة والمكتبات من أهم وسائل نشر المعرفة على مدى العصور وقد انتشرت المكتبات في الإسلام انتشاراً واسعاً، وهي وإن كانت ثمرة من ثمار الحضارة العربية الإسلامية إلا أنها تعكس في تاريخها هذه الحضارة التي كانت هي نفسها ثمرتها وأن الأطوار التي مرت بها هي أطوار الحضارة الإسلامية بشكل عام هذا ويمد العصر العباسي عصر الإبداع في الحضارة الإسلامية وفيه نضجت الحضارة الإسلامية وأبعت وأنت أكلها ورخزت البلاد الإسلامية بالعلماء وانتلاميذ والعاهد والمدارس. وكان للمكتبات من ذلك نصيب موفور إذ يبارى الخلفاء والأمراء والأفراد والورراء والحكام واسرة في العناية بالمكتبات وفي تشجيعها، ونجد في هذا العصر جميع أنواع المكتبات⁽²¹⁰⁾

أنواع المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية

عرفت الحضارة العربية الإسلامية أنواع عدة من المكتبات ومن تلك الأنواع ما يلي:

1. المكتبات الأكاديمية.

2. المكتبات الخاصة.

3. المكتبات الخليفة.

4. المكتبات العامة

5. المكتبات المدرسية

6. مكتبات المساجد أو الجوامع⁽²¹⁾

نبذة بإيجاز عن أنواع المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية.

1 المكتبات الأكاديمية: وهذه المكتبات من أشهر المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية وقد وجه الإسلام جلَّ عنايته إلى طلب العلم وجعل القرآن الكريم الأشخاص غير المتعلمين في عداد الأموات. ومن أشهر المكتبات الأكاديمية، مكتبة بيت الحكمة، ومكتبة مراغة التي أسسها المغول في أذربيجان

2. المكتبات الخاصة: انتشر هذا النوع من المكتبات في جميع أنحاء العالم الإسلامي بشكلٍ واسعٍ وحيد بحيث يمكن القول بأن هذا النوع من المكتبات قد فاق في بعض الأحيان على غيره من الأنواع الأخرى ومن أمثلتها مكتبة سعد بن عباد الأنصاري التي حوت فيها كتباً طائفة من أحاديث الرسول (صلى الله

عليه وآله وسلم) ومكتبة الصاحب بن عباد التي بلغت عشرات المجلدات،
ومكتبة المستنصر الأموي

3. المكتبات الخلالية: هي نوع من المكتبات انتشر على امتداد العام
الإسلامي من المشرق إلى المغرب وهذه المكتبات كان يُسَنِّها الخلفاء والأمراء
والحكّام من أجل أنفسهم وقد جعلوها حققات للمناظرة والنمر والمحاضرات
والعلوم المختلفة، كما كانت من أجل نشر مذهب يعتنقه الحكّام والأمراء
ومن أمثلتها: تلك المكتبة التي أسسها السامانيون في بلاد خراسان، خزانة
الكتب في العصر الفاطمي، مكتبة الحكم الثاني.

4. المكتبات العامة: هي مؤسسات ثقافية يُحفظ فيها تراث الإنسانية
الثقافي وخبراتها ليكون في متناول المواطنين من كافة الطبقات والأجناس
والأعمار والمهن والثقافات ومن أمثلتها: مكتبة بني عمار في طرابلس الشام
وكان لهم وكلاء يجوبون العالم الإسلامي بحثاً عن الروائع لضمّها إلى المكتبة،
وكان بها خمسة وثمانون باسماً يشتعلون بها ليلاً نهاراً في نسخ الكتب⁽²¹²⁾.

5. المكتبات المدرسية: أولت الحضارة العربية الإسلامية اهتمامها
بإنشاء المدارس من أجل تعليم لناس جميعاً وبها (أي المدارس) ألحقت
المكتبات وهو الشيء لطيعي المكمل لهذا الرقي والازدهار، وتقول النصوص
التاريخية أن أول من أسس مدرسة في الإسلام هو نظام الملك وزير السلاجقة
في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، ومن المكتبات أيضاً مكتبة ابن
جبيرة، ومكتبة مدرسة الفاخريّة في بغداد⁽²¹³⁾.

6 مكتبات المساجد والجموامع: إن مكتبات في الإسلام قد نشأت مع
نشأة المساجد، حيث يُعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها في الإسلامية

لأهميته الكبيره في احياء الدينية والسياسية والفكرية، ومن أمثلتها مكتبة جامع الأزهر، كذلك مكتبة الجامع الكبير في القيروان⁽²¹⁴⁾ وإذا كانت مكتبات المساجد تقوم بوظيفة المكتبات المدرسية والجامعية خلال القرون الأولى من تاريخ الإسلام، فقد رودت المدرسة المستنصرية النظامية في بغداد، في منتصف القرن الخامس الهجري بمكتبة ضخمة كان فهرسها كما يُقال يصم ستة آلاف مجلد، واشتهرت بعض هذه المدارس مدارس أخرى كالمستنصرية لتكون جامعة تحمل اسم المستنصر العباسي فيما بعد⁽²¹⁵⁾

الباب السادس

بيت الحكمة

ودوره في ظهور مراكز الحكمة في الأندلس

بيت الحكمة

ودوره في ظهور مراكز الحكمة في الأندلس

أسهم بيت الحكمة البغدادي في رقد الحركة لثقافية في الأندلس ودعمها وتشجيعها وتزويدها بالعلماء والعلوم والمؤلفات وحثها على الترجمة والتأليف، بفضل الروابط والاتصالات الثقافية بين الحاضرتين بغداد وقرطبة، إذ تتلمذ عدد كبير من طلبة الأندلس في مدارس بغداد والكوفة وواسط والبصرة وغيرها من المدن العرقية ويعود الفضل الكبير في نقل الحضارة العراقية إلى الأندلس للأمير عبد الرحمن الثاني (الأوسط) (206 238هـ) وعاصر إنشاء بيت الحكمة في عهد الخليفة العباسي المأمون (198 218هـ)، ويؤكد المستشرق افرنسي ليفي برونسفال بأن الأمير هو الذي أعطى مملكة قرطبة النظام العباسي فاهتم الأمير بإرسال وريره القاضي عباس بن ناصح الجزيري إلى العراق للحصول على الكتب القديمة، فأتاه للأندلس بكتاب (السند هند) وهو أقدم الكتب التي تُرجمت إلى العربية في الحساب والأعداد الهندسية. كما أن النظام القرطبي يقتضي أثر لنظام العباسي في الثقافة، وتكوين بلاط الأمير كان يدل على تقليده لخلفاء بغداد.

ويؤكد المؤرخ الأندلسي أحمد الرازي أن أهل الأندلس كانوا يستقبلون بإعجاب أو في الأقل باحترام كل من مكان يأتي من بغداد، ونتيجة الحوادث السياسية في بغداد دخلت إلى الأندلس الكتب الفريدة والخواهر الثمينة كعقد الثعبان للأميرة زبيدة ولأقمشة الغالية، وقد حاطر كبار التجار لإيصال النفائس والنوادر إلى قرطبة لثرائها، وولع أمراؤها بالمجوهرات والمصنقات، ويؤكد لنا ذلك حصور العنان العراقي زرياب من بلاط الخليفة هارون الرشيد

إلى بلاط قرطبة في عصر الأمير عبد الرحمن الثاني ونقل معه معالم حضاره عراقية في الفن والأدب وتقاليده إجتماعية وأذواق حضارية أسهمت في نقله حضارية سريعة في الأندلس.

أصبح المسجد الجامع في قرطبة الذي يحتوي في أروفته من الفن المعماري العرقي يرين جدرانه وسقوفه الخط الكوفي، أكبر أكاديمية في العالم تشاهس بيت الحكمة البغدادي، وتخرجت فيه كوادر علمية خدمت الثقافة العربية الإسلامية يروي ابن حزم القرطبي في حكاية عابرة أن علماء قرطبة واصلوا جهود علماء (بيت الحكمة)، وقد تشوق ابن حرم لزيارة بغداد بوصفها في قوله 'بغداد حاضرة الدنيا ومعدن كل فضيلة والمحلة التي سبق أهلها إلى حمل ألوية المعارف والتدقيق في تصريف العلوم'، أكد المستشرق الإسباني إملو كارينه كومت في مقالته عن بغداد بالإسبانية ما كان للحضارة البغدادية من نفوذ طاع على مدن أسبانيا التي لم تكن إلا صوراً للمدينة المشرقية. كما أظهر المستشرق الإسباني امين بلانيوس تأثير الفكر الفلسفي الأندلسي بالثقافة العرقية وغيرها وكاد لومول أبي علي البغدادي القالي ومؤلفاته المعيدة إلى الأندلس في عصر الخلافة، وقدم لأدب صاعد البغدادي صاحب كتاب (الفصوص) دليل على إسهامات بيت الحكمة في النهضة في بلاد الأندلس.

ظهرت تطورات حضارية في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله بفضل حرصه واهتمامه بالحركة الثقافية، إذ حصل على كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني بمبلغ ألف دينار قبل ظهوره من أسواق بغداد كما بنى مكتبة خاصة بالقصر كانت تحتوي على 400 ألف مجلد للفهارس وتحتوي على أمهات المصادر في مختلف العلوم، وظهرت طبقة من الأطباء المرموقين أمثال

الزهرابي أكبر جراح في لعالم آنذاك، وتلمذ عدد من الأطباء في بغداد منهم أبناء يونس بن أحمد الحراني، وهما أحمد وأخوه عمر، وعملاً مذكراً لصناعة الأدوية في قرطبة على غرار ما شاهدوه في بغداد و البصرة، وذلك في مدينة الزهراء

أعجب الرحالة ابن حوقل البغدادي وكتابه (صورة الأرض) بما شاهده من حضارة متطورة في قرطبة التي يسميها بغداد الثانية، كما زار الرحالة الأندلسي ابن جبير البلسي (ت 614هـ) بغداد وأعجب بمعالها الحصارية، وزار بغداد أيضاً عدد كبير من العلماء والأدباء والفقهه منهم الحميدي الميورقي، وأبو الوليد الباجي، وأبو علي الصدي، والطراطوشي (أبي رندقة)، وابن سعد المغربي، وأبو بكر بن العربي الأشيلي وغيرهم وظهرت من الأندلس عوائل علمية كما هو الحال في بغداد، واحتضت بالعلوم والآداب منهم: أبو عاصم الثقفي، وبنو شريف الحسني وأصلهم من سبتة وسقروا في غرناطة، وبنو مخلد في قرطبة، وبنو عاصم في غرناطة، وبنو سماك في مالقة وغرناطة، وبنو عطية في غرناطة، والنقي علماء الأندلس ومهاوذا وأدباؤها بأساتذة ومعلمي (بيت الحكمة) وطلبتة وأحدوا عنهم وتلمدوا عليهم وعادوا إلى الأندلس وهم يحملون الثقافة البغدادية والمؤلفات والتقاليد.

ونأثر حاكم قشتالة ليون والملك الأسباني ألفونسو العاشر Alfonso العالم بالثقافة المشرقية وأسس مدرسة لترجمة في طليطلة بعد سقوطها عام 478هـ على يد ملك قشتالة ألفونسو السادس، وذلك على غرار أسلوب (بيت الحكمة) برنامجها إذ أصبحت طليطلة تساهم ببغداد في حركة الترجمة، واستمرت زهاء قرن كامل، كما ظهرت طبقة من المترجمين وترجمت مؤلفات

العرب في الطب والملك والتنجيم والرياضيات والفلسفة ومن أترجمين الأسقف ريموند، ويوحنا الاشيلي، والشعاس مركوس الذي ترجم معاني القرآن الكريم، وهرمانوس المانوسي وترجم شروح ابن رشد على أرسطو، كما زار طليطلة مترجمون كثيرون منهم برويتولاين أوفده ملك روما، وجيرار الكريموني الايطالي الذي ترجم رسالة الهسيان للرازي، كما ترجمت رسائل أحوان الصفا في الجغرافية والفلسفة وكتاب (التصريف) للهرراوي. وترجم أكثر من 70 مؤلفاً عربياً في الأندلس، كما وصل غرومست من أكسفورد بانكلترا

شفف الملك ألفونسو العاشر بالثقافة العربية وولع بالهن والأدب والترجمة ودون موسوعة كبيرة تحتوي على لوحات مصورة من التراث العربي احتوت على 427 لوحة منها (51) لوحة عن المسلمين وبراءهم، يُلاحظ على بعض اللوحات انتاثر العراقي من رسوم للفنان الواسطي ولوحات من مقامات الحريري ومعالم الحياة المشرفة ومجالسها الأدبية، ويبدو أن الرسامين كانوا من المشرق والأندلس

ومن المترجمين من العربية إلى اللاتينية ثابان المثوي وسليمان بن يوسف وجيوفاني دي كابوا، وترجم اصطفيان (الأقربارين) لابن خزار، كما ترجم ارمنجو ارجوزة ابن سينا وشروحها لابن رشد القرطبي وترجم ادلر البائي الإنكليزي فهارس المجريطي في الفلك والرياضيات، كما ترجم الراهب الإسباني سرفيتوس نظريات ابن النفيس في الدورة الدموية، وترجم ابن عزرا اليهودي من العربية إلى العبرية مؤلفات البيروني واشتغلت أسرة طبون في

بروحه العربية إلى العبرية إعجاباً بالتراث العربي الإسلامي واهتماماً واستفادةً منه لخدمة البشرية.



الموسيقى الأندلسية موسيقى شرقية عربية أثرت في الموسيقى الإسبانية المحلية وتأثرت بها منذ الفتح العربي الإسلامي والموسيقى الأندلسية هي خلاصة المعطيات لفئة لعاصر بشرية من عرب وبربر وصقلية تعيشت مع السكان المحليين في ظل لحكم العربي الإسلامي للأندلس. ثم كان لهذه الموسيقى تأثير قوي مباشر في جنوبي فرنسا وأوروبا

كان العرب قد تأثروا بالموسيقى الفارسية منذ فجر الإسلام حين كانوا يستمعون إلى ألحان الفرس الذين كانوا يعملون في المدينة، كما أفادوا من المعرفة الموسيقية عند الإغريق وكانت العلوم المختلفة، ومنها الموسيقى القديمة، قد أتت أوروبا عن طريق الباحثين الإسلاميين الذين حافظوا على كتابات اليونانيين بنقلها إلى العربية، وكانوا هم الذين اكتشفوا النظريات الموسيقية اليونانية فتمثلوها وأغوها بأنوع الموسيقى الشرقية الأخرى قبل نقلها إلى أوروبا، إذ لم يكن الباحثون الأوروبيون يعرفون من كتابات أفلاطون وأرسطو في ذلك الحين إلا القليل، وكانت تلك المعرفة مقتصرة على قلة من الترجمات من اليونانية إلى اللاتينية ولكن أوروبا اللاتينية عرفت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر مؤلفات الفلاسفة العرب الذين حافظوا على مؤلفات اليونانيين، وقد تُرجمت مؤلفات الفارابي إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر، وكان الفكر العربي قد التقى الفلسفة لأوربية عن كتب إبان الحروب الصليبية وفي أثناء الحكم الإسلامي في الأندلس. ويُعد أديلارد الباني الإنكليزي، رائد في دراسة فلسفة العرب وعلومهم، وقد كتب تعليقاً على الكتاب العربي (زيجات الخوارزمي ورسائل ملكية) وتناول في هذا لكتاب الموسيقى وفقاً لما كان متبعاً

في الدراسات الأكاديمية في العصر الوسيط، وكذلك أصبح كثير من الكتب العلمية العربية التي ترجمت إلى اللاتينية كتباً مدرسية في المؤسسات التعليمية الأوربية. وما يُذكر أن أول كلية للموسيقى في أوربا كانت في سلطنة **Salamanca** (القرن 13)، وكذلك مدرسة الترجمة في طليطلة، وأصبحت دراسة الموسيقى في المعاهد الأندلسية جزءاً من العلوم الرياضية، وكان يحضرها طلاب من مختلف أنحاء العالم المعروف آنذاك.

ظلت الحاضرتان الكبيرتان بغداد وقرطبة على اتصال دائم، على ما كان يسهما من تنافس سياسي، وكان أبناء المشرق والمغرب يتبادلون الريارات يلتقون في مجال الفكر، ويتنازعون في ميدان السياسة، وكان لهذه الريارات المتبادلة أثرها العميق في ازدهار العلوم والآداب والفنون.

كان لزياب (ت 230هـ/845م) أثر كبير في تطور الموسيقى الأندلسية، فعندما عادر بغداد إلى الأندلس أخذ يوارن بين أسواع الموسيقى الأندلسية وألوانها ويصنيفها إلى ثقافته الموسيقية النظرية والتطبيقية فجاء بغناء لم تعهده الأسماع حتى ذلك العصر. ثم جاء ابن باجة فمزج غناء النصراري بغناء المشرق، وجاء بعده ابن جودي وابن الحمراء فزاد الألحان تهذيباً وكان أبو الحسين بن الحامب المرسى حائمة هذه الصناعة وزياب هو مبتدع منهج جديد لما تحت الشكل الرمزي لشجرة فية سُميت بشجرة لطبوع أو شجرة الصيغ **nodes** لتشير إلى مختلف الأشكال اللحنية **melodic**. فالمشرق نبسى كلمة (مقام)، ويرجع المقام إلى درجة الأساس **tonic**، وتنبئت الأندلس كلمة أكثر اتساعاً وهي (الطبع) التي تلخص ارتباط الإنسان بالأحياء والأشياء، ويكمن الاختلاف بين المدرستين المشرقية والمغربية في كون الأولى تقية، والثانية

روحانية. ويقال أن زرياب كان يحفظ عشرة آلاف من الأغاني بالحانها، وقد وضع أسلم بن أحمد بن رشيد كتاباً عن أغانيه

وضع القدماء أوتار العود على عدد الطبائع الأربع في الحسد فزاد زرياب الخامس الذي يقوم مقام النفس، وجعله متوسطاً وصغره بالأهر وأسماء الوتر الأوسط الدموي، كما صنع منقر العود من قوادم النر عوضاً عن رقيق الخشب.

قامت شهرة زرياب أيضاً على مدرسته الموسيقية التي أسسها في قرطبة، والتي أصبحت معهداً للموسيقى الأندلسية، ومركز حضارة رائعة لقصر عزمي أندلسي امتدت أصوله إلى مجمل أقطار المغرب العربي، ولاسيما مراکش والجزائر وتونس، فكان تلاميذه من مشاهير أعلام الموسيقى لأندلسية وكانت العادة قبل زرياب، في تعليم الغناء، أن يكرر اللحن عدة مرات حتى يتم للتلميذ المغني أخذه على ثامه. أما زرياب فقد جعل طريقته في التعليم في ثلاث مراحل: يتعلم التلميذ في المرحلة الأولى ميزان الشعر ثم يقرؤه وهو يتقن على الدف ليبدل على مفاصل الميزان وليبين مواضع الحركات في تبيان لمواضع القوة والضعف في الميزان، وفي المرحلة الثانية يتعلم التلميذ اللحن بسيطاً مجرداً من كل زخرفة وتعميق، أما في المرحلة الثالثة فيتعلم التلميذ الزخرفة وما يتبعها من إظهار للعواطف والأحاسيس. وكان زرياب يخضع تلاميذه للاختبار، قبل البدء بتعليمهم، فيجلسون على مقاعد عالية ويصيحون بكل ما في صدورهم من قوة (يا حقام) وقيل (يا حجام)، أو يصيحون قائلين (آه) ممدودة على جميع درجات السلم (ر الموسيقى)، وبذا يتم اختيار ذوي الموهبة والاستعداد الطيب لتعليمهم وكان إذا لوحظ في صوت التلميذ لين زخو شذو على بطنه

شال العمامة حتى يقوى صوته، وإذا كان لا يستطيع أن يفتح فاه إلا بقدر لعب خلقي فرض عليه أن يدخل في فيه قطعة خشبية عرضها ثلاث أصابع ينام بها طوال الليل. وكان أولاد زرياب العشرة، الذكور منهم والإناث، أوائل تلاميذ معهده، وكانوا كلهم حراماً للصناعة الغناء وعاملين على إشاعته في الأندلس.

وكما حصل امتزاج بين الأنماط العمانية العربية الجاهلية والموسيقى الفارسية في المشرق العربي، فقد حصل امتزاج آخر في الأندلس بين موسيقى المسلمين الفاتحين من عرب وبربر، والموسيقى الإسبانية المحلية. ونتيجة هذا التمازج الفني في مجال السلم والمقامات، أصبح الجنس **tetrachord** (المؤلف من أربعة أصوات متتالية) أساساً لدراسة المقامات - أي الطوع - ولكل طبع منها سمات خاصة. ونتيجة لذلك، وصعت دسايير **frets** قليلة ومتباعدة محدة على زند العود الأندلسي مما يشبه تلك التي ترى على زنود الآلات الوترية الأوروبية الحديثة المحددة التصويت مثل الماندولين **mandolin** والعبارة **guitar**.

شغف الأندلسيون بالغناء، كأهل المشرق العربي، فابتدعوا سوعين من الشعر الخاضع للتلحين هما: الموشح والزجل وانبثق الموشح في القرن الثالث للهجرة في مبدعات محمد بن حمود القبري وتابع نظوره في مبدعات الآخرين، وبدأ الشعر حينذاك بحرر نفسه فبعد أن كان الوشاحون يلزمون بحوراً لا تتجاوز الستة عشر، أريت هذه على مئة، وصارت أوزان الموشحات على غير عروض شعر العرب وقد لجأ الملحنون إلى صوغ الألحان أولاً، ومن ثم ركبوا عليها المقطوعات الشعرية المتجاوبة والمتناسقة مع الألحان لموصوعة، وظهر

بذلك الملحن الشاعر لذي كان يصوغ اللحن ويُظم الشعر المناسب له، ولهذا قيل إنَّ لمشاركة كانوا يُخضعون للموسيقى لشعر في حين كان المغاربة، على النقيض من ذلك، يُخضعون الشعر للموسيقى ويتألف الموشح عادةً من مقطع يُسمَّى (بدئيّة) يُقاس عليها المقطع الثاني تلحيناً، ويعقب ذلك ما يُسمَّى بالخانة أو السلسلة أو الدولاب، وكل مقطع أو قسم مخالف للآخر في التلحين. ومن أشهر الموشحين: ابن زُهر، وابن باجة، وابن سهل الإشبيلي، ولسان الدين بن الخطيب، وابن زُمرَك

وقد وجد الرجل في الأندلس إلى جانب الموشح، فحرر الزجالون الشعر من القافية الواحدة والأوزان الشعرية المحدودة، ولم يتفيدوا بقواعد البحر وحركات الإعراب ولم يتودعوا عن إدخال الكلمات الأعجمية في أرجاعهم فالزجل أو الموشح فن شعري غنائي واحد تقريباً من ناحية البناء اللغوي، غير أنَّ الموشح يُطلق على الفصح المعرب والزجل على العامي الدارج

كان لفن الزجل الذي اتسم بالبساطة وطبع على العطرة صده البعيد في المجتمع الأندلسي. وكثير من الأغاني التي تأسرت بالعناء الأندلسي الشعبي كانت من نوع *cante hondo* (أو *jondo*) وكلاهما يعني الغناء العميق وتتمصف هذه الأغاني بالإعادات الكثيرة مع ترسيات وتجميلات *floritura* مبالغ فيها مع استعمال قفزات لحنية كانت تعدّ غير مقبولة في الصيغ الأوربية أمّا غناء الفلامنكو *cante flamenco* فهو أعاني الغجر ورقصهم وهو فرع من السوع الأول ومثل ذلك يُقال في التراسيم التي كانت ضمن شعائر المستعربين *mozarabic rite* وشارك الرجل الموشح إلى حد كبير في موضوعات الحب والمديح والمجتمع وغير ذلك أمّا الأغاني التي كان يرددها

النروبادور **troubadours** في العصر الوسيط في جنوبي فرنسا (وأسمهم باللغة المحلية **provençal**) فيها أسماط وأغصان تُشابه مثيلاتها في الأندلس، وقد تشبهت أغانيهم بقوي الزجل وموضوعاته الدنيوية. وما يُشار إليه هنا التأثير والتأثر في آنٍ واحد بين الغناء الأندلسي والغناء الغريغوري والكاثيغات **cantigas** وهي أغانٍ دينية شعبية انتقلت مكتوبة إلى أرجاء أوروبا ويرجع الفضل في حفظها إلى الملك ألفونسو الحكيم الذي اهتم كثيراً بالتعليم العربي في إشبانية المسيحية.

وقد سبب انتشار الزحج، لمجد والصيت الواسعين للشاعر المغربي ابن فرمان (ت555هـ/1160م)، وهو أحد أوائل الشعراء الجوالين قبل الأورسن، وأعماله في الزجل وصلت في مدة ثلاثة أشهر فقط إلى بغداد ولانت هنالك نجاحاً كبيراً

وتحت تأثير قالب الأغنية الشعبية لأندلسية في المذهب (الدور) **burden-refrain** الذي كان يُعاد قبل كل مقطع جديد (غصن) **stanza** وبعده، ظهرت أنواع أخرى شاعت في عصر النهضة الفرنسية كالنشد الاحتفالي **ode**، والأغنية الروائية التي كانت قبلاً من لوقصات الشعبية (بالأد) **ballade** وفي المغرب العربي ما زال يُطلق على الموسيقى الأندلسية في تونس اسم (المالوف)، وفي الجزائر (الغراطي)، وفي المغرب (لآلة)

والنوبة (ر) (الأغنية) قالب من قوالب التأليف الموسيقي يتناوب فيه الغناء والموسيقى، وقد يكون مقتصراً على الموسيقى الآلية وحدها. وتركب سلسلة الألحان على نظام واحد وقواعد محددة، وجميع ألحان النوبة الواحدة تكون عادةً من الطبع الذي تحمل اسمه وقد ورثت أقطار المغرب هذا الابتكار

الأندلسي عن طريق السماع والتلقين، وبذا فقد كثير من انبويات بعض
أجزائها واندثر عدد كبير منها وقد لجأ أهل المغرب العربي إلى جمع ما
استطاعوا من النوبات أو إلى دمج أقسام منها في نوبات أخرى، ويُطلقون عليها
اسم (اليتايم) وعددها عندهم اليوم إحدى عشرة، ويُقال إنها كانت في الأصل
أربعاً وعشرين بعدد ساعات اليوم ويرجع الفضل في الحفاظ على هذه
النوبات إلى أقطار المغرب العربي، تونس والجزائر والمغرب

وقد تعددت الآلات الموسيقية في الأندلس كما ورد ذكرها في الدراسات
المرجعية وحمل قسم كبير أسماء كثيرة وبقيت أوصافها غامضة ومشوشة في
معظم الأحيان فالعود مثلاً، وردت له أسماء عدة، ومن المحتمل أن تكون
هذه التسميات لأعواد مختلفة لكل منها خصائصه الميزة. وكان يُطلق على
العود قِلاً (البُرْبُط) نسبةً إلى الموسيقي الفارسي (باريد)، ولما صُنِع وجه قصعة
هذه الآلة من الخشب (أي من العود) سُمِّي عوداً بعد أن كان يشد على قصعة
جلد حيوان وانتقل اسمه إلى اللغات الأوربية بألفاظ متشابهة (بالإسبانية
lute وبالإنكليزية lute وبألمانية luth وهكذا) وكذلك آلة الرباب
دات القوم rebec أو rebecca (وتسميات أخرى مشابهة) دخلت إلى
أوريا، وظلت قوسها بشكل قوس الصياد حتى القرن 15م. وتعد الرباب
أساساً لآلة الكمان violin. والمزمار المسمى (الزُلَامِي) على شكل قصبة
مفتوحة الطرفين ينفخ فيها بقصبة صغيرة توصل به على غرار الآلة اليونانية
أولوس aulos. والشانة هي قصبة حواء بثقوب مثل الناي. أمّا الفيشرة لبي
يُطلق اسمها على القيثارة، فهي بالإسبانية guitarra وباليونانية kithara أو
kitharis كما سماها هومبروس ولغظة قشرة في الأصل أخذها اليونانيون
من سورية. ولعل ما يسمّى بالبوق هو ما يُعرف بالترومبا المستقيمة (بالفرنسية

tronpe droite، وبالإنكليزية قرن الصيد (hunt horn). وقد جاء وصف
 لألة سميت بالشقيير وردت بالفرنسية (choqpar أو choqra) أو
 (échi qui er) بأنها صغيرة الحجم ودات ملامس سوداء فيصاء على التوالي
 توضع على منضدة أثناء العرف ومن المعتقد أن هذه لألة هي إحدى
 متكررات زرياب في الأندلس وقد تكون بحسب الوصف سابقة لألة
 الكلافيكورد clavi chord، جدة آلة البيانو، المتطورة عنها في القرن الخامس
 عشر. أما آلة الشاهروود أو الشهورود فقد تكون السولتيري psaltery الوترية
 الشبيهة بالسطور zither ويبدو الأصل العربي كذلك واضحاً في تسمية
 الآلات الإبقاعية الكثيرة والمتنوعة. فالطل، مثلاً، سُمي بالإنكليزية القديمة
 tabar، وبالإيطالية tabal o وبالفرنسية t arbour، والتمارة بالفرنسية
 naca re، وبالإيطالية naccara، وكذلك الدف المسمى بالإسبانية أدوفه
 adufe.

اشتهر في الأندلس كثير من الموسيقيين والمعنيين وعلى رأسهم إيس
 الحاجب الشاعر والملحن والمغني، ولأدة بن ت المتكبي الشاعر والمغني،
 والصقلّي المغني، والطيب يحيى بن عبد الله الذي كان يحدد في تكوين الفرقة
 الموسيقية المصاحبة لغناء الزجل وذلك بإدخال آلات النفخ النحاسية، وإيس
 الحمراء الملحن والعارف، ليارع ولكن المؤلف الأكثر عمقاً كان لقيسوف إيس
 ماجه وهو في الوقت نفسه عالم نظري وعارف ماهر ومغنٍ بارع، وقد ألّف كتاباً
 يلخص فيه المعارف الموسيقية مما بضعه في صفح واحد مع الفارابي. أما
 الآخرون الذين عُرفوا بكنسهم ورسائلهم التي ضاع منها الكثير فيذكر منهم: أبو
 الصلت أمة بن عبد العزيز الداني ومُحمّد بن الحداد، ويحيى بن الخُدّج، وإيس

مساء الملك، وأحمد من مُحَمَّد الإشبيلي، ولسان الدين بن الخطيب، وابن خلدون، وابن الحائك، والمقرئ

لم يتوقف تأثير الحضارة العربية الإسلامية في أوروبا عند التأثير الموسيقي، بل تعداه إلى كثير من العلوم والمعارف والفنون الأخرى التي كادت الأساس والتطلق للهمة الأوربية وكان تأثير العلوم الموسيقية الأندلسية واضحاً في الأوربيين، إذ إن وفود الطلاب الأوربيين إلى الأندلس في قرطبة وغيرها من المراكز والمعاهد الموسيقية في المدن الأندلسية الأخرى وإيادهم إلى أوطانهم كان سبباً آخر في انتشار الفنون الموسيقية العربية في أوروبا، فترجموا كتابات العرب في علم الموسيقى إلى اللاتينية وبعض اللغات الأوربية الأخرى كما كان للزجل الأندلسي تأثير جلي في الشعر الأوربي ولأسماء المكون منه من ستة أبيات مكون قوافي الثلاثة الأخيرة هي قوافي الثلاثة الأولى دانيها وكذا ظهور طبقة المغنين الخوالين الفرنسيين الذين قلّدوا الزجالين الأندلسيين ويبدو كذلك كثير من التعاليد والأوضاع الموسيقية الأندلسية واضحة في الموسيقى والغناء والرقص الإسباني الحديث الذي يتصب بالخفة والرشاقة والنحن في الحركات، وصلصلة صنوج الراقصات على أنغام الإيقاعات الموسيقية المختلفة

قرطبة مدينة الكتب والحضارة

إن الازدهار العلمي والحضاري الذي عرفته الأندلس عامة وقرطبة خاصة لم يشهد له مثيل في التاريخ، فقد فتح المسلمون أسبانيا، وأسسوا بها حضارة عريقة أيقظت البشرية من عفونها ومهدت لتطور وتسير العام بصرف المعرفة والعلم والأخلاق، بهرت لبشرية بتطورها وشدّت لها لأبصار

وشغفت بها العقول للإستتار من قسها، فكانت حقاً ملتقى للعلم والحصار والأدب، حضارة أرمى دعائمها الإسلام، لإسلام الذي شجع على العلم والبحث والمكر والأخلاق، الإسلام الذي به شيدت المساجد، وأروع القصور، أجمل الحدائق، وشقت به الطرقات، وتنافس فيه العلماء لاقتناء العلم والمعرفة من كل مدن الأندلس ونتاجاً لذلك أسست المكتبات، ودواوين النسخ والترجمة، ومحابر البحث والتجريب في كل مكان. وتعتبر مدينة قرطبة أحد أهم هذه الرموز الحضرية الساطعة في التاريخ، لما شتملته من صنوف العلم والمعرفة، فقد كانت قبلة للعلماء، والمفكرين والأدباء، خصوصاً أن بها مكتبة عريقة عُرِفَتْ بمكتبة قرطبة، يوجد بها مختلف الخرائط، والوثائق المهمة، والتجارب العلمية، وأخبار العلماء والأدباء وأخبار التاريخ والفقه والسيرة الخ، كما أنها اشتملت على أمهات الكتب وأندرها وأشهرها في ذلك العصر بل أنها توفرت على كتب بعدة لغات ومن شتى بقع العالم في ذلك الوقت.

مكتبة قرطبة:

أنشئت هذه المكتبة في عصر مُحمَّد الأول عام 238 - 273هـ/853 - 887م ثم تطورت في عهد الحكم الثاني، وقد كانت مكتبة الحكم رصدها ثلاث مكاتب هي: مكتبة القصر التي اشتملت على ما جمعه أسلافه، ومكتبة أخيه مُحمَّد التي ورثها بعد وفاته، ومكتبة الخاصة التي جمعها من كل حبيب وصوب، وأخذ الحكم في تسمية مجموعات المكتبة الجديدة حتى بلغ عددها أربعمئة ألف مُجلَّد. وعندما تولى الحاكم الأموي عبد الرحمن الناصر حكم الأندلس عام 300 - 350هـ/913 - 962م والذي اشتهر بحبّه للكتب

حتى بلغت شهرته الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع الذي لم يجد ضيقاً بتقرب به إلى قلب الناصر حينما عزم على عقد معاهدة معه سوى أن يُهديه كتاباً جديداً لم يعرفه من قبل وهو كتاب ديسقوريدوس، وكانت هذه النسخة رائعة حيث كُتبت بحروفٍ من ذهب وزُيّنت برسوم جميلة، وحب الناصر للكتب جعله يهتم بمكتبة القصر الملكية وذلك بتزويدها بكل ما هو نفيس من الكتب. وفي تلك الأيام ساء كل من ولديه الأميرين الحكم ومُحمَّد دراستهما تحت إشراف معلمين من أهل البلاد وخارجها، وقد راد شغفهما بالكتب إلى درجة قوية جعلتهما لا يرضيان عن مكتبة أبيهما، وبدعا يسافسان في طلب العلم ويتناغان في جمعه ويتأريان أبيهما يستطعن أن يجمع مكتبة أكثر عدداً وأفضل اختياراً من الأخر، وعندما توفي مُحمَّد آلت كتبه لأخيه الحكم وورثها عنه

وفي عام 350هـ/962م. تولَّى مسؤولية الحكم المستنصر بالله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي كان شغفه بالكتب والمكتبات ومقدار اهتمامه بالعلم والعلماء كبيراً، فجعل الحكم كل هدفه البر بالأناس قُدماً في طريق العلم والمعرفة فوجَّه الحكم جلَّ اهتمامه إلى بناء وتنمية مكتبة الخاصة فشر رجاله في كل مراكز الثقافة الإسلامية يبحثون عن النادر من الكتب والمحطوطات ويدفعون أغنى الأثمان بغية الحصول عليها، بل وكانوا يصادقون تجار الكتب في كل مكان ليدلوهم على ما صدر منها وما هو مسيله إلى الصدور وكان يحدث كثيراً أن يشتروا الكتب من مؤلفيها أو ناشريها لتصدر في الأندلس قبل أن ترى لنور في بغداد أو الموصل أو البصرة أو مصر حيث كان الحكم يجد متعة في أن يكون أول قارئ لما يصدر من الأبحاث الجديدة

وللأسف كان مصير هذه المكتبة نفس مصير المكتبات المشرقية من الحرق والسلب والنهب والتخريب، ذلك أنه بعد وفاة الحكم وليي الأندلس المنصور ابن أبي عامر وقد أراد أن يرضي العامة والعقهاء في زمانه فأخرج من المكتبة جميع الكتب الفلسفية وأضرم فيها النار في الميدان العام في قرطبة

ولم يقف أمر هذه المكتبة عند هذا الحد فقد صغفت الأندلس بعد وفاة المنصور وبدأت في التفسخ وقد تعرضت قرطبة لحصار البرابرة واحتاج الحاجب واضح مولى المنصور ابن أبي عامر إلى المال فأخرج أكثر الكتب من المكتبة وباعها، وما تبقى منها نُهب وحرق عندما اجتاحت البرابرة قرطبة

لم يكن للمكتبات عند نشأتها أبنية مستقلة خاصة، بل كانت المكتبة جزءاً غير مستقل من مبنى المؤسسة التي تنشأ في كتفها، فكانت مكتبة الحكم تشغل إحدى أجنحة قصر الخلافة بقرطبة وكان هذا الجناح هو ما يُعرف في التاريخ باسم مكتبة الحكم أو مكتبة قرطبة الأموية، وعندما صاقت غرف المكتبة بما تحويه من كتب، علاوة على عدم استيعابها للزيادة المطردة من الكتب كان من الضروري أن تنقل المكتبة في مكان آخر، وقد استعرفت عملية النقل منه أشهر كاملة. وكان المبنى الجديد يضم عدداً من الأقسام منها قاعة الكتب وهي أصل المكتبة، ومركز البحث والتأليف، ومركز النقل والترجمة، ومركز التدقيق والمراجعة.

وكانت تشمل اقاعة الرئيسية في مبنى المكتبة، عدداً كبيراً من الكتب التي كان يجمعها الأمراء ويشترونها ويعتبر المصدر الأهم في جمع الكتب حيث كانوا ينافسون في الحصول على الكتب وبوادر المخطوطات ويدفعون فيها أموالاً طائلة. وقد وصل عدد المجلدات نحو أربعمائة ألف مجلد، وقد بلغ عدد

فهارس بها في أسماء دواوين الشعر فقط (44) فهرساً، بكل فهرسة عشرون ورقة واهتم الحكم المستنصر بهذه الكتب عناية كبرى، فجمع في قصره حذاق النساخين، والمهرة في الضبط، والمجيدون في التجليد صيانة لكتبه

لقد كان المستنصر يجد في طلب الكتب والبحث عنها في كل مكان حرصاً النادرة منها والمهمة، فقد بحث المتصر في طلب كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصفهاني ودفع إليه فيه ألف دينار، فأرسل إليه أبو الفرج نسخة مكتوبة من هذا الكتاب قبل أن يظهر في بغداد. كذلك أُلّف له كتاباً يتضمن أنساب قومه بني أمية، وقد فعل المستنصر ذلك أيضاً مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر بن عبد الحكم، ومع مُحَمَّد بن القاسم بن سعد بمصر، ومُحَمَّد بن يوسف الوراق الذي صَنَّف له كتاباً ضخماً في مسالك أفريقية وممالكها، وأبي عبد الله مُحَمَّد بن أحمد بن يحيى بن مفرج وكان يُعين هؤلاء لكتابة المال على كتابة مصنفاتهم، كما كان لا يتردد في مساعدتهم عن طريق إعارتهم ما كانوا يحتاجون إليه من مصادر، فقد أرسل إلى الكاتب المصري أبي سعيد عبد الرحمن بن يونس صاحب كتاب تاريخ مصر والمغرب كتاباً استعان به هذا المزارع في تصنيف كتابه المذكور، في القسم الخاص بالأندلس. فضلاً عن ذلك كانت تأتي كتب أجنبية من البلدان الأخرى هدية إلى حكام المسلمين، ومن المصادر أيضاً الوقف وكان يمثل مصدراً في إثراء المكتبة بالمجموعات القيمة من الكتب، حيث كان الحكام والمحكومون شديدي الرغبة في وقف الكتب على مختلف معاهد التعليم وإنشاء المكتبات بها حتى ينالوا الأجر والثواب من الله على ذلك وإفادة طلاب العلم من جهة أخرى وكان تنظيم المكتبة من الداخل يعتمد على الفهارس الموضوعية، وقد بلغت

هذه الفهارس التي فيها تسمية لكتب وأسماء المؤلفين نحو أربعة وأربعين فهرماً لكل موضوع، وفي كل فهرس عشرون ورقة.

إنَّ المتصفح لحقب تاريخ الأندلس يجده حافل بصنوف العلم والحصارة، الحضارة التي شكّلها المسلمون بأخلاقهم الحميدة وحبهم للعلم والعمل، وما دليلاً ازدهار قرطبة وتطورها من مدينة صغيرة ليس لها شأن إلى مدينة عريقة وذات حضارة بقيت معالمها إلى اليوم للدليل راسخ على فضل العلم والأخلاق في ذلك، وقد ساهمت مكتبة قرطبة في ذلك الوقت إسهاماً كبيراً في نشر العلم والمعرفة، لما وفرته من أمهات الكتب وأندرها، وأكثرها غزارة بالمعارف، كما أنها شكّلت همزة وصل بين المشرق والمغرب فكانت مكاناً يلتقي فيه كبار العلماء ويتجادون فيه أئمة الكتب، ويترجمون، وينسخون ويدققون ويستفيدون من محتوياتها.

وبعتبر الكتب التي تحتونها مكتبة قرطبة من أهم الكتب وأكثرها تطوراً وإفادة في ذلك الوقت، نظراً لكثرتها وتنوعها وتنوع علمائها من المغرب والمشرق، ولولا أن معظم الكتب إن لم يزل كلها قد اندثرت وحُرفت، لكانت حير دليل على ذلك، كما أن فن عمارتها كان جيلاً جديداً حسب المؤرخين لولا أنه دُمّر، وليس لنا إلا أن نستشهد بجامع قرطبة الذي ظلت معاملته شاهدة إلى اليوم في أسبانيا على فترة قادت فيها هذه الأمة الأمم جمعاء

تنظيم المكتبة

كانت مكتبة الأمويين في قرطبة داراً علمية بمعنى الكلمة، فلم تكن مجرد دار لحزن الكتب وفهرستها على نحو ما هو مألوف الآن فقط، وإنما نُظِّمت

نظيماً دقيقاً لتوفر العاية المرجوه منها، وقد أقيمت هذه المكتبة بقصر الخلافة في قرطبة⁽²¹⁶⁾ وإن كانت المصادر التي وقعت بين أيدينا لم تمدنا بمعلومات وفيه عن وصف بناء المكتبة، إلا أنه من المرجح أن بناءها قد لقي عناية فائقة من الناصر لدي عني بقصر قرطبة عناية عظيمة، حتى قيل إنه لم يبق فيه بنية إلا وله فيها أثر محدث إما بتجديد أو بتزييد. وحسبك بناء يتسع لأربعمائة ألف كتاب فكيف يكون اتساعه وعدد حجراته^٩ لقد كانت عدد غرف مكتبة الخلفاء الفاطميين أربعين غرفة في قصورهم انداحلية⁽²¹⁷⁾ فمن المحتمل أن تكون عدد غرف مكتبة الأمويين في قصر الخلافة مساوياً له إن لم يمه عددًا، وقد زودت بالسبط والسجاجيد والستائر والمقاعد، ونظمت حجراتها على نحو يكفل الراحة لروادها، فكانت هناك غرفاً للمطالعة وأخرى من أجل المناظرات والاجتماعات والبحث، ومحازن خاصة لحزن الكتب قد أعدت إعداداً خاصاً، ونوعاً آخر من الغرف تضم الهيئات العامة في المكتبة من النساء والرسامين والخطاطين والمترجمين والمدققين وغيرهم، وقد زودت هذه الحجرات بما يلزم العاملين من أحبار وأوراق وأدوات كتابية وأصماغ وأصباغ ولعل في وصف المقرئ لمكتبة الحكم إن كان مختصراً ما يعضد وصفتها. وقد جمع في قصره الخدّاق في صناعة النسخ والمهرة في الضبط والإجادة في التجليد فأوعى في ذلك كله^{١٠} (نفع الطيب، ج1، ص386) وسوف نقوم الآن بوصف سريع لأهم أقسام المكتبة لنصف على كيفية إعداد الكتب فيها.

أ. قسم الترجمة

يضم هذا القسم أعداداً كبيرة من المرحمين المجيدين للغات الإغريقية واللاتينية والأسبانية وغيرها، وكان أغلبهم من الصاري والصفالية واليهود وقليل من المسلمين، نذكر منهم: عبد الله الصقني، ومحمد نباتي، والسياسي، وأبا عثمان الخزار الملقب باليابسة، ومحمد بن سعيد، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم، وحسداي بن شيروط خويبان ريبيرا⁽²¹⁸⁾. وقد ساهمت هذه المجموعة في ترجمة كتاب الطب الذي أهدها إمبراطور الروم إلى الخليفة الناصر، وكان الخلفاء الأمويون يعتنون بهذا القسم أشد الاعتناء، يجزلون العطاء للعاملين فيه مما ساعد على ترجمة العديد من الكتب الإغريقية في مجالات الطب والهندسة والفلسفة والفلك وغير ذلك في مجالات العلوم المختلفة

ب. قسم التدقيق والمراجعة

يعمل في هذا القسم نخبة من العلماء المعروفين بغزارة علمهم ودقة استنباطهم وحذقهم في القياس، والصارين بقسطر، وافر في اللغة والأدب وعلوم الدين وعلوم الحياة، كل حسب تخصصه ومواهبه، وكانت مهمة هذا القسم مراجعة الكتب وتصحيحها والتعليق عليها بعد نقدها وتنقيدها، نذكر منهم: الرباجي محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدي النحوي، وكان ضليعاً في علم النحو، وقد استأذنه الخليفة الناصر على ابنه المغيرة، وفي عهد الحكم زاول مهنة المراجعة والتدقيق في مكتبته وأوسع له هذا الخليفة في الجراية والعطاء ابن القروضي.

ومن المدققين أيضاً مُحَمَّد بن أبي الحسين الفهري القرطبي، ومُحمَّد بن معمر الجياني، وكنا خبيرين في النحو وعلم اللغة، وقد كلفهما لحكم بتدقيق وتهذيب ما لم يهده أبو علي القالي من كتابه أبارع في اللغة حيث قام المؤلف بتصحيح كتاب الهزمة وكتاب العين، ثم توليا المدققان الباقي منه بالتصحيح والتهذيب، ولما اكتمل الكتاب، خرج بخط فصيح في مائة وأربعة وستين جزءاً وعدد أوراقها أربع آلاف وأربع مائة وست وأربعون ورقة، ورفعاه إلى الحكم المستنصر الذي قام هو أيضاً بالمقابلة بينه وبين كتاب العين للخليل بن أحمد، وأضاف عليه إضافات أخرى خوليان ريباً⁽²¹⁹⁾

ج . قسم الوراقين

يضم هذا للقسم مجموعات كبيرة من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب وتزيينها بالصور وتجليدها ثم عرضها في المكتبة، يذكر منهم الأديب اللعوي مُحَمَّد بن أبي الحسين الفهري، وعباس بن عمرو بن هارون الصقلي، الذي عبه الحكم وراقاً في مكتبته، وكان يأس إليه كثيراً ويوسع له في الرزق. وما ساعد على ظهور مهنة لوراقة هذه والتي لعبت دوراً بارزاً في تكوين مكتبة الأمويين ظهور الورق وانتشاره في الأندلس، حيث تأسس أول مصنع لصناعة الورق عام 950م في مدينة شاطبة ينتج جمع أنواع الورق بما فيها الأبيض والملون⁽²²⁰⁾ والذي ساعد بطبيعة الحال على تأليف الكتب، وسهل تداولها بين الناس، جعل أهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة رواية المقدسي عن (أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج3، ص13).

وأعمال النسخ من الأعمال الأساسية للوراقين، وقد أعدت لهم غرف خاصة، رودت بمستلزمات النسخ من مقاعد ومحابر وأقلام وأوراق، ويشترط فيمن يمتحن مهنة النسخ جودة الخط ووضوحه وصحته، وأن يكون على حظ كبير من المعرفة والثقافة، حاضر الذهن يقطاً متنبهاً لما يكتب، معروفاً بالأمانة والصدق بين الناس.

وطريقة النسخ المتبعة غالباً أن يقوم الناسخ بسخ المخطوط مباشرة من مخطوط آخر أممه، فإذا انتهى من نسخه يدفعه إلى قسم المراجعة والتدقيق للتأكد من صحة ما نسخ، وإذا ما طلب أكثر من نسخة كان يجلس مجموعة من السّاح بعدد النسخ المطلوبة، ويُعَملي عليهم شخص آخر من المخطوط المُراد نسخه، ثم تدفع السح جمعها للمراجعة والتدقيق⁽²²¹⁾ فإذا ما انتهى السّاح من عملهم تمر الكتب على قسم الرحرفة لتزيين صفحاتها وتحليتها بالذهب والفضة وبعض الرسومات الجميلة، ثم تمر بعد ذلك إلى قسم التجليد ليبطر بعضها بالديباج والحرير، ثم تُجلّد بالأدم الجيد المجلوب من مدينة مالقة بالأنا لى، والتي كانت من أكبر مراكز صناعة الجلود الفاخرة والتجليد الممتاز⁽²²²⁾.

د. قسم الفهرسة

يقوم هذا القسم بفهرسة الكتب التي في المخازن وتصنيفها وتنظيمها حتى يسهل تناولها واستعمالها، وقد كانت مكتبة الأمويين مرتبة حسب المواضيع، فقد كان لكل موضوع فهرسه الخاصة، وهو نظام قريب من الفهرسة الموضوعية السائدة الآن في بعض المكتبات، ويتميز هذا النوع من الفهرسة بالسهولة وسرعة حصر محتويات المكتبة، فهي مكتوبة في مجلدات تستعمل

كالكتب يمكن الرجوع إليها بسهولة، فلا غرو أن يرد في بعض الروايات العربية حصراً لأهميات الكتب في مكتبة الحكم، فبروي المقرئ نقلاً عن ابن حرم أن عدد المهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، وفي كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا أسماء الدواوين. وهذه المهارس هي على ما يبدو فهرس الدواوين الشعرية، فكيف يكون إذن سائر الموضوعات من فلسفة وعلوم دينية ونحوية وتاريخية وطبية وعلمية. الخ.

هـ. قسم التأليف

مهمة هذا القسم الإشراف على تأليف الكتب لحساب المكتبة الأموية، ويحصر عمله في اتجاهين. نلقي المؤلفات من خارج الأندلس، أو يوصى بالتأليف لأحد العلماء المبرزين في الأندلس، ومن أمثلة الاتجاه الأول رسالة أبي الفرج لأصفهاني صاحب كتاب الأغاني للحصول منه على أول نسخة من هذا الكتاب، كما وضحتنا سابقاً، بل كانوا في بعض الأحيان تتم مراسلة مع مؤلف نفسه وغرته بالهجرة أو الرحيل إلى الأندلس، كما حدث مع أبي علي القالي صاحب كتاب (الأمالي) الذي ترك العراق ورحل إلى الناصر الأموي واستقله استمبالاً طياً في قرطبة، وكان يتم الاتصال بين المؤلفين في المشرق الإسلامي عن طريق بعض الرُسل المعوثين على نفقة الخلافة الأموية، وكان أغلبهم ممن يسهن الوراقة ولهم دراية بصناعة الكتب، ويسثرون في البلدان لانتخاب غرائب التأليف والبحث عنها ومن جملة هؤلاء الرُسل مُحَمَّد بن طرخان في بغداد، وأبو إسحاق مُحَمَّد بن القاسم بن شعبان، وأبو عمر مُحَمَّد بن يوسف بن يعقوب الكندي في مصر، وهما من أكبر فقهاء

المالكية، وكان الحكم بدر عليهما أموالاً كثيرة لاقتناء الكتب النادرة التي تظهر لدى علماء مصر.

ومن أمثلة الانحياز الثاني، وهو تكليف بعض علماء الأندلس التأليف في تخصصات معينة، أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن يحيى الدي ألب للحكم كبا في الفقه ومحمد بن الحارث الخشني، الذي ألب مكتبة الأمرين مجموعة ضخمة من الكتب منها تاريخ قصة قرطبة وقد نقل عنه ابن الفريسي في كتابه (تاريخ علماء الأندلس) كثيراً في تراجم الرجال، ومن كتبه أيضاً مضائل الإمام مالك، ومقاب سحنون، وفقهاء المالكية، وتاريخ الأفريقيين، وكتاب الرواة عن مالك، وكتاب التعريف وكتاب الاقتباس، وكتاب المولد والوفاة، وكتاب السب، وأغلب هذه الكتب تعد من كتب الطبقات التي تفت عزارة علم الخشني وقوة إداركه بالأخبار وأسماء الرجال وأنسابهم. ومن مصنفات الخشني في الفقه. كتاب الاتفاق والاختلاف في مذهب مالك، وكتاب رأي مالك الذي خالجه فيه أصحابه وكتاب الفتيا، وكتاب المحاضر، وكتاب التحاصر والمقاتلة، وهذه المجموعة من كتب الفقه على ما يبدو كانت بتكليف من الناصر الأموي وانه الحكم؛ لتدعيم المذهب المالكي مذهب أهل السنة والجماعة في الأندلس، وذلك للوقوف أمام دعة المذهب الإسماعيلي الذي حاول الناطميون في اشمال الأفريقي سريره إلى الأندلس

أثر المكتبة الفكرية في شعوب غرب أوربا

قبل الحديث عن الأثر الحضاري الذي تركته مكتبة الأمرين في شعوب غرب أوربا، أود أن أثير نقطة هامة كان لها الفصل الأكبر في هذا التأثير الحضاري، وقد أشار إليها كثير من المؤرخين المصنفين من العرب، وهي سياسة

التسامح الحكيمه والخادفة التي سار عليها الأمويون في الأندلس مع رعاياهم من النصارى واليهود، حيث لم يستنوههم من تولي الوظائف العامة بما فيها العمل في قصر الخلافة ومكتبته الكبرى، فقد كانت تعيش طوائف مسيحية ويهودية كثيرة العدد في عاصمة الخلافة، تمارس طقوسها الدينية في حرية تامة، وينعمون بالأمن والرحاء في ظل حماية الدولة الإسلامية لهم، ويشاركون المسلمين في حياتهم العامة، فسرت إليهم لعادات الإسلامية، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية وآدابها، وكتبوا بها مؤلفاتهم العلمية، وشاركوا مشاركة فعالة في خدمة الكتب والحركة العلمية في الأندلس، فقد كان منهم مترجمون ونسّاخون ومجلّدون، واقتنى الكثيرون منهم مكتبات كبرى أغلب كتبها باللغة العربية، ولعلّ هذه النعمة التي نعم بها هؤلاء المسيحيون الأسبان في ظل الحضارة الإسلامية في الأندلس، والتي شهد بها المطران ألفيرو القرطبي **alvaro de cordoba** عندما أصبح مطران العاصمة، وكان متعصباً لبني جلدته حيث كتب يقول: من الذي يعكف اليوم بين أتباعنا من المؤمنين بديننا على دراسة الكتب المقدسة، أو يرجع إلى كتاب أي عالم من علمائها من كتب في اللغة اللاتينية؟ من منهم يدرس الإنجيل أو الأنبياء أو الرّسل؟ إننا لا نرى غير شبان مسيحيين هامو حياً باللغة العربية، يبحثون عن كتبها ويقتنونها، ويدرسونها في شغف، ويعلقون عليها، ويتحدثون بها في طلاقة، ويكتبون بها في جمال وبلاغة، ويمولون فيها الشعر في رقة وأناقة. يا لحرر! مسيحيون يجهلون كتابهم وقانونهم ولائيتهم، ويسون لغتهم نفسها، لأنّ الفصاحة العربية تسكرهم، ولا يكاد الواحد منهم يستطيع أن يكتب رسالة معقولة لأخيه مسلماً عليه، وتستطيع أن تجد جمعاً لا يحصى يظهر نفوقه وقدرته وتمكّنه من اللغة العربية.

ولعل في شهادته هذا النفس المتعصب ما يُقيم دليلاً قوياً شهد به أعداء الإسلام، على ما تتميز به الحضارة الإسلامية من طابع إنساني رفيع، فهي تكفل للإنسان إنسانيته مهما كان جنسه ودينه، ولا تسلبه حقوقه الإنسانية في طلب العلم والتعلم، وفي الوقت الذي فتح فيه الأمويون أبواب مكتباتهم وجامعاتهم العلمية أمام كل طالب علم، يستوي في ذلك المسلم وغير المسلم، نرى أبناء المسلمين اليوم يعانون كثيراً من الأزمات في طلب العلم وتحصيله، حيث تقوم بعض المؤسسات العلمية في الغرب بحس الكثير من نتائج العلمية ولا سيما في مجالات العلم والتكنولوجيا، وتأسى هؤلاء القوم أنهم تعلموا على أيدي علماء بررة، لا يكتمون علماً ولا يحسبون أسرارهم عن أحد، عملاً بقول بي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) "مَنْ سُبِّلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَجْمَهُ اللَّهُ بَلْعِجَمٍ مِنْ يَوْمٍ لَقِيْتَهُ، فَشَتَانُ إِذَنْ بَيْنَ حَضَارَتَيْنِ: حَضَارَةُ تَرَى الْعِلْمَ فَرَضَ كِفَايَةٍ إِنْ لَمْ يَوْجَدْ فِي الْأُمَّةِ مَنْ يَقُومُ بِهِ أَثْمَتِ الْأُمَّةَ جَمِيعُهَا فَلَا تَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ طُلَابِهِ مِنْ أَجْلِ إِسْعَادِ الْبَشَرِيَّةِ، وَحَضَارَةُ تُضِنُّ بِهِ وَتَقْصُرُهُ عَلَى أَبَائِهَا مِنْ أَجْلِ لِسَبْطَةِ وَالْإِسْتِعْلَاءِ

ولم يقتصر التأثير الفكري على نصارى أهل الأندلس، بل امتد ليعم أثره شعوب غرب أوروبا قاطبة، وهذه حقيقة لا مرء فيها، فتشير الروايات إلى تأثير الإيطاليين والألمان والفرنسيين بمؤثرات الفكر الإسلامي عن طريق صقلية والأندلس. إن القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي. فقد نقل شاطئ بر إبراهيم، وكان يهودياً، علوم الطب من (بالرمو) عاصمة صقلية إلى شبه الجزيرة الإيطالية، وفي سنة 953م بعث الإمبراطور أونو الكبير جان غورتر في بعثة سياسية إلى الخليفة عبد الرحمن الناصر في الأندلس، وقد مكث فيها ثلاث سنوات تعلم أثناءها اللغة العربية، وعندما رجع إلى ألمانيا حمل معه مجموعة

كثيره من الكتب العربية، ويُرجّح الدكتور محمد ماهر حماده أن بعضها كان كتباً علمية، مستنداً على ذلك بالاردهار الملحوظ في دراسة العلوم خلال القرن الحادي عشر⁽²²³⁾.

كما كانت كثير من المدن الأندلسية مراكز علمية كبرى ساهمت في نقل الفكر الإسلامي إلى أوروبا، مثل قرطبة، أشبيلية، بطليوس، بلية، مرقطة، طليطلة، وقد شهدت الأخيرة أكبر حركة لنشر الأوربيين بالفكر الإسلامي، فقد غصت مكتباتها وحوامعها بالكتب العربية في شتى العلوم المختلفة، ولا سيما العلمية، وأنشئت فيها مدرسة للترجمة من العربية إلى اللاتينية أغلبها من اليهود والنصارى الذين يُجيدون اللغتين، وقاموا بنقل العديد من المؤلفات العربة ولا سيما معد مقوط هذه المدينة في أبدي ألفونسو السادس الذي شجع حركة الترجمة هذه، ولم يأت القرن الثالث عشر إلا وكانت معظم المؤلفات العربية تدرس في أوروبا⁽²²⁴⁾.

ويكفي في هذا المقام شهادة أمجل جثالث بالسيا **pal enci a** مؤلف تاريخ الفكر الأندلسي والذي نقله عن الأسبانية الدكتور حسين مؤنس يقول إنَّ الفضل في قيام الدراسات الطبية في أوروبا يرجع إلى ما كتبه العرب العرب الذين كانوا يعيشون بأسفراء لاستجلاب الكتب القيّمة ما بين إغريقية ولاتينية، ويُقيمون المراصد لدراسة الفلك، ويقومون بالرحلات ليستزيدوا من العلم بالتاريخ الطبيعي، ويُستثنون المدارس لتدرس فيها العلوم بشتى صنوفها⁽²²⁵⁾.

وبعد، فهذه مكتبة الأمرين في قرطبة، وقد نُظمت تنظيمًا علميًا على نحو ما رأينا، فكانت لؤلؤة زمانها، وسراج العلم في عصرها، ولا غرو في ذلك، فإنَّ

دورها في بوطيد الصلات العلمية بين المشرق الإسلامي ومغربه لا يكر،
وتأثيرها الفكري في شعوب أوروبا لا يُجحد.



كانت، مدينة بالرمو عاصمة صقلية وقاعدة ملوكها أيام حكام المسلمين والنورمان والحرمان وتقع على ساحل الجزيرة لشمالى. ويُقهر من كلام الإدريسي أنه كان يوجد بوسط بالرمو مدينة إسلامية قديمة تُعرف بـ(الحالصة)، كانت مقر السلطان وجنوده أبان الحكم الإسلامى، وكان المسلمون يعرفونها بأسم المدينة، والنصارى يعرفونها باسم بالرمو، ثم غلب الاسم القديم بالرمو على المدينة كلها بعد ذلك ولقد زارها ووصفها الرحالة والجغرافيون المسلمون أمثال ابن حوقل البغدادي (ت 380هـ)، و الشرف الإدريسي السبي (ت حوالي 548هـ)، ولايس جدير البندسي الأندلسي (ت 614هـ). وهكذا كانت بالرمو حاضرة صقلية في العصر الرسيط، وقد قامت فيها في القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ) مدرسة للترجمة عن العربية على غرار مدرسة طليطلة في شمال أسبانيا وتوطدت بين المدرستين علاقات ثقافية تبودل فيها الكتب والرجحات فضلاً عن العلماء.

هذا، ومن المعروف أن معاني القرآن الكريم تُرجمت إلى للآينية في النصف الأول من القرن الثاني عشر ميلادي أو السادس الهجري. كذلك، تُرجمت قصة الإسراء والمعراج، بأمر من الملك الإسباني ألفونسو العالم، إلى اللغات القشتالية والفرنسية والآينية، وانتشرت في أسبانيا وإيطاليا منذ القرن الثالث عشر الميلادي (7هـ)، ولم تلت هذه الترجمات أن انتقلت إلى جامعات باريس ونابولي وبرلونيا على أنه يلاحظ أن حركة الترجمة في مدرسة بالرمو، اتجهت في معظمها على غرار مدرسة طليطلة إلى العلوم الرياضية والفلسفية والطبيعية. وكان من أهم ما تُرجم فيها على سبيل المثال كتب ابن

مسياء **Avi cenne** (ت 1037م) (مثل كتاب القانون في الطب، وكتاب الشفاء في الفلسفة وكتب أبي بكر محمد الرازي **Razes** (ت 932م) مثل كتاب الحاوي في الطب. الخ وكان من أعلام المترجمين فيها أوجين اللرمي **Eugeni us** وليونردو اليزاني **Leonardo pi sano** ولعل من مظاهر هذه النهضة العلمية، آلاف المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة الفاتيكان بروما إلى الآن. ومن تردد على مدرسة بالرمو العالم الاسكتلندي مايكل سكوت **M Scot t** أحد تلاميذ مدرسة طليطلة الذي ترجم أعمال أرسطو وشروح ابن رشد عليها ومن المحمل أنه تعرّف على الإمبراطور فردريك الثاني الذي ازدهرت مدرسة بالرمو في عهده

وهكذا كانت جربة صقلية في العصر الوسط، هي المعبر الثاني الذي عن طريقه انتقلت الحصاره الإسلامية إلى الفكر الأوربي ويسعي أن نكرر ما قلناه دائماً من أن الباحثين ورجال العلم المسلمين لم يكونوا مجرد نقل أو مترجمين، ولكنهم عدلوا التراث الكلاسيكي، وأعادوا خلقه وأخرجوا منه ثقافة جديدة عليها سابع الإسلام وعلى هذه الصورة نقلوها إلى عتزل أوربا لي جاءت نطلب العلم في أسبانيا وصقلية.

مدرسة طليطلة للترجمة

طليطلة ومكانتها العلمية

أنجبت طليطلة العديد من رجال العلم والأدب والدين، منهم أبو الوليد بن الرقشي. وقد لقيه صاعد بتلك المدينة عام 438 هـ. وكان يجمع إلى علوم اللغة والفقه معرفة بصناعة الهندسة والمطق، وأبو جعفر بن مسيح أحد المعنيين بعلم الهندسة والمطق والتجوم والطب، والقويدس الذي نادى في طليطلة وشرع في علوم العدد والهندسة والفرائض، ودرس في تلك المدينة زمناً طويلاً، وأبو إسحاق إبراهيم بن يحيى التجيبي النقاش المعروف بولد الزرقال، وكان بصيراً بعلم الفلك. قال فيه ابن الأبار: ولم تأت الأندلس بمثل، آخر أرساده بقرطبة، وكان أكبر رصده قبل ذلك بطليطلة في أيام المأمون⁽²²⁶⁾.

ومن المشغلين بالعلم أيضاً في طليطلة، أبو عامر بن الأمير، المقتدر بن هود. وكان يُضيف إلى معرفته بالعلم الرياضي اهتماماً بالمنطق والعلم الطبيعي والإلهي. ومن المهتمين بالطب ابن المغونش. وقد درس على علماء قرطبة فأخذ علم العدد والهندسة عن مسلمة المخرطي، وعلم الطب عن ابن جلدجل وابن عبدون الحبلي وغيرهما، ثم خدم الظاهر بن ذي النون والمأمون... ومن مشاهير الأطباء الذين استوطنوا طليطلة، ابن واقد اللخمي. وقد ألّف كتاباً في الأدوية المفردة جمع فيها بين كتابي ديوسقوريدس وجالينوس. وكان يرى أن التدوي بالعداء مقدّم على التدوي بالدواء. أمّا صاعد بن أحمد الطليطلي الذي وُي قصء طليطلة يحيى بن دي النون، وهو مشهور بمؤلفه التاريخي طبقات الأمم، فقد كان من الحكماء والفقهاء الذين جمعوا بين الفقه والحكمة تتلمذ على ابن حزم في قرطبة⁽²²⁷⁾.

سقوط طليطلة وأهميتها للأسبان

لقد كان استيلاء ملك ليون وقشتالة على مدينة طليطلة سنة 1085 م من أهم أحداث التاريخ الإسباني في العصور الوسطى: (يقد كان له نفس الصدى الذي حدث عن سقوط هذه المدينة، يوم كانت عاصمة القوط الغربيين القديمة في أبدي المسلمين)⁽²²⁸⁾. ونظراً للمكانة العظيمة التي أصبحت تحتلها هذه المدينة عند الأسبان بعد اسرجاعها، فقد أمتد أسمها إلى مناطق كثيرة في أمريكا الجنوبية والشمالية والفلبين ولبرتغال إلى أن وصل إلى ستة وثلاثين من الأماكن والمدن التي تحمل الاسم نفسه (طليطلة Toledo).

يرى بعض الباحثين العرب أنه لحسن حظ العرب والثقافة والحضارة العربيتين، استولى الصاري على مدينة طليطلة فكما كان من الضروري على العرب فتح الأندلس ومذ جسر بينهم وبين الغرب، كان من الضروري أيضاً أن تسقط مدينة طليطلة في يد الفرنسي السادس (لأدقوش)، وفي التاريخ الذي سقطت فيه أي عام 1085م. ولو تأخرت خمسين سنة عن السقوط، لما أتيح للعرب أن يؤدوا دورهم الثقافي والحضاري في العام الغربي. ولو تأخر استرداد مدينة طليطلة خمسين سنة، لما استفاد العرب شيئاً من الثقافة العربية واليونانية، بل كان الغربيون لجأوا إلى ترجمة الثقافة اليونانية من مصدرها اليوناني. ، لأنه من المعروف أن الثقافة اليونانية وصلت إلى العرب عن طريق العرب، أي أن العرب كانوا قد نقلوا الحضارة اليونانية إلى العربية، ثم جاء الغربيون، ونقلوا هذه الحضارة من العربية إلى اللاتينية في مدينة طليطلة⁽²²⁹⁾ ومن الحقائق التاريخية الثابتة أن إسبانيا كانت المعبر الأكثر أهمية الذي تسربت منه لثقافة والحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

ظلت طليطلة حتى بعد زوال الحكم الإسلامي محتفظةً بالحصارة العربية الإسلامية وقد غلبت العروبة على نصارى طليطلة، ولشوا نصارى؛ ولكن اتخدوا اللغة العربية واثقافة العربية لأنفسهم، وكانوا يُقيمون صلواتهم وطقوسهم الكنسية باللغتين العرمة واللاتنة، وأطلق على هذا الطقس الكيسي اسم (الطقس المستعرب) .. وطل مكانها متمسكين بعروبيتهم، ولست أحدهم وعطاؤهم ويبيعهم وشراؤهم وجميع صكوك معاملاتهم باللغة العربية حتى أواخر القرن السادس عشر، ورغم أنهم طوال وجودهم تحت الحكم العربي، كانوا كثيرون العصيان وانتعروا والثورات على حكام قرطبة⁽²³⁰⁾

ويؤكد المؤرخ الإسباني خواكين باليه، أستاذ اللغة العربية في جامعة مدريد المركزية أنه بعد سقوط طليطلة، ظلت اللغة العربية لغة رسمية لأكثر من ثلاثمائة وخمسين سنة وهناك أكثر من ألف وثيقة تمت كتابتها في تلك المدينة بعد سقوطها، ويُشير إلى أن أكثرها متعلق بالمعاملات الخاصة بالمورسكيين الذين ظلوا في المدينة ولم يغادروها⁽²³¹⁾

والرغم من كل ما اتخذته السلطات المسيحية احكاماً فيما بعد من تعنت وقهر وتعذيب لإرغام المسلمين الذين فضلوا البقاء في طليطلة على التنصير، فقد بقوا مسلمين في سرائرهم محافظين على شعائرتهم الدينية، وأصبح المسلمون شبيهين بجمعية سرية نكتم أمرها أشد الكتمان، وكانوا يجتمعون سرّاً ويتناقشون في أمور دينهم خفية حتى لا يُعرف أمرهم واستمروا على هذه الحالة إلى أن أصدر الملك فيليبي الثاني يوم 7 نوفمبر سنة 1566م قانوناً يوجب منع التكلم باللغة العربية ويقضي على التقاليد العربية وحطم

الحمامات، كما ألزم المسلمين المتصررين بمقتضاه بترك أبواب منازلهم مفتوحة بصفة دائمة لكي يقع تفتيشها في كل وقت وحين لكي يتحقق المسيحيون من عدم أداء المسلمين لشريعتهم الإسلامية خفية إذا خلوا إلى أنفسهم⁽²³²⁾.

أما دورها الثقافي، فقد استمر في العطاء، فأصبحت وسيطاً من أهم وسائط الثقافة العربية الإسلامية إلى جميع أرجاء القارة الأوروبية، حيث أدرك ألفونسو السادس أهميتها وفاعليتها في هذا الميدان، لأنها سرعان ما تحولت إلى دار ترجمة كبيرة للثقافة العربية الإسلامية إلى اللاتينية، حيث توافد عليها الباحثون ولتعطشون للمعرفة من مختلف أنحاء أوروبا. فقد كان من أهم أعمال ألفونسو السادس تأسيسه لمدرسة المترجمين التي عهد إليها بنقل أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية وبالسهر على إشاعتها. وقد استعان على نقل الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية بكنار المتخصصين من المسلمين واليهود والنصارى، لأن اللاتينية كانت لغة الدين والدولة والعلم في الممالك النصرانية كافة.. وقد كان لهذه المدرسة دور هام في إيقاظ أوروبا من سباتها العميق وإخراجها من ظلمات الجهل والتعمير إلى نور العلم والمعرفة، بما تناقله العلماء بشئ الأقطار من نتائج الحصار العربية وما اقتسوه عنها من وسائل البحث وطرائق الاكتشاف، وبفصل ما استخرجوه من الكتب. ويقول رواء التاريخ الإسباني خلال هذه القرون السبعة الأخيرة إن أولئك العلماء من مسلمين ويهود قد نهضوا بالمهمة المستندة إليهم على أحسن وجه بما أنجزوا من عمل النقل وتعليم الترجمة والإشراف عليها فكان فضلهم على النهضة الإسبانية عظيماً⁽²³³⁾.

وكان من أهم رجائه في هذه الفترة الراهب رايونيدو (Raymond) (1126 - 1157م)، الذي أدرك أنه لا مقر من معرفة كنه العلوم الإسلامية التي لا تعرف المسيحية منها آنذاك إلا القشور، ووضع خطة لترجمة أمهات الكتب العربية ترجمة علمية عن طريق النخبة من المستعربين الواعدين على إسبانيا والمستغربين بها من اليهود والمسلمين والدارسين لشئى العلوم الإسلامية وعلى رأسها الفلسفة، وبلغت الكتب التي ترجمها ما يزيد على خمسة ومئتين كتاباً وموسوعة وكان فعله هذا حدثاً حاسماً كان له أبعد الأثر في مصير أوروبا، كما يقول إرنست رينان: فقد تولّى الأسقف رايونيدو رعاية جماعة من المترجمين والكتاب، تعرف في تاريخ الأدب بمدرسة المترجمين الطليطلين (Toledanos Colegio de Traductores)، وحفز أفرادها على المهمة في نقل المؤلفات العربية فتمت في هذه المدرسة ترجمة عيونها في الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة، ومنها أوردجانون أرسطو وشروح المسلمين عليه أو مختصراتهم له، وهي شروح ومختصرات جلييلة وضعها فلاسفة مسلمون من أمثال الكندي والعارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد⁽²³⁴⁾

ومن بين أشهر الواعدين إليها جيراردو دي الكرموني (Gerardo de Cremona) الذي وفد إليها من إيطاليا، حيث أمضى حوالي ثلاث وأربعين سنة من حياته في الترجمة والتأليف، ووصل ما نقله من العربية إلى اللاتينية سبعة وثمانين كتاباً في الفلسفة والمنطق والطب والفلك وغيرها من العلوم.

الفونسو العاشر ومدرسة المترجمين

ظلت طليطلة مركزاً للثقافة الإسلامية في إسبانيا النصرانية في عهد الملك ألفونسو العاشر الملقب بالعالم والحكيم (E. Sabio)، الذي اعتلى العرش سنة 1245م وتوفي سنة 1284م. وكان معلماً محباً للثقافة ومجالسة المهتمين بها مارس سياسة انفتاح على الأدب والفكر الشرقيين ورعى مخلصته العرب سياسياً، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة العربية في عهده ذروته فكان علمي التفكير، ونظرتة إلى الثقافة نظرة إنسانية شاملة، وهو يفصل في أعماق الحقيقة بين قومته الإسبانية، وبين قيمة الحضارة العربية العظيمة، التي حاول أن يحافظ على معطياتها، ورغم ما بدأت تتميز به تلك الجهود في الممالك الأخرى من حقد على العرب.. وظلت إسبانيا في عهده مستعربة إلى حد بعيد وتعاون هو شخصياً مع العلماء المسلمين، واستفاد من تركة العرب الثقافية. استفاد من علومهم وآدابهم. ومثل خلفاء العرب أحاط نفسه بالأدباء والعلماء⁽²³⁵⁾

وبهذا يكون ألفونسو العاشر قد اقتفى أثر العرب في إقبالهم على نقل راث الفرس والإغريق إلى اللغة العربية أيام خلافة المأمون العباسي الذي اعتنى بالترجمة والتأليف انطلاقاً من بيت الحكمة الذي أنشأه والده هارون الرشيد ببغداد، حيث جمع فيه المؤلفات العربية والمخطوطات للترجمة، وشكل مجموعة من المترجمين لنقل العلوم من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية وأسند هذا الملك العالم مهمة ترجمة الكتب العربية القيمة بالأندلس إلى اللغة الإسبانية الناشئة آنذاك إلى أساندة المدرسة الطليطلية المشهورة وطلابها، وكان من بينهم نفر من النصراني والمسلمين واليهود المتحقيقين بشئ العلوم حوله وقد أشرف بنفسه على توجيه أعمال الترجمة

والتحرير أو التلخيص التي كان مساعده يقومون بها، وأنشأ في مرسية معهداً للدراسات بمعاونة القرطبي الفيلسوف المسلم، وم يوفق هذا المعهد المرسى كثيراً، فنقله إلى أشبيلية وأنشأ فيها مدرسة عامة للآينية والعربية، وجعل فيها أساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم⁽²³⁶⁾

وفد تُرجمت في عهد العديد من المؤلفات إلى اللغة الإسبانية كان أهمها كتاب الإغريل و كتاب كلبلة ودمنة وكتاب التلمود وقسم من مؤلفات ابن رشد وأمر الملك ألفونسو كذلك بترجمة كتب في ألعاب شرقية ككتاب الشطرنج 'Juego de Ajedrez' (نشره آرنالد تشايجر في ريورخ عام 1941م) واستخدم الموسيقى الأندلسية في وضع أناشده الذائعة الصيت (Las Cantigas)⁽²³⁷⁾.

وكان لهذه الترجمات التأثير الحاسم على الثقافة الأوربية. فهذا ريشان يقول عن توما الأكويي إنه كفيلسوف مدين تقريباً بكل شيء لابن رشد، ويقول عن معلم توما الأكويي ألبيرتوس الكبير: إنه مدين بكل شيء لابن سينا، علماً بأن المترجمين باستثناء اثنين منهم هما غند سلبو ويوحنا الإسباني كلهم أجانب نقلوا ما ترجموه إلى بلدتهم، وتأثر علماء العصر بهذه الترجمات، بحيث أن الذين تبعوا في القرون الوسطى كان تسوغهم بتأثير الثقافة العربية: البرنوس ماعوس، توما الأكويي، يوحنا الصليبي، دانتي، روجير بيكون وغيرهم كلهم تأثروا بالثقافة العربية⁽²³⁸⁾

أما في ميدان التأليف، فقد كان جهده عظيماً بحيث جمع في طليطلة نقرأ من أهل العلم ليصنفوا له كتب علم الفلك. وقد تمكن هؤلاء العلماء من النهوض والصدوم بالدراسات الملكية بفصل مشاهداتهم وموهم وما قاموا به من أعمال علمية أخرى. وكان الملك كثيراً ما يشرف بنفسه على الأعمال التي كانت تجري في

مدرسته الطليطية، وكان يأمر ترجمة ما يرى نقله من الكتب العربية خاصة ويقوم بترتيبها بنفسه وخاصة ما يقول منها بنظريات جديدة تعدل مذهب بطليموس في العلك والجغرافية. وأمر كذلك بصنع آلات وأجهزة لم تكن معروفة إلى ذلك الحين. وكان يراجع ما ينجز من الترجمات ويصلح من أسلوبها، ويتجلى ذلك بوضوح من مقدمة ما يُعرف بـ (الأوامر الخاصة) يكتب النجوم الأربعة فقد جاء فيها هذا هو كتاب هيئات النجوم الثابتة الكائنة في السما الشافية، مما أمر ترجمته من الكلدانية والعربية إلى الإسبانية الملك دون ألفونسو.. بعد أن رتبها الملك المذكور وأمر بتصنيفها ثم استبعد منها الآراء التي وجد أنه قد تقدم بها العهد أو تكررت في الكتاب، والعمارات التي لم يكن أسلوبها قشائلاً قوماً ووضع محلها عبارات أخرى بقي بالمراد. أمّا كتب عم الملك هذه، فتألف من: (الكتب الأربعة في نجوم الملك الثامن) (الكتب الألفنسية في أجهزة علم الفلك وأدواته وكتبه) (كتاب الزيج الألفونسي)

إن الكثير من الكتب التي استعملت في هذه التأليف كانت نقولاً عن الررفالي ومجلة الجريطي وعسي بن خلف فلكي الأمر بن ذي الود صاحب طليطلة وغيرهم كثير كما شطت في عهده وتحت إشرافه كتابة التاريخ على الطريقة الحولية اقتداءً بالطريقة الإسلامية في تدوين التاريخ، فدوت عدة حوليات من أشهرها الحولية التاريخية الكبرى لإسبانيا التي كتبت باللغة القشتالية، وعتمد واضعوها على مصادر تاريخية عربية ككتاب أليان الواصح في الملح القادح للمؤرخ البلسي ابن علقمة المتوفى سنة 1115م وهذا الكتاب مفقود، ولكن نقل عنه عدد من المؤرخين اللاحقين أمثال ابن عذاري المراكشي وابن الأبار وابن الخطيب وكتاب في أخبار الخلفاء لابن الكردوس، الذي عاش في أواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر

الميلادي). وقد قام نرحمته أحيراً صديقنا المستعرب فليبي مايو سالكاو رئيس
شعبة الدراسات الإسلامية بجامعة سالامنكا الإسبانية والمقارنة ندل بما لا يدع
مجالاً للشك على أن هذه الموسوعة الإسبانية التي ألغت في القرن الثالث عشر
الميلادي (السابع الهجري) قد نقلت أخباراً وروايات كثيرة عن هذين الكتاين
- كتاب ابن علقمة، وكتاب ابن الكردبوس - وبصفة خاصة الأخبار المتصلة
بمستقوط بلنسية في يد الفارس الإسباني المغامر السيد القميطور E
Canpeador، أي المارز في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري)،
وهي معلومات جديدة لم ترد في المصادر الأخرى⁽²³⁹⁾.

وقد دوت مغامرات السيد القميطور في ملحمة إسبانية ألغت في القرن
الثاني عشر الميلادي، وتعتبر من شوامخ الأدب الإسباني في فجر حاته وهي
أول ملحمة إسبانية كتبت باللغة القشتالية والواصح من أسمها وألفاظها
وأحداثها أنها كتبت على غط السير العربية فهي تصور السيد (E Q d)
وقد خرج من قرية فيمار (Vi var) لبسي له مجداً وشهرة، فاتصل بالملك
المستعين بن هود ملك سرقطة، ودخل في خدمته، وحارب أعداء ومرار
يتشبه بقيادة العرب المشهورين، وتروقه أخبار المهلب بن أبي صفرة. كما كان
يزجر الطير ويتفائل به وينشأ على عادة العرب، وكان جنوده ينادونه على
عاده الملوك بعاره Moci d، وهي ترجمة لكلمة (يا سيدي) من هنا لصق به
اسم السيد (E Q d)، مع أن أسمه الأصلي رودريغو ديات Rodrigo
(D az) ومع موت المستعين، انقلب هذا الفارس المغامر على المسلمين،
وامتولى على مدينة بلنسية التي استردها الرابطون بعد وفاته سنة 1099م
والمحمة كنها شاعر مستعرب من مدينة سالم (Medina del) في شمال
إسبانيا. وأحداثها التاريخية صحيحة إلى حد كبير، لأنها دوت بعد فترة قصيرة

من وقوعها. ولهذا نعتبر مصدراً تاريخياً هاماً لتلك الفترة المتعلقة بعصر الطوائف والمرابطين⁽²⁴⁰⁾.

لقد كان فصل ألفونسو العاشر على الثقافة والفكر الإسمائيين عظيماً، لم يصاحبه فيه ملك آخر من بعده، علماً بأن الثقافة الإسمائية خاصة والأوربية عامة مدينة لهذا الملك ومدرسته الطليطلية، في حين كان غيره من الملوك في شبه الجزيرة الأيبيرية يطعمون النيران بأحسن ما أنتجته العبقريّة العربية في قرونها الزاهرة. ومن الغريب في أمره، أنه بينما عرشه يهتز تحت قدميه، يجد مكاناً بين أنقاض هذا العرض لتدعيم الجهاز العلمي، يسرق الوقت من حيث لا يرجد ونت سواء في السلم أو في الحرب، في السجاح أو في الفشل لمر إنتاجه الفكري إنه دائب على إعادة النظر في الكتاب الذي سلمه إياه أبو العيش: الأحجار⁽²⁴¹⁾.

مكانة الفكر والعلم في الحضارة العربية

وتأثيراتها في النهضة العربية

إنّ الكتابة عن مديات تأثير الحضارة لعربية في أوروبا، إن كان على مدى العصر اللاتيني الوسط، أو مدى عصر النهضة الأوربية، أو العصر الحديث، موضوع شائك في التفاصيل، معقد في الجوانب، واسع في الاتجاهات التي يجب أن يُبحث حتى تصل إلى ما لا يُحصى من الإسهامات والإنجازات والأعمال في مطاوي كتب عربية ولاتينية وعبرية وفشالية وقطالونية ولغات أوروبا الحديثة برمتها، منها المخطوط، ومنها المنشور، ومنها المفقود، ومنها الصحيح ومنها المنحول

ومعنى هذا، أنّ دراستنا هنا لا تقصد منها أن تتناول هذه المسائل كلها على هذا النحو، فلقد نُشرت العشرات من الأبحاث خلال القرن الماضي وحده تتناول انتقال العلم العربي إلى أوروبا، فضلاً عن العديد من الكتب المهمة التي درّست على نحو دقيق تأثيرات العرب في أوروبا الوسيطة والنهضة، وكلها تنصب في مجرى واحد، وهو أنّ العرب أدوا أدواراً كبيرة ومدهشة في انتقال المعرفة إلى أوروبا، بمجاء الثقافي والأدبي والفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي لتجربتي⁽²⁴²⁾، وعلى نحو أخص بمجاء الفلسفي العام⁽²⁴³⁾.

ومهما بلغ عدد الذين مالوا إلى تقليل أهمية الدور العربي في الوعي الأوربي الوسيط وتخفيف عوامل البقعة في النهضة الأوربية، فهؤلاء بلا شك صدروا عن (الاستعلاء الاستشراقي) الذي بُني على أساس الاستعمار

الكلاسيكي الذي قصد إلى الخط من قيم الشعوب والأمم المستعمرة وحضاراتها⁽²⁴⁴⁾ وليس أدل على ذلك ما لاحظناه من أقوال مؤرخي حركة الاستعمار، والمبشرين، والدين جالو في الأرض العربية والإسلامية في المشرق يقصدون استكمال الصور التي لم يستطيعوا التعرف عليها أثناء الحروب بين الفرنجة والمسلمين في الحملات الصليبية الثمانية المشهورة⁽²⁴⁵⁾.

تعد الحضارة العربية الإسلامية بما تضمنت من منجزات فكرية ومعرفية عية ومعقدة ومتنوعة عموماً وفي منظومة الفكر الفلسفي (التصوف وعلم الكلام والفلسفة) خصوصاً، عاملاً فعالاً في حيوية التفعيل الحضاري للغرب اللاتيني في العصر الوسيط وبهضته الفكرية الفلسفية، بعدما انتقلت المؤلفات العربية في عصر الترجمة الغربي إلى اللاتينية في مراكز النهضة الثقافية ولفكرية للحضارة العربية الإسلامية في العرب (صقلية وأسبانيا) إذ شطت حركة الترجمة في صقلية للمؤلفات العربية من العربية إلى اللاتينية في القرن الحادي عشر الميلادي، ونشطت حركة الترجمة في أسبانيا (لأندلس) للمؤلفات العربية من العربية إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي⁽²⁴⁶⁾ وازدهرت حركة الترجمة للمؤلفات العربية أيضاً وبشكل متبادل أو مزدوج بعد نشوء الجامعات في الغرب اللاتيني، بقيام مترجمي الجامعات أو أساندة الجامعات بالترجمات على وفق مبدأ اختيار المؤلفات العربية المترجمة لتتنغم وتتسق مع منحى هذا المترجم أو تخصص ذاك الأستاذ الجامعي، فنمت ترجمة المؤلفات الفلسفية لفلاسفة الإسلام ومؤلفات متصوفته ومتكلمييه ويتداخل إطلاق مصطلح العصر الوسيط على الحضارة العربية وتفعيل النهضة الغربية اللاتينية لتداخل الامتداد الرمزي للعقل المكري للعرب مع التفعيل المكري للغرب يتحدد الامتداد الرمزي لمصطلح العصر الوسيط في بواكير القرن الرابع لميلادي حتى

القرن الخامس عشر الميلادي (300 - 1500م). فيمتد العمل الفكري للعرب على وفق منظومة الفكر الفلسفي في البواكير منذ القرن الأول الهجري (= القرن السابع لميلادي) وحتى الأول في القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي)، ويمتد التفعيل الفكري للغرب اللاتيني في مقارباته المعرفية مع الطروحات الفلسفية للحضارة العربية منذ القرن الحادي عشر الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي⁽²⁴⁷⁾. ومن ثم فإن قراءة مقاربات النهضة الغربية في العصر الوسيط للمنظومة الفكرية - المعرفية للتفلسف ترتب على وفق طروحات فعل الفيلسوف ومظومته في الفكر العربي في الإسلام باعتماد السق الزمني المعرفي لمضمّنات المنظومة الفلسفية في الإسلام على وجه التحديد، وعلى ما توثق المصادر والدراسات، وبالاطلاق من المنهج المعارف بوصفه منهجاً بحثياً مهماً، ترتكز إليه الدراسات والبحوث المعاصرة في دوائر الفكر الإنساني وحوار الحضارات لاستقراء مديات الاتساق والتناغم لتفعيل الآخر مع فعل (الأننا) على وفق فرضية المقاربات الفكرية للخصوصيات والعموميات لمنظومة الفكر الفلسفي في الإسلام والمسيحية في العصر الوسيط المحدد الزمني للقراءة⁽²⁴⁸⁾.

دور العرب في انتقال علوم الطب إلى أوروبا

إن الحضارة الإسلامية العربية لم تترك ميداناً من ميادين المعرفة الإنسانية لم تسهم فيه بنصيب كبير سواء بالدراسات النظرية أم العلمية ولا يمكن تتبع تاريخ أوروبا في العصور الوسطى أو جذور النهضة الحضارية التي أدت إلى نقل العالم الأوروبي الغربي في العصور الوسطى عصور الجهل وانحطام وحكم

الكنيسة والشعر وذو السحر إلى عصور التقدم والازدهار دون النظر إلى أثر الإسلام السياسي والحضاري في ذلك التقدم وتلك النهضة

لقد ارتكز الغرب عندما أفاق من غفوته على كل ما قدمته الحضارة العربية الإسلامية في مختلف العلوم ومن يسها على وجه الخصوص الطب، فقد تُرجمت المؤلفات العربية العلمية إلى اللغة اللاتينية التي كانت في العصور الوسطى لغة العلم ولغة الكنيسة أيضاً.

لقد كانت الثقافة اليونانية محصورة في بعض لأفراد وكانت على وشك النسيان والانقراض عندما نقلها العرب أمّا انتقالها مرة ثانية إلى الغرب فكان بطريقة ميسرة لأن الثقافة العربية كانت في أوج تقدمها عندما نقلها الأوربيون.

هذا وتعد الأندلس وصقلية والمغرب ومصر والشام وحروب الصليبية من أهم مصادر انتقال الثقافة العربية الإسلامية إلى أوربا وبالأخص الأندلس وصقلية لأنها كانت مراكز الاحتكاك المباشر مع أوربا إذ أمدتنا الجامعات الأوربية التي أنشأت على مقربة في حوب أوربا وهي (سارنو) و (مونثييه) وكانت تعتمد على المراكز العلمية العربية ومن أشهرها طليطلة وأشبيلية وقرطبة.

وقد حاول بعض المستشرقين التجسّي على الحضارة الإسلامية العربية بالإدعاء بأن دور العرب كان نقل الطب اليوناني إلى الغرب، إلا أن الحقائق التاريخية تثبت خطأ هذا القول لأن العرب لم يطلعوا على لطب اليوناني - أطلعوا على تراث اليهود والمصريين والفرس والبيزنطيين - وترجموا كل الكتب في كل العلوم وكانوا مبدعين ودارسين، وقاموا بتطوير تلك العلوم وأصلحوا كثير من أخطاء المؤلفين اليونانيين وغيرهم وقاموا بإثبات خطوات كبيرة في

بجال الإرتقاء وتطوير علوم الطب والجراحة، كما أنجزوا ابتكارات عربية م
يسبقهم إليها أحد من قبل، فعلا سبيل المثال (كتاب شرح تشريح القانون)
لاسن النفيس - وجد في مكتبة فرايبورغ - أحدث انقلاباً جذرياً في علم
التشريح بوصفه لأول مرة الدورة الدموية الصغرى رسالة للرازي تنضج
عنوان (مقالة في العلة التي من أجلها يعرف الركاب لأبي ريد البلخي في فصل
الربيع عند شمة الورود) والتي وصف فيها الرشح والحساسية لأول مرة في
التاريخ

العمليات الجراحية التي أجراها الجراحون العرب أمثال أبي القاسم
الهرراوي الذي أصبح كتابه: (التعريف لمن عجز عن التأليف) دليل الجراحين
في أوروبا في عصر النهضة، إذ انتدع عدد كبيراً من التداخلات الجراحية لأول
مره، كما اشتهر ابن القف في الجراحة وألف كتاباً يعد من أهم المصادر في
الجراحة (العمدة في صناعة الجراحة).

اكتشاف الأسفنج الموم، وهو عبارة عن قطعة أسفنج تُغمر في مواد
عظريه ومنومته وتحمط وتبلل قبل استعمالها كمحذر وتوضع قبل إجراء
العملية فوق العم والأنف، وكانت هذه الطريقة فناً عربياً حالصاً لم يعرفه أحد
من قبلهم.

إن هذا فقط قليل من كثير جداً من الأدلة التي تدحض نظرية النقل فقط،
فلم يكن العرب ناقلين لتراث غيرهم بل كانوا دارسين وناقدين وأضافوا عليه
ابتكاراتهم الجديدة في كل ميادين الطب، كما قاموا بتصحيح الأخطاء التي
وجدوها في تراث الآخرين⁽²⁴⁹⁾. فهذه بعض مآثر الحضارة الإسلامية على
الغرب والحضارة لغربية في العصور الوسطى، تبين مدى ما أفادته أوروبا خلال

رحلة التواصل الحضاري من التراث الهائل كمأ وبوعاً وفي شتى فروع المعرفة والعلوم. ولو تتبعنا مآثر العرب على أوروبا في الميادين كافة، فهناك العمارة والفنون التشكيلية والتطبيقية، وهناك الموسيقى والغناء وهناك فنّ التدوين التاريخي، وآداب الحياة والسلوك، ولعنويات، وغيرها كل هذا برز فيه العرب وتفوقوا فيه باعتراف كثير من المؤرخين أمثال (جورج سارتون) و (ول ديورانت) وغيرهم.

إسهامات المستشرقين

في نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا

يقول (راندل) في كتابه (تكوين العقل الحديث) أنقذ العرب من العام شيئاً كان أرسطو بالرغم من عبقريته عاجزاً كل العجز عنه وهو العلم الرياضي، وأخذ العرب من العالم اليوناني المعرفة الرياضية والطبية وراحوا يعملون بصبر وجهد في ذلك الطريق، وينسوا في أسبانيا حضارة لم يكن العلم فيها مجرد براعة محسب، بل كان يخدم الفنون والصناعات الضرورية للحياة

ويرى المؤرخ (فيشر) في كتابه (أوروبا في العصور الوسطى) أن احتلال الرومانيين للقسطنطينية وغيرها لم يؤد إلى شيء من النهضة في ميادين العلوم وأن مخطوطاً يونانياً واحداً لم يصل إلى غرب أوروبا، على أن شعاعاً من ذلك النور العظيم اتخذ سبيله إلى أوروبا في القرن الثالث عشر الميلادي عن طريق العرب لمسلمين أصحاب أساليب الإسلامية

ومن آراء (لوبيون) في كتابه (حضارة العرب) كان تأثير العرب في الغرب عظيماً وإلهم يرجع الفضل في حضارة أوروبا ولم يكن نفوذهم في الغرب أقل مما كان في الشرق ولا يتأني للمرء معرفة الأثر العظيم الذي أثره العرب في الغرب إلا إذا تصور حالة أوروبا في الزمن الذي دخلت فيه الحضارة العربية وإذا رجعنا إلى القرنين التاسع والعاشر للميلاد ويوم كانت الحضارة العربية في أسبانيا راهرة وكانت الجهالة في أوروبا، ولم تبدأ الرغبة في العلم إلا في القرن الثاني عشر عندما شعرت بعض العقول المستنيرة بالحاجة إلى الخلاص من الجهل وطرقوا أبواب العرب يستهدونهم ما يحتاجون إليه لأنهم كانوا وحدهم

ساده العلم في ذلك العهد وما كان لأوروبا أن تشهد ما شهدته لو لم تستند إلى أساس متين من التراث العلمي العربي الإسلامي

ونتيجةً لهذا الموقف الفكري فقد مرّ العرب اللاتيني فكرياً بمرحلتين أساسيتين، تمثل الأولى بمقدام علماء العرب على تفهم التراث اليوناني القديم والتواصل مع التقدم الفلسفي العلمي لتراثهم لإشباع متطلبات العصر لفكرية الضرورية لتنمية وتطوير العقلية الغربية. أمّا الثاني فيتمثل بالعملية المجهدة في هضم هذه المتطلبات وتمثلها بهدف تقصّ الماضي المظلم والبدء ببناء جديد.

ولم يكن أمام الغرب لتحقيق تلك الاهتمامات والأعراض من خيار إلا غير ما أبدعه الفكر العربي الإسلامي وما تمّ ترجمته وتفسيره وشرحه من كتب العباقرة ممن شهر في الفلسفة اليونانية في بيت الحكمة العباسي، ولكن كيف عرف الغرب بالإنجازات الحضارية العربية^٩ وكيف شخص مفكرو العرب بأن الحضارة العربية تعد الحلقة الأساس التي ستأخذ بأيديهم نحو الماضي بفتحوا بها الكنوز التي أغلقتها العقلية المتحلفة؟ إنها إذن الحاجة، تلك الحاجة التي لا حدود لها، التي قد أبررت صورة الشرق أمام أنظار العرب، فالشرق صار عندهم يُعادل العقل والواقع أن رؤية الغرب إلى الشرق قد توزعت في مجالات متعددة ففي حدى لروايات رأى الغربي الشرق بمنظار التعصب والحق والكراهية، وفي زاوية أخرى نظر إليه بمنظار رومانسي، وفي زاوية ثالثة كانت بتداد عبد الغربي هي العلم ومهد انفلاسة العظام فينقل أحد المستشرقين نولاً لـ (تشارلز دوني) قائلاً إن الشمس جعلتني عربياً ولكنها ما شوهتني قط بالامتشراق⁽²⁵⁰⁾

لقد أضحى الفلاسفة المسلمون في رؤية المفكرين الأوروبيين المتطلعين رمراً للعقل والحلقة التي كانوا يبحثون عنها وغدت الفلسفة الإسلامية في نظرهم فلسفة دينية روحية وفي الآن نفسه فلسفة عقلية. فالفلاسفة المسلمون عرفوا فلسفة سقراط والافسطين وعرفوا وهضموا مؤلفات أرسطو وأفلاطون وترجموا الجمهورية والقواميس والرواية والسمع ولعالم. وعرف الغرب أن الفلسفة الإسلامية لها صلة وثيقة بالعلم (كتاب الشعاء) في سبيل المثال لا الحصر موسوعة في العلم والفلسفة. عندئذ اندفع مفكرو الغرب ممن جهدوا في سد الفراغ العلمي في أوروبا إلى البحث عن كنوز الشرق العلمية.

أعقب هذه المرحلة مرحلة توحه فيها العرب بشكل أوسع بكثير نحو الشرق، ولم تفلح مواقف الكنيسة في الطرد أو الحرمان في إعاقة هذه العملية الحصارية فقد طرد الملك فردريك الثاني بتهمة احترامه وحبه مظاهر الحضارة العربية الإسلامية وهدد قبله الملك روجر الثاني بذلك عندما قرّب العلماء العرب. فمتطلبات الحضارة والتقدم كانت أقوى من عوامل التحلف فقد جاءت متغير جائي في الانفتاح على الشرق والعلم العربية ينمكس ذلك في مسألة تأسيس كراسي اللغة العربية في المعاهد وأجامعات الأوربي، فتأسس أول كرسي لهذه اللغة في الكلية الفرنسية، وكان (غليوم بوستل Postel) المتوفى عام 1581 رئيس هذا القسم، ومع أنه كان رجل دين فقد دفعه حماسه الديني إلى الاهتمام بالحواسب اللغوية. وقد قدّم خدمة كبيرة إذ استطاع أن يجمع خلال جولاته في البلدان العربية مجموعة من المخطوطات العربية، ونشرها في المطبعة التي أسسها رجل الدين (فردينا فردورتشي). وكانت مؤلفات ابن سينا الطبية والفلسفية هي التي بدأت هذه المطبعة طبعها⁽²⁵⁾ كذلك أسست جامعة ليدن في هولندا عام 1613 كرسي اللغة العربية برئاسة المستعرب (توماس

أريينوس) وبأست عمتد مطبعة ليدن المشهورة بحروفها العربية الجميلة سنة 1593، ثم جاء كرسي اللغة العربية في جامعة كامبردج سنة 1632 وفي جامعة أكسفورد عام 1636.

إذن فقد كانت للغة العربية عنصراً أساسياً في نقل علوم العرب المترجمة منها أو المؤنفة إلى الغرب عبر الوسائل المعروفة كصقلية أو الحروب الفرنجية أو الأندلس التي يرجع إليها الفضل الأكبر في التمازج الحضاري، إذ استقر العرب فيها ثمانية قرون سادت فيها الثقافة العربية وانتقلت إلى أوروبا من المراكز الحضارية المشهورة كقرطبة وأشبيلية وغرناطة وطليطلة ومالقة وسرقسطة. وقد وفد إليها الطلبة من أوروبا للدراسة على أيدي العلماء العرب والأخذ من التراث العربي المعطاء. فحملوا علوم العرب إلى بلادهم هذا فضلاً عن أن الأسباب أدوا دوراً مهماً في عملية النقل الحضاري هذه فملك ألفونسو العاشر يقدم على تأسيس مدرسة إسلامية في مدينة مرسية يديرها أحد العلماء العرب الذي كن مختصاً بعلوم الهندسة والموسيقى والطب والمنطق وحدا الملك ألفونسو العاشر حذو هذا العامل فأسس مدرسة بمائة معهد للدراسات الشرقية في مدينة طليطلة لتدريس اللغتين العربية والعبرية، وبعد سنوات عدة تأسس معهد آخر للدراسات اللاتينية - العربية في مدينة أشبيلية. وانتقل هذا التأثير إلى أماكن ودول أخرى فأشأت مدرسة للعربية في عاصمة ميورقة، ومدارس أخرى بمائلة في روما وباريس وبولونيا لدراسة اللغات الشرقية العربية والعبرية وفي هذا الصدد يقول غوستاف لوبون وهو يتحدث عن رقي الحضارة في أسبانيا بعد الفتح العربي مقارناً بين حالتها قبل الفتح وبعده لم تكن أسبانيا ذات حضارة تُذكر قبل الفتح العربي فصارت حضارة نادرة في زمن العرب ثم هبطت إلى الدرك الأسفل من الانحطاط بعد جلاء العرب

عنها⁽²⁵²⁾ ويُعقَّب أيضاً على وصف هذه الحالة قائلاً: «ولو لم يظهر العرب على مسرح التاريخ لتأخرت نهضة أوروبا عدَّة قرون»⁽²⁵³⁾

إنَّ أوضح مثال يمكن الاستشهاد به عن التحول الجذبي في بلورة الحركة الاستشراقية وتطورها بوصفها وسيلة نقل وتأثر لا مجرد وسيلة للتعرف على إنجازات علماء الشرق وحضارتهم ووصولاً إلى التراث اليوناني والروماني ما ظهر في فرنسا عام 1795 حينما أوجت حكومة المؤتمر الفرنسية إلى المستشرق المشهور (سلفستر دي ساسي)⁽²⁵⁴⁾ أن يؤسس أول مدرسة من نوعها لدراسة اللغات الشرقية الحية، وأن تكون مدرسة تضم المستشرقين من العالم لا من فرنسا فحسب. وبذلك طور نشاط الحركة الاستشراقية التساقص بين المدارس الاستشراقية المختلفة تبعاً للدول التي تسمي إليها الحشد الإمكانيات العلمية والمادية وغيرها في جمع مراث الشرق أو بالأحرى سرقته والعمل على نقله إلى المكتبات والجامعات وإخصاعه لعملية بحث دؤوب من نشر وتحقيق ودراسة كما كان للمستشرقين البريطانيين اهتمام محث في تأليف القواميس والمعاجم ولا سيما بما تأسس كراسي الاستشراق في كامبردج وأكفرد مصلاً على ما أنجزه المستشرقون البريطانيون من تحقيقات وتأليف في ميادين التراث العربي والإسلامي.

ولهذا فإنَّ كثيراً من الآراء والنظريات العلمية حسبها كما اعترف عدد من العلماء الغربيين - من صنعا فإذا الغرب سبقوا. وظلَّت الأمة الإسلامية والعربية حاملة لواء النهضة عدَّة قرون في وقت كانت أوروبا ما تزال عارقة في الظلام وأهدى الفكر العلمي في لعصر الإسلامي إلى الإنسانية كثيراً من مظاهر الترف والخصارة والرفاهية كما أهدا معلماها الثاني والثالث

الفارابي وابن سينا ولقد قُدِّرَ لهذه النهضة العلمية الشاملة أن تستمر في
عنفوانها وانتشره، لكأنت هذه النهضة التي تبه بها أوروبا في العصر الحاضر
من نصيب أمتنا العربية ولكن وقوع بغداد تحت مسابك خيول العراة من المغول
والتار وسقوط الأندلس في يد الفرنجة في الغرب وتداعي دويلات المشرق
والمغرب العربي الواحدة تلو الأخرى عوامل أدت إلى انهيار هذه النهضة
القاعلة⁽²⁵⁵⁾.

1. يُنظر مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراقة الماضي ورؤية الحاضر، بحث للأستاذ الدكتور فاضل عبد الواحد علي، وادي الرافدين. مركز إشعاع حضاري في منطقة الشرق الأدنى لقديم، ط 1، (بغداد، بيت الحكمة، 2001)، ج 1، ص ص 21 - 25.
2. CAO vol G.P p86-87 Labat, R. Manuel D'Épigraphie Akkadienne Paris 1976 p. 185; Unger E "Bibliothek" Reallexikon der Assyriologie (RLA) Band I PP 24-25; Von Soden (ed.) Akadisches Handwörterbuch (AHW) p. 284.
3. CAD vol L P. 183
4. CAD vol G – P. 87.
5. Ibid. P. 183.
6. إسماعيل، بهيجة خليل، (الكتابة) حضارة العراق، (بغداد 1985)، ج 1، ص 270.
7. CAD vol G – P. 86.
8. كريم، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، (القاهرة، 1957).
9. Hilprecht, H Exploration in Bible Lands (London, 1903), pp. 223 – 522

- 10 مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراق الماصي ورؤية
الحاصر، الياور، د طلعت رشاد، بيت الحكمة في بغداد النشأة
والتنطور، ط 1، (بغداد، بيت الحكمة، 2001)، ج 1، صص 193 -
194.
- 11 طبقات الأطباء ج 1، ص 163؛ تاريخ ابن خلدون: ج 1، ص 40؛
كشف الظنون: ج 2، ص 679
- 12 مروج الذهب ج 2، ص 514، 515؛ مشاكلة الناس: ص 23؛
أخبار العلماء: ص 177.
- 13 الفهرست: ص 112، 337؛ مروج الذهب ج 1، ص 140.
- 14 طبقات الأمم: ص 77؛ طبقات الأطباء ج 1، ص 208
- 15 طبقات الأمم: ص 78؛ أخبار العلماء: ص 177
- 16 تراث العرب العلمي: ص 85.
- 17 تراث العرب العلمي: ص 85
- 18 أخبار العلماء: ص 109.
- 19 أخبار العلماء: ص 249؛ عيون الأباء ج 1، ص 175؛ كشف
الظنون ج 2، ص 681؛ طبقات الأطباء والحكماء: ص 65.
- 20 أخبار العلماء: ص 69
- 21 الفهرست ص 342؛ عيون لأباء ج 2، ص 33
- 22 طبقات الأمم: ص 75 - 76.
- 23 طبقات الأطباء: ص 67.
- 24 الفهرست: ص 378 - 379؛ أخبار العلماء ص 24 81
208.

- 25 الفهرست. ص 378 - 379؛ أخبار العلماء ص 24 - 81 - 208.
- 26 الفهرست: ص 308 - 384؛ أخبار العلماء ص 70 - 81 - 234؛ طبقات الحكماء: ص 57.
- 27 الفهرست: ص 308 - 384؛ أخبار العلماء ص 70 - 81 - 234؛ طبقات الحكماء: ص 57.
- 28 الفهرست: ص 410 - 411؛ أخبار العلماء ص 73 - 240.
- 29 الفهرست: ص 409 - 410 - 414؛ أخبار العلماء ص 117 - 118؛ عمون الأنباء ح 1، ص 186؛ تاريخ العرب الحثي ص 119 - 120؛ حزائن الكتب ج 1، ص 48؛ طبقات الأطباء ص 68 - 72.
- 30 الفهرست: ص 409 - 410 - 414؛ أخبار العلماء: ص 117 - 118؛ عمون الأنباء ح 1، ص 186؛ تاريخ العرب الحثي ص 119 - 120؛ حزائن الكتب ج 1، ص 48؛ طبقات الأطباء ص 68 - 72.
- 31 الفهرست: ص 409 - 410 - 414؛ أخبار العلماء: ص 117 - 118؛ عمون الأنباء ح 1، ص 186؛ تاريخ العرب الحثي ص 119 - 120؛ حزائن الكتب ج 1، ص 48؛ طبقات الأطباء ص 68 - 72.
- 32 أخبار العلماء ص 23.
- 33 الأخبار الطوال: ص 378.
- 34 كشف الظنون: ج 2، ص 68.

35. كشف الظنون: ج2، ص68
36. تراث العرب العلمي ص80.
37. أخبار العلماء ص40 - 148 - 149
38. أخبار العلماء ص40 - 148 - 149
39. طبقات الأمم: ص86 - 88.
40. طبقات الأمم: ص86 - 88.
41. كشف الظنون: ج2، ص871 - 872
42. الفهرست ص251؛ أخبار العلماء ص24 - 41 - 91؛ طبقات الأطباء: ج1، ص206، تاريخ التمدن الإسلامي: ج3، ص145.
43. الفهرست: ص396.
44. أخبار العلماء: ص128 - 230.
45. الفهرست: ص385.
46. أخبار العلماء: ص56.
47. ثقافة الهند السنة الثانية العدد الثاني.
48. حضارة الإسلام في دار السلام: ص209.
49. الفهرست: ص397.
50. التتبع والإشراف: ص30 - 31
51. الجغرافية: ص1.
52. الفهرست: ص357 - 365؛ طبقات الأطباء: ص73 - 74
- عيون الأبياء ج1، ص206 - 215 - 240 - 247
53. كشف الظنون: ج2، ص871 - 872 / ج2، ص676 - 682
54. كشف الظنون: ج2، ص871 - 872 / ج2، ص676 - 682

| | |
|-----|--|
| 55 | بعداد: ص 36. |
| 56 | خزائن الكتب في الخافقين ج 1، ص 99 |
| 57 | أخبار العلماء ص 249؛ طبقات الأطباء: ص 67 |
| 58 | أخبار العلماء ص 249؛ طبقات الأطباء ص 67 |
| 59. | الفهرست ص 382؛ أخبار العلماء ص 169 |
| 60 | الفهرست ص 154؛ معجم الأدياء: ج 2، ص 191 |
| 61 | الفهرست: ص 174 - 182؛ مروج الذهب ج 1، ص 48؛ بروكلمان: ج 3، ص 34 - 35. |
| 62 | الفهرست: ص 174 - 182؛ مروج الذهب ج 1، ص 48؛ بروكلمان: ج 3، ص 34 - 35. |
| 63 | الفهرست: ص 174 - 182؛ مروج الذهب ج 1، ص 48؛ بروكلمان: ج 3، ص 34 - 35. |
| 64 | أخبار العلماء ص 248؛ ابن العربي ص 329. |
| 65 | إعناطوس كرتشكوفسكي، تاريخ لأدب الجغرافيا العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963)، ج 1، ص 98 |
| 66 | المصدر نفسه، ج 1، ص 103 |
| 67 | الهيبي، صالح فليح، الخوارزمي وتطور علم الخرائط، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، (بعداد، مطبعة العامي، 1987)، العدد (21)، ص 93؛ مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراقة الماضي ورؤية الحاضر، بحث للدكتور نداء نجم الدين أحمد، الخوارزمي عام الفلك والحساب في بيت الحكمة، ج 2، ص 156 |

- 68 محمد السيد علاب، الجغرافيون المسلمون ودورهم في تطور الفكر الجغرافي، من بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، (الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1984)، م3، ص134.
- 69 الهيتي، صالح فليح، الخوارزمي وتطور علم الخرائط، ص109
- 110؛ نداء نجم الدين أحمد، الخوارزمي عالم الملك والحساب في بيت الحكمة، ص159 - 160
70. الفهرست ص383؛ أخبار العلماء. ص187 - 88.
71. الفهرست ص378 379؛ أحوال العلماء ص287
72. طبقات الأمم: ص78.
73. أخبار العلماء ص47 57 117 122؛ تاريخ العرب لختي: ص117 120؛ طبقات الأطباء: ص64 68.
74. أخبار العلماء ص47 57 117 122؛ تاريخ العرب لختي: ص117 120؛ طبقات الأطباء: ص64 68.
75. الفهرست: ص341.
76. مجلة المجمع العلمي العراقي ج2، ص142 171
77. صحى الإسلام: ج2، ص65
78. الفهرست: ص32.
79. مجلة المجمع العلمي العراقي: ج2، ص152؛ صحى الإسلام: ج1، ص178.
80. مجلة المجمع العلمي العراقي: ج2، ص152؛ صحى الإسلام: ج1، ص178.

- 81 الفهرست. ص 7 - 8 - 29.
- 82 الفهرست: ص 7 - 8 - 29.
- 83 خزائن الكتب - طراري. ج 1، ص 54
- 84 معجم الأدباء: ج 12، ص 191
- 85 معجم الأدباء: ج 1، ص 266.
- 86 طُبعت الرسائلان في لندن سنة 1885م
- 87 خزائن الكتب - طراري: ص 54 - 55.
- 88 مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراق الماضي ورؤية الحاضر، (د. طلعت رشاد الباور، بيت الحكمة في بغداد. النشأة والتطور)، ط 1، (بغداد، بيت الحكمة، 2001)، ج 1، صص 200-201
- 89 ينظر الكروي، إبراهيم وشرف الدين عبد النواب، المرجع في الحضارة العربية الإسلامية، الكويت، ص 475
- 90 د. طلعت رشاد الباور، بيت الحكمة في بغداد.. النشأة والتطور، ص 202.
- 91 هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (251 - 313هـ/ 865م) 925م)، فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب من أهل الري، ولد وتعلم بها وسافر إلى بغداد بعد سنّ الثلاثين. يُسمّيه كتاب اللاتينية (رايس) Rhazes. أروع بالموسيقى والغناء ونظم الشعر، في صغره. واشتغل بالسيما والكيمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره، فنبغ واشتهر وتولّى تدبير مارستان الري، ثم رئاسة أطباء اليمارستان المقتدري في بغداد. عُمي في آخر عمره.

- ومات بغداد له بصانيف، سُمي ابن أبي أصيبعة منها (232) كتاباً
ورسالة يُنظر الزركلي، خير الدين، الأعلام، (بيروت، دار العلم
للملّين، 1980)، ج 6، ص 130.
- 92 هونكه زيكريد، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة- فاروق
بيضون وكمال دسوقي، (بيروت، 1964)، ص 151
- 93 د طلعت رشاد الياور، بيت الحكمة في بغداد النشأة والتطور،
صص 206 – 207.
- 94 لمريد من التفاصيل عن المدرسة المسصرية، يُنظر- كوركيس عواد
ومصطفى جواد، المدرسة المستنصرية. أول جامعة في العالمين
العربي والإسلامي، ط 1، (لندن، دار الوراق للنشر، 2008)
- 95 حيدر، كامل، المدارس العباسية القائمة في العراق، (بغداد،
1986)، ص 134.
- 96 للمزيد يُنظر- مجموعة باحثين، حضارة وادي الرافدين سبعة آلاف
سنة من الفن والحضارة، ترجمة قاسم مطر التميمي، ط 1، (بغداد،
بيت الحكمة، 2010).
- 97 د طلعت رشاد الياور، بيت الحكمة في بغداد. النشأة والتطور،
ص 208
- 98 مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراق الماصي ورؤية
الحاضر، (أ.د. صباح إبراهيم سعيد الشبخلي، بيت الحكمة
الأعلي)، ط 1، (بغداد، بيت الحكمة، 2001)، ح 1، ص 536.
- 99 طبقات الأطباء: ص 90؛ عبون، الأباء: ص 478.
- 100 طبقات الأطباء: ص 85.

- 101 أ د صباح إبراهيم سعيد الشبحلي، بيت الحكمة الأعلى،
صص 536 - 537
- 102 المصدر نفسه، ص 529.
- 103 ابن الأثير، أبو عبد الله محمد القاضي، الحلة السراء، تحقيق
حسين مؤنس، (القاهرة، 1963)، ج 1، ص 172
- 104 أ د صباح إبراهيم سعيد الشبحلي، بيت الحكمة الأعلى،
صص 529 - 530.
- 105 يُنظر عبد المجيد بن حمده، ثقافة المجمع القيرواني في القرن الثالث
الهجري، (تونس، 1997)، ص 158.
- 106 أ د صباح إبراهيم سعيد الشبحلي، بيت الحكمة الأعلى،
ص 534
- 107 المحاسن والمساوي للبيهقي ج 2، ص 231.
- 108 يُنظر رفح الطيب ج 2، ص 115 - 116؛ خزائن الكتب ج 2،
ص 691، تراجم إسلامية: ص 130 - 135، مجلة المجمع العلمي
العربي العدد 4، السنة 28، بحث عن الثقافة في تونس للمرحوم
حسن حسني عبد الوهاب باشا، مجلة المكتبة العربية العدد 1، من
السنة الأولى، بحث للأستاذ عثمان العكاك، تونس عبر التاريخ،
ص 128 - 129
- 109 وتسمى أيضاً (دار العلم) أنظر عنها بغداد لطيفور، ص 45،
خطط المقريري ج 1، ص 181 - 458 / ج 2، ص 226 - 227
254 334 335 / ج 3، ص 336 - 337 / ج 4، ص 50،
بُنية الرعاية ص 213، وفيات الأعيان ج 2، ص 334، السجور

- الراهره. ج 4، ص 187 - 222 - 223؛ صبح الأعشى ج 2، ص 213 / ج 3، ص 363 - 367 / ج 13، ص 237؛ خطط الشام. ج 4، ص 198؛ خزائن الكتب: ج 1، ص 179، مختصر تاريخ العرب ص 510، صناعة الطرب في تقدمات العرب ص 441
- 110 هذا المبلغ رهيد لما تطلبه الدار المذكورة وما فيها من كتب وأثاث ومشرفون وغير ذلك ولعل هذا كان خطأ في النسخ
- 111 معجم الأدباء ج 7، ص 209 - 210.
- 112 صبح الأعشى ج 13، ص 236 - 237.
- 113 يذكر المقرئ في إتعاظ الحنفاء. ج 2، ص 51، أنه فعل هذا لما بلغه أن المعارضة تلعه على ما يقوم به من الأعمال.
- 114 يُنظر عنها: تاريخ ابن القرات ج 8، ص 77 - 79، الكامل ج 10، ص 179، المختصر ج 2، ص 111، وفیات الأعيان ج 2، ص 128، تاريخ التمدن الإسلامي ج 3، ص 204؛ لسان الميزان ج 2، ص 275؛ دائرة معارف لبستاني، ج 11، ص 241 - 242، دولة آل سلجوق ص 20، لمقتطف ص 74 - 385 - 386، خزائن الكتب في الحافقين ج 1، ص 139 - 140، المجموع الزاهرة: ج 5، ص 111
- 115 يُنظر عنها: فوات الوفيات: ج 2، ص 149 - 151، الحوادث الجامعة: ص 314 - 341 - 351، تاريخ ابن كثير ج 13، ص 225 - 242، مختصر تاريخ الدول ص 500، كشف الظنون ص 907، الوفا بالوفيات: ج 1، ص 179 - 83، خزائن الكتب ج 1، ص 159 - 160.

- 116 يُنظر معجم الأدباء. ج 16، ص 174 - 186 / ج 18، ص 116 /
ج 19، ص 163؛ مروج الذهب: ج 4، ص 138؛ الفهرست
ص 169؛ قوات الوفيات: ج 2، ص 123.
- 117 يُنظر: معجم الشعراء للمرزباني ص 286 - 287، لفهرست
ص 38 205؛ معجم الأدباء ج 15، ص 144 175؛ أخبار
العلماء: ص 24؛ تاريخ بغداد ج 2، ص 121 122؛ نشوار
المحاضرة: ج 8، ص 108.
- 118 أخبار العلماء: ص 271.
- 119 كشف الظنون. ج 2، ص 682 683.
- 120 كشف الظنون. ج 2، ص 682 683.
- 121 أنظر الفهرست: ص 213؛ معجم الأدباء ج 6، ص 359 / ج 7،
ص 19 205؛ الحاضرة الإسلامية: ج 1، ص 290 294؛
المنظم ج 7، ص 72 266 / ج 8، ص 22؛ الكامل ج 9،
ص 25 121؛ البدئية والنهاية ج 11، ص 13 / ج 13، ص 35؛
ذيل تجارب الأمم. ص 252؛ السة الأولى من مجلة عالم الغد
- 122 معجم البلدان: ج 2، ص 175 176، تذكرة الحفاظ ج 3،
ص 125 129، طبقات الشافعية: ج 2، ص 141 143؛
الأسباب للسمعاني. ص 580؛ لبديّة والنهاية ح 11، ص 259
- 123 أخبار العلماء: ص 105.
- 124 الأعاني: ج 1، ص 35.
- 125 تعريف القدماء بأبي العلاء: ص 222.
- 126 تعريف القدماء بأبي العلاء: ص 222.

- 127 معجم الأدباء ج 14، ص 90 - 99.
- 128 إنباء الرواة: ج 1، ص 50 - 51
- 129 إنباء الرواة ج 3، ص 48؛ معجم الأدباء: ج 17، ص 267 - 269؛
المنتظم ج 9، ص 189؛ أنظر عن دار العلم المذكورة أيضاً: معجم
الأدباء ج 4، ص 5 / 6 ج 14، ص 92 - 89؛ المنتظم ج 8،
ص 22؛ شذرات الذهب ج 3، ص 104؛ ذيل تجارب الأمم
ص 252؛ الكامل ج 9، ص 132؛ وفيت الأعيان: ج 2، ص 521؛
تاريخ بغداد ج 11، ص 57 - 58؛ اللباب ج 3، ص 315؛ البداية
والنهاية: ج 11، ص 312 / ج 12، ص 19؛ عيون الأنباء ج 1،
ص 136؛ مجلة عالم العدد: العدد 9، من السنة الأولى.
- 130 إنباء الرواة ج 3، ص 48؛ معجم الأدباء: ج 17، ص 267 - 269؛
المنتظم ج 9، ص 189؛ أنظر عن دار العلم المذكورة أيضاً: معجم
الأدباء ج 4، ص 5 / 6 ج 14، ص 92 - 89؛ المنتظم ج 8،
ص 22؛ شذرات الذهب ج 3، ص 104؛ ذيل تجارب الأمم
ص 252؛ الكامل ج 9، ص 132؛ وفيت الأعيان: ج 2، ص 521؛
تاريخ بغداد ج 11، ص 57 - 58؛ اللباب: ج 3، ص 315؛ البداية
والنهاية: ج 11، ص 312 / ج 12، ص 19؛ عيون الأنباء ج 1،
ص 136؛ مجلة عالم العدد: العدد 9، من السنة الأولى.
- 131 المنتظم ج 8، ص 216؛ النجوم لزهرة ج 5، ص 126.
- 132 المصدر نفسه: ص 175.

- 133 يُنظر: البداية والنهاية ج 13، ص 35؛ شذرات الذهب: ج 4، ص 340؛ مجلة عالم الغد السنة الأولى (298 - 299)؛ مجلة المجمع العلمي العراقي: العدد 7، ص 257.
- 134 المنصورة مدينة بقرب القيروان من نواحي أفريقية استحدثها المنصور بن القايم بن المهدي الخارج بالمغرب سنة 337هـ وعمر أسواقها ومستوطنها ثم صارت منزلاً للملوك الذين لهم والذين رعموا أنهم علويون وملكوا مصر ولم تزل منزلاً لملوك أفريقية من بني باديس حتى خربها العرب لما دخلت أفريقية وحرب بلادها بعد سنة 443هـ يُنظر ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ)، معجم البلدان، (طهران، مكتبة الأسد، 1965م)، ج 4، ص 664.
- 135 تامر، عارف، الحاكم بأمر الله خليفة وإمام ومصلح، ط 1، (بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1402هـ / 1982م)، صص 70 - 72.
- 136 هو جوهر بن عبد الله الرومي، أبو الحسن (ت 381هـ). القائد، باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر، كان من موال المعز العبدي (صاحب أفريقية) وسيره من القيروان إلى مصر، بعد موت كافور الإحشدي، فدخلها سنة 358هـ وأرسل الخيوش لفتح بلاد الشام وصحبها إليها. ومكث بها حاكماً مطلقاً إلى أن قدم مولاه المعز سنة 362هـ فحل المعز محله، وصار هو من عظماء القواد في دولته وما بعدها، إلى أن توفي بالقاهرة. وكان كثير الإحسان، شجاعاً، لم يبق في مصر شاعر إلا رثاه، وكان بأوه القاهرة سنة 358هـ وسمّاها (المنصورة) حتى قدم المعز فسمّاها (القاهرة) وفرع من بناء الأزهر

في رمضان 361 هـ الزركلي، حبر لدين، الأعلام، ط5، (بيروت،
دار العلم للملايين، 1980م)، ج2، ص148

137

هو يعقوب بن كلّس، أبو المرح يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن
هارون بن داود بن كلّس ورير العرير نزار بن المعر العبيدي
صاحب مصر كان يعقوب أولاً يهودياً يزعم أنه من ولد هارون بن
عمران أخي موسى بن عمران عليهما السلام وقيل إنه كان يرغم
أنه من ولد السموال بن عاديا اليهودي صاحب الحصن المعروف
بالأبلق وهو المشهور بالوفاء وقصه مع امرئ القيس الكندي
الشاعر المشهور مشهورة مستفضة بين العلماء في الوفاء له في
ودائعه وكان يعقوب المذكور قد ولد ببغداد ونشأ بها عند باب الصر
وتعلّم الكتابة والحساب وسافر به أبوه من بغداد إلى الشام وأنفذه
إلى مصر سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة فانقطع إلى بعض خواص
الأستاذ كافور الإحشيدي المقدم ذكره فجعله كافور على عمارة
داره ثم صار ملازماً لباب داره فرأى كافور من نجابته وشهامته
وصيافته وزاخرته وحسن إدراكه ما نطق عليه فاستحضره وأجلسه
في ديوانه الخاص وكان يقف بين يديه ويخدم ويستوفي الأعمال
والحسابات ويدخل يده في كل شيء ثم لم تزل أحواله تتزايد مع
كافور حتى صار الخجّاب والأشراف يهيمون له ويكرمونه وم
تتطبع نفسه إلى اكتساب مال وأرسل له كافور شيئاً فردّه عليه وأخذ
معه القوت خاصة وتقدم كافور إلى سائر الدواوين أن لا يمضي
ديار ولا درهم إلا بتوقيعه فوقع في كل شيء وكان ير ويصل من
اليسير الذي أخذه هذا كله وهو على دينه ثم إنه أسلم يوم الإثنين

لثماني عشرة ليلة حلت من شعبان سنة ست وخمسين وثلاثمائة
ولزم الصلاة ودراسة القرآن الكريم ورتب لنفسه رجلاً من أهل
العلم شيخاً عارفاً بالقرآن المجيد والنحو حافظاً لكتاب السيرافي
فكان يبيت عنده ويصلي به ويقرأ عليه ولم تزل حاله تزيد وتنمي
مع كافور إلى أن توفي كافور في لتاريخ المذكور في ترجمته وكان أبو
الفصل جعفر بن القرات وزير كافور بحسبه وبعاده فلما مات
كافور قبض ابن العرات على جميع الكُتّاب وأصحاب الدواوين
وقبض على يعقوب بن كلّس في جملهم فلم يرل يوصل ويذل
الأموال حتى أفرج عنه فلما خرج من الاعتقال اقترض من أخيه
ومن غيره مالاً ونجمل به وسار مستحقياً قاصداً بلاد المغرب فلفي
القائد جوهر بن عبد الله الرومي مولى للمعز العبيدي في الطريق وهو
متوجه بالعساكر والخيلائن إلى الديار المصرية ليملكها فرجع في
الصحبة وقيل إنه استمر على قصده وانتهى إلى إفريقية وتعلّق
بخدمة المعز العبيدي ثم رجع إلى الديار المصرية ولم يزل يترقى إلى
أن ولي الوزارة للعزيز مزار بن المعز معد وعظمت منزلته عنده
واقبلت عليه الدنيا وأثال الناس عليه ولازموا بابه ومهد قواعده
الدولة وساس أمورها أحسن سياسة ولم يبق لأحد معه كلام وكان
في أيام المعز يتصرف في الخدم الديوانية ثم انتقل إلى العزيز من بعده
وتولّى وزارة للعزيز يوم الجمعة ثامن عشر رمضان سنة ثمان
وسنين وثلاثمائة وقال ابن زولاق في تاريخه بعد ذكر المعز وتاريخ
وفاته ما مثاله وعن وزير للمعز الوزير يعقوب بن كلّس وهو أول
من وذر للدولة الفاطمية في الديار المصرية وكان من جملة كتاب

كافور فلما وصل المعر أحسن في خدمته وبالع في طاعته إلى أن استوزره هذا آخر كلام ابن رولاقي وقال غيره كان يعقوب يحب أهل العلم ويجمع عنده العلماء ورتب لنفسه مجلساً في كل ليلة جمعة يقرأ فيه بنفسه مصنعاته على الناس وتحضره القضاة والمفتاء والقراء والنحاة وجميع أرباب الفضائل وأعيان العدول وغيرهم من وجوه لدولة وأصحاب الحديث فإذا فرغ من مجلسه قام الشعراء ينشدونه المدائح وكان في داره قوم يكتبون القرآن الكريم وآخرون يكسبون كتب الحديث والفقه والأدب حتى الطب ويعارضون ويشكلون المصاحف وينقظونها وكان من جملة جلسائه الحسن بن عبد الرحيم المعروف بالزلازلي مصنف كتاب الأسجاع ورتب في داره القراء والأئمة يصلون في مسجد اتخذ في داره وأقام في داره مطابخ لنفسه ولجلسائه ومطابخ لعلمانه وحاشيته وأتباعه وكان ينصب كل يوم خواناً لخاصته من أهل العلم والكتاب وخواص أتباعه ومن يستدعيه وينصب مواعيد عديدة يأكل عليها الحجاب وبقية الكتاب والحاشية وصنع في داره مبخاة للطهور بشمانية بيوت تختص بمن يدخل داره من الغرباء وكان يجلس كل يوم عقب صلاة الصبح ويدخل عليه الناس للسلام وتعرض عليه رقاع الناس في الحوائج ولظلمات وقرر عند مخدومه العزيز جماعة جعلهم قواداً يركون بالمواكب والعبيد ولا يحاطب واحد منهم إلا بالقائد وكان من جملة هؤلاء القواد القائد أبو الفتوح فضل بن صالح الذي تُنسب إليه منية القائد فضل وهي بُليدة بالأعمال الجيرية من الديار المصرية ثم إن الرزير المذكور شرع في تحصين داره ودور علمائه

بالدروب والحرس والسلاح والعدد وعمرت ناحيته بالأسواق
 وأصناف ما يباع من الأمتعة ومن الطعام والمشروب والملبوس
 ويُقال إن داره كانت بالقاهرة في موضع مدرسة الوزير صهي الدين
 أبي محمد عبد الله من علي المعروف بابن شكر المختصة بالطهنة
 المالكية وإن الحارة المعروفة بالوزيرية التي بالقاهرة داخل باب
 سعادة منسوبة إلى أصحابه لأنهم كانوا يسكنونها وكان الوزير أبو
 الفضل ابن العرات يغدو إليه ويروح ويعرض عليه محاسبات القوم
 الذين يريد محاسنهم ويعول عليه فيها ويجلس معه في مجلسه وربما
 حسه لمؤاكلته فأكل معه بعد أن جرى عليه منه ما سبق ذكره،
 وكانت هيئته عظيمة وجوده وافراً وأكثر الشعراء من مدائحه ولقد
 نظرت في ديوان أبي حامد أحمد بن محمد الأنطاكي النيز بأبي
 الرقعمي الشاعر فوجدت أكثر مديحه في الوزير المذكور، ورأيت في
 تاريخ أمير الحنار عز الملك محمد بن أبي القاسم المعروف
 بالمسبحي فصلاً طويلاً يتعلّق بشرح حال الوزير المذكور ومعظم ما
 ذكرته ما ما نقلته منه وصنف الوزير المذكور كتاباً في الفن مما
 سمعه من المعز وولده العزيز وجلس في شهر رمضان سنة تسع
 وستين وثلاثمائة مجلساً حضره العام والخاص وقرأ فيه الكتاب بنفسه
 على الناس وحضر هذا المجلس الوزير أبو الفضل ابن لصرات
 المذكور وجلس في الجامع العتيق جماعة يفتنون الناس من هذا
 الكتاب وسمعت من جماعة من المصريين يقولون إن الوزير المذكور
 كانت له طيور فائقة أصيلة مختارة تسبق كل طائر يسبقها وكان
 لمخدومه العزيز طيور أيضاً سابقة ماخرة مسابقة العزيز يوماً ببعض

الطيور فسق طائر الورير فعز ذلك على العزيز ووجد أعداؤه
 سبيلاً إلى الطعن فيه فقالوا بلعز إنه قد اختار من كل صنف
 أجوده وأعلاه ولم يُبق منه إلا أدناه حتى الحمام وقصدوا بذلك
 الإغراء به حسداً منهم لعله يتغير عليه فاتصل ذلك بالوزير فكب
 إلى العزيز قل لأمير المؤمنين الذي له العلا والنسب الثاقب طئرك
 السابق لكه جاء وفي خدمته حاجب فأعجبه ذلك منه وسري عنه
 ما كان وجده عليه هكذا ذكره القاصي الرشيد ابن الزبير في كتاب
 الجمان وذكر غيره أن هذين السنين لولي الدولة أبي محمد أحمد بن
 علي المعروف باسم خير ان الكاتب لشاعر المصري. وذكر أبو
 العاسم علي بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفي
 المصري في جزء سماء الإشارة إلى من نال الوزارة ذكر فيه وزراء
 المصريين إلى عصره وأبتداً بذكر يعقوب المذكور فقال كان كاتباً
 يهودياً صائناً لنفسه محافظاً على دينه جميل المعاملة مع التجار فيما
 يتولاه واتصل بخدمة كافور، الإحشيدي فحمد خدمته ورد إليه زمام
 ديوانه بمصر ولشام فقبضه له على حسب إرادته وسار إلى المغرب
 وخدم المعز وتولى أمور العزيز في مستهل شهر رمضان سنة ثمان
 وستين وثلثمائة ولقبه بالوزارة وأمر أن لا يخاطبه أحد إلا بها ولا
 يُكاتب إلا بذلك ثم اعتفله في سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة في
 القصر فأقام معتقلاً شهوراً ثم أطلقه في سنة أربع وسبعين ورده إلى
 ما كان عليه ووجدت رقعة في دار الوزير المذكور في سنة ثمانين
 وثلثمائة وهي السنة التي توفي فيها ونسختها (احذروا من حوادث
 الأزمان ونوقروا طوارق الحداث قد أستم من الزمان وغتم رب

خوف مكن في امان) فلما قرأها قال لا حول ولا قوة الا بالله
 العظيم واجتهد أن يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك ولما اعتل علّة
 الوفاة آخر السنة المذكورة ركب إليه العزيز عائداً وقال له وددت
 أنك تباع فأبتاعك بملكى أو تغدى فأفديك مولدى فهل من حاجة
 توصي بها يا يعقوب فبكى وقبل يده وقال أمّا فيما يخصني فأنت
 أرحمى لحقي من أن أسترعيك إياه وأرأف على من أخلفه من أن
 أوصيك به ولكي أنصح لك فيما يتعلق بدولتك سالم الروم ما
 سالوك واقع من الحمدانية بالدعوة والسكة ولا تنق على معرج بن
 دغفل بن جراح إن عرضت لك فيه فرصة ومات فأمر العزيز أن
 يُدفن في داره وهي المعروفة بدار الروراة بالعاهرة داخل باب النصر
 في قبة كان بناها وصلى عليه وألحده بيده في قبره وأنصرف حزيناً
 لمقدمه وأمر بغلق الدواوين أياماً بعده. وكان إنقطاعه من العزيز في
 كل سنة مائة ألف دينار ووجد له من العبيد والماليك أربعة آلاف
 غلام ووجد له جوهر بأربعمائة ألف دينار وبسر من كل صنف
 بخمسمائة ألف دينار وكان عليه للتجار ستة عشر ألف دينار
 فقضاها عنه العزيز من بيت المال ونرقت على قبره وذكره الحافظ
 ابن عساكر في تاريخ دمشق فقال كان يهودياً من أهل بغداد خبيثاً
 ذا مكر وله حيل ودهاء وفيه قطرة وذكاء وكان في قلبه أمره خسر
 إلى الشام فتزل الرملة وصار بها وكيلاً فكسر أموال التجار وهرب
 إلى مصر فتاجر كاهوراً الإخشيدى فرأى منه قطرة وسياسة ومعرفة
 بأمر الصبياح فقال لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً فطمع في
 الروراة فأسلم يرم جمعة في جامع مصر فلما عرف الوزير أبو

الفصل جعفر بن القرات أمره قصده فهرب إلى المغرب وانصل
 بيهود كانوا مع المنقب بالمعز وخرج معه إلى مصر فلما مات المنقب
 بالمعز وقام ولده المنقب بالعريز استورر ابن كلّس في سنة خمس
 وستين وثلاثمائة فسم يرل مدير أمره إلى أن هلك في ذي الحجة سنة
 ثمانين وثلاثمائة وقال غيره ابتداء المرض بالوزير المذكور يوم الأحد
 الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ثمانين وثلاثمائة وأخذته
 سكة ثم ترايد به المرض واشتد وانطلق لسانه ثم توفي ليلة الأحد
 على صاح الاثنين لحس حلون من ذي الحجة من لسة المذكورة
 وكفن في خمسين ثوباً واجتمع الناس كلهم من القصر إلى داره
 وخرج العزيز وعليه الحزن ظاهر وركب بعلة بعير مظلة وكانت
 عادته أنه لا يركب إلا بها وصلى عليه ويكى وحضر مواراته ويقال
 إنه كمن وخنط بما مبدغه عشرة آلاف دينار وذكر من سمع العزيز
 وهو يقول وأطول أسمي عليك يا وزير ويكى عليه القائد جوهر
 بكاء شديداً وإنما كان بكاءه على نفسه لأنه عاش بعده سنة واحدة
 وغدا الشراء إلى قبره ويقال إنه رثاه مائة شاعر وأخذت قصائدهم
 وأجيزوا وقيل إنه مات على دينه وكان يظهر الإسلام والصحيح
 أنه أسلم وحسن إسلامه وقال يوماً وقد ذكر اليهود في مجلسه كلاماً
 يسوء اليهود سماعه ثم بين عوراتهم وفساد مذهبهم وأبهم على
 غير شيء وأن اسم النبي في التوراة وهم يحدونه وكانت ولادته في
 سنة ثمانين عشرة وثلاثمائة ببغداد عند باب لقر رحمه الله تعالى
 وكلّس بكسر الكاف واللام المشددة وبعدها سين مهملة ابن
 خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت

١٦٨هـ)، وفيات الأعيان وأبواب الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٩٦٨م)، ج٧، صص ٢٧-٣٢

١٣٨

هو ابن زولاق أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خالد بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن رولاق الليثي مولاهم المصري كان فاضلاً في التاريخ وله فيه مصنف جيد وله كتاب في حطط مصر استقصى فيه وكتاب أخبار قضاة مصر جعله ذيلاً على كتاب أبي عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي الذي ألّفه في أخبار قضاة مصر وأنهى فيه إلى سنة ست وأربعين ومائتين فكمّله ابن زولاق المذكور وانتدأ بذكر القاضي بكار بن قتيبة وختمه بذكر محمد بن النعمان وتكلم على أحواله إلى رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة وكان جده الحسن بن علي من العظماء المشاهير وكانت وفاته أعني أبا محمد يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة رحمه الله تعالى ورأيت في كتابه الذي صنّفه في أخبار قضاة مصر في ترجمة القاضي أبي عبيد أن الغني منصور بن إسماعيل الضرير توفي في جمادى الأولى سنة ست وثلثمائة ثم قال قبل مولدي بثلاثة أشهر فعلى هذا التقدير تكون ولادة ابن زولاق المذكور في شعبان سنة ست وثلثمائة وروى عن الطحاوي ورولاق بضم الزاي وسكون الواو وبعد اللام ألف وقاف والليثي بفتح اللام وسكون الياء المشاة من تحتها ويعدّها ثاء مثلثة هذه السببة إلى ليث بن كابة وهي قبيلة كبيرة قال ابن يونس المصري هو ليثي بالولاء ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، صص ٩٢-٩٣.

أصله من البصرة ثم انتقل إلى الديار المصرية وأقام بها إلى آخر عمره وكان فاضل النفس قوي الذكاء متفتناً في العلوم لم يمثله أحد من أهل زمانه في العلم الرياضي ولا يقرب منه وكان دائم الاشتغال كثير التصنيف وافر التزهد محملاً للخير وقد ألخص كثيراً من كتب أرسطوطاليس وشرحها وكذلك ألخص كثيراً من كتب جالينوس في الطب وكان خبيراً بأصول صناعة الطب وقوانينها وأمورها الكلية إلا أنه لم يباشر أعمالها ولم تكن له دربة بالمداواة وتصانيفه كثيرة الإفادة وكان حسن الخط جيد المعرفة بالعربية وحدثني الشيخ علم الدين بن أبي القاسم بن عبد الغني بن مسافر الحنفي المهندس قال كان ابن الهيثم في أول أمره بالبصرة وواحياًها قد وزر وكانت نفسه تميل إلى الفضائل والحكمة والنظر فيها ويشتهي أن يتجرد عن الشواغل التي تمنعه من النظر في العلم فأظهر خيالاً في عقله وتميراً في تصوره وبقي كذلك مدة حتى مكس من تبطل الخدمة وصرف من النظر الذي كان في يده ثم إنه سافر إلى ديار مصر وأقام بالقاهرة في الجامع الأزهر بها وكان يكتب في كل سنة إقليدس والجسطي وبيعهما ويفتات من ذلك الثمن ولم تنزل هذه حاله إلى أن توفي رحمه الله، ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت 668 هـ)، عيون الأبياء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، بلا)، صص 550-551.

142 هو أبو الحسن علي بن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس

بن عبد الأعلى الصدي المنجم المصري المشهور صاحب الزيج
الحاكمي، المعروف بريح ابن يونس وهو ريج كبير رأيه في أربع
مجلدات بسط القول والعمل فيه وما أقصر في تحريره ولم أر في
الأرياح عني أكثرها أطول منه وذكر أن الذي أمره بعمله واستدأ له
العزیز أبو الحاكم صاحب مصر كان مختصاً بعلم الجيوم متصرفاً
في سائر العلوم بارعاً في الشعر وعلى إصلاحه لريج يحيى بن
منصور تعويل أهل مصر في تقويم الكواكب وعدله القاضي أبو
عبد الله محمد بن النعمان في جمادى الأولى سنة ثمانين وثلاثمائة
وخلف ولداً متخلفاً باع كتبه وجميع تصنيفاته بالأرطان في
الصابونيين وكان قد أفنى عمره في الرصد والتسيير للموليد وعمل
فيها ما لا مغير له وكان يقف للكواكب، قال الأمير المختار
المعروف بالسبحي أخبرني أبو الحسن المنجم الطبراني أنه طلع معه
إلى جبل المقطم وقد وقف للزهرة فزع ثوبه وعمامته ولبس ثوباً
نساوياً أحمر ومقنعة حمراء تقنع بها وأخرج عوداً فضرب به والبحور
بين يديه فكان عجيباً من العجب، قال الأمير المختار في تاريخ مصر
كان ابن يونس المذكور أباه معلماً يعتم على طرطور طويل ويجعل
رداءه فوق العمامة وكان طويلاً وإذا ركب ضحك منه الناس
لشهرته وسوء حاله وورثاة لباسه وكان له مع هذه الهيئة إصابة
بديعة غريبة في الجمامة لا يشاركه فيها غيره وكان أحد الشهود
وكان متفنناً في علوم كثيرة وكان يضرب بالعود على جهة التاديب

وله شعر حسن. وقال المستحي كانت وفاته بكرة يوم الإثنين لثلاث
خلون من شوال سنة تسع وتسعين وثلاثمائة هجأة رحمه الله تعالى
وصلّى عليه في الجامع بمصر القصي مالك بن سعيد بن أحمد بن
مُحمّد بن سليمان بن ثواب ودُفن بداره بالفرائين يُنظر: ابن
خلكان، وفيات الأعيان، ج3، صص 429-431

143 تامر، الحاكم بأمر الله، ص74.

144 كان أبوه كاتباً من دعاة الإسماعيلية. فقال كان أبي نولّي التصرف
بقربة كبيرة ثم فرل بخارى فقرأ القرآن وكثيراً من الأدب ولي
عشر وكان أبي ممن آحى داعي المصريين ويُعد من الإسماعيلية
يُنظر: الذهبي، أبو عبد الله مُحمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت
748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم
العرقسومي، ط9، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ)، ج17،
ص531

145 أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت
665هـ)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين السورية والصلاحية،
تحقيق: محمد الزبيق، ط1، (بيروت مؤسسة الرسالة، 1997م)،
ج2، ص210

146 يُنظر: سيد، أيمن فؤاد، الدولة العاطمية في مصر تفسير جديد،
(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م)، ص596.

147 ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر
(ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان
عباس، (بيروت، دار الثقافة، 1968م)، ج7، ص29

- 148 المقرئزي، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ)، أعضا
الحلما بأخبار الأئمة الماطمين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد
عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م)، ج2، صص 126 -
127.
- 149 سيد الدولة الفاطمية، ص597.
- 150 المصدر نفسه، صص 600 601.
- 151 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج7، ص29؛ عطا الله، خضر أحمد،
الحياة الفكرية في مصر في العصر الماطمي، (القاهرة، دار الفكر
العربي، بلا)، ص162.
- 152 ابن تغري بردي، جمال الدين أبي الحاسن يوسف الأتابكي (ت
874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة،
المؤسسة المصرية العامة، بلا)، ج4، ص122.
- 153 ابن تغري بردي، لنجوم الزاهرة، ج4، ص101.
- 154 ماجد، عبد المعصم، نظم الفاطميين ورسومهم، ج2، ص ص 14
40.
- 155 أمين، أحمد، ظهر الإسلام، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية،
1966م)، ج1، ص199.
- 156 عطا الله، خضر أحمد، الحياة الفكرية في مصر في العصر الماطمي،
(القاهرة، دار الفكر العربي، بلا)، ص164.
- 157 أبو شامة، الروضتين، ج1، ص200، عطا الله، الحياة الفكرية،
ص165.

- 158 الشاشني. أبو الحسين علي بن محمد الشاشني الكاتب كان أديباً
فاضلاً تعلّق بخدمة العرير بن المعز العبيدي صاحب مصر فولاه أمر
خزانة كتبه وجعله دفتر خوان يقرأ له الكتب ويُجالسه ويناديه
وكان حلواً المحاورة لطيف المعاشرة وله مصنفات حسنة منها كتاب
الديارات ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والشام والجزيرة
والديار المصرية وجميع الأشعار لمقولة في كل دير وما جرى فيه
وهو على أسلوب الديارات للحالدين وأبي الفرج الأصبهاني مع
أن هذه الديارات قد جمع فيها تواريخ كثيرة وله كتاب (السُر بعد
العسر) وكتاب (مراتب الفقهاء) وكتاب (التوقف والتخويف) وله
مكاتبات ومراسلات مضمة شعراً وحكماً وغير ذلك من
المصنفات في الأدب وغيره. وتوفي سنة تسعين وثلثمائة وقال الأمير
المختار المعروف بالمسنحي توفي سنة ثمان وثمانين وثلثمائة وزاد
غيره فقال ليلة الثلاثاء منتصف صفر رحمه الله تعالى وكادت وفاته
بمصر (ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3، ص 319).
- 159 ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 6، ص 52، زيدان، جرجي، تاريخ
التمدن العربي، مراجعة وتعليق حسين مؤنس، (القاهرة، دار
الجلال، 2001م)، ج 3، صص 230 231
- 160 المهريري، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد
زينهم ومديحة الشرقاوي، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997م)، ج 2،
صص 163 165.
- 161 عطا الله، الحياة الفكرية في مصر، ص 170

162 جُنَادَة الهُرُوي أَبُو أَسَامَة حَنَدَة بن مُحَمَّد اللُّعُوي الأُرْدِي الهُرُوي
 كَانَ مَكْتَرَأً مِنْ حِفْظ اللَّفَّة وَنَقْلِهَا عَارِفٌ بِوَحْشِيَّهَا وَمُسْتَعْمِلَهَا
 يَكُن فِي زَمَنِهِ مِثْلُهُ فِي فَنِّهِ وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ مِنْ سَعِيدِ
 الْمِصْرِيِّ وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ سَلِيمَانَ الْمَقْرئِ النُّحُوي الْأَنْطَاكِي
 مَوَاسَّةً وَاتِّحَاداً كَثِيراً وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ فِي دَارِ الْعِلْمِ وَتَجْرِي بَيْنَهُمْ
 مَذَاكِرَاتٌ وَمَعَاوِضَاتٌ فِي الْأَدَابِ وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبَهُمْ حَتَّى قَتَلَ
 الْحَاكِمُ صَاحِبُ مِصْرٍ أَبَا أَسَامَةَ جُنَادَةَ وَأَبَا الْحَسَنَ الْمَقْرئِ الْأَنْطَاكِي
 الْمَذْكُورَيْنِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ وَهُوَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ
 وَثَلَاثِينَ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى وَاسْتَرْسَبَ قَتْلُهُمَا الْحَافِظَ عَبْدِ الْغَنِيِّ
 الْمَذْكُورَ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ حَكَمَى ذَلِكَ الْأَمِيرُ الْمُحْتَارُ
 الْمَعْرُوفُ بِالسَّبْحِيِّ فِي تَارِيخِهِ (ابن خَلِّكَانَ، وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ، ج 1،
 ص 372).

163 الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْغَنِيِّ بْنُ سَعِيدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ سَعِيدِ
 بْنِ بَشَرِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَزْدِيِّ الْحَافِظُ الْمِصْرِيُّ كَانَ
 حَافِظَ مِصْرٍ فِي عَصْرِهِ وَلَهُ تَوَالِيفٌ نَافِعَةٌ مِنْهَا (مِثْنَبُ النَّسَبِ) وَكِتَابُ
 (الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُحْتَلَفِ) وَغَيْرُ ذَلِكَ وَانْتَفَعَ بِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ وَكَانَتْ بَيْنَهُ
 وَبَيْنَ أَبِي أَسَامَةَ جُنَادَةَ اللَّغُويِّ وَأَبِي عَلِيٍّ الْمَقْرئِ الْأَنْطَاكِيِّ مَوَدَّةٌ
 أَكِيدَةٌ وَاجْتِمَاعٌ فِي دَارِ الْكُتُبِ وَمَذْكِرَاتٌ فَلَمَّا قَتَلَهُمَا الْحَاكِمُ
 صَاحِبُ مِصْرٍ اسْتَرْسَبَ ذَلِكَ الْحَافِظُ عَبْدُ الْغَنِيِّ خَوْفًا أَنْ يُلْحَقَ
 بِهِمَا لِاتِّهَامِهِ بِمَعَاشَرَتِهِمَا وَأَقَامَ مُسْتَخْفِيًّا مَدَّةً حَتَّى حَصَلَ لَهُ الْأَمْسُ
 فَظَهَرَ. وَكَانَتْ وَلَادَةُ الْحَافِظِ عَبْدِ الْغَنِيِّ لِلْيَلَنِينِ بَقِيْنَا مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ
 سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَلَاثَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَتُرْفِي لَيْلَةِ الثَّلَاثَاءِ وَدَفِنَ يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ

سابع صفر سنة سبع وأربعمئة بمصر ودفن بمصره مصلى العيد
رحمه الله تعالى وذكر أبو القاسم يحيى بن علي الخصري المعروف
بأبن الطحان في تاريخه الذي جعله دليلاً لتاريخ ابن يونس المصري
أن عبد الغني بن سعيد المذكور مولده في سنة ثلاث وثلاثين
وثلاثمئة والله أعلم (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص223)

164 عبد القادر القرشي، يحيى الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن
نصر الله القرشي (ت 775هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية،
(كراتشي، مير محمد كسب خان، بلا)، صص 106-107.

165 قال ابن تغري بردي: وأمر بعمارة دار العلم وفرشها ونقل إليها
الكتب العظيمة وأسكنها من شيوخ السنة سبعين يعرف أحدهما
بأبي بكر الأنطاكي وخلع عليهما وقربهما ورسم لهما بحضور
مجلسه وملازمته وجمع الفقهاء والمحدثين إليها وأمر أن يقرأ بها
فضائل الصحابة ورفع عنهم الاعتراض في ذلك. النجوم الزاهرة،
ج4، ص222.

166 علي بن رضوان: هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر
وكان مولده ومشوّه بمصر وبها تعلّم الطب، وكانت وفاة علي بن
رضوان رحمه الله في سنة ثلاث وخمسين وأربعمئة بمصر وذلك في
خلافة المستنصر بالله أبي تميم محمد بن الظاهر لإعزاز دين الله
الحاكم، ولعلي بن رضوان من الكتب: شرح كتاب العرق
لجالينوس وفرغ من شرحه له في يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي
الحجة سنة اثنتين وثلاثين وأربعمئة، شرح كتاب الصناعة الصغيرة
لجالينوس، شرح كتاب النبض الصغير لجالينوس، شرح كتاب

جاليانوس إلى اعلو قن في الثاني لشفاء الأمراض، شرح المقالة الأولى في خمس مقالات، وشرح المقالة لثانية في مقالتين، شرح كتاب الأسطفسات لجاليانوس، شرح بعض كتاب المراج لجاليانوس وم يشرح من الكك الستة عشر لجاليانوس سرى ما ذكرت كتاب الأصون في الطب أربع مقالات كاش، رسالة في علاج الجدام، كتاب تشع مسائل حنين، مقالتان كتاب النافع في كيفية تعليم صناعة الطب، ثلاث مقالات مقالة في أن جاليانوس لم يغلط في أقاويله في اللبن على ما ظه قوم، مقالة في دوع المصار عن الأبدان بمصر، مقانة في سيرته، مقالة في الشعير وما يعمل منه ألفها لآسي زكريا يهودا بن سعادة الطبيب، جوابه لمسائل في لبن لأتن سألها إياها يهوذا بن سعادة، تعاليق طيبة، تعالين نقلها في صيدلة الطب، مقالة في مذهب أنقراط في تعليم الطب، كتاب في أن أفضل أحوال عمد الله بن الطبيب الحالي السوفسطائية وهو خمس مقالات، كتاب في أن الأشخاص كل واحد من الأنواع المتناصلة أب أول منه تناسلت الأشخاص على مذهب الفلسفة، تفسير مقالة الحكيم فيشاغورس في الفضيلة، مقالة في الرد على أقرائيم وابن زرعة في الاختلاف في الملل، انتزاعات شروح جاليانوس لكتب أبقراط، كتاب الانتصار لأرسطوطاليس وهو كتاب التوسط بينه وبين حصومه المناقشين له في السماع الطبيعي، تسع وثلاثين مقالة تفسير ناموس الطب لأبقراط، تفسير وصية أبقراط المعروفة بترتيب الطب، كلام في الأدوية المسهلة، كتاب في عمل الأشربة والمعاجين، تعليق من كتاب التسمي في الأغذية والأدوية، تعليق من كتاب فرسيدونيوس في

أشربة لذينة للأصحاء، فوائدها من كتاب فيليريوس في
الأشربة النافعة للذهبة في أوقات الأمراض، مقالة في إنباء، مقالة
في أن كل واحد من الأعضاء يتعدى من الخلط المشاكل له، مقالة في
الطريق إلى إحصاء عدد الحيات، فصل من كلامه في القوى
الطبيعية، جواب مسائل في النضر وصل إليه السؤال عنها من
الشام رسالة في أجوبة مسائل سأل عنها الشيخ أبو الطيب أزهري من
النعمان في الأورام، رسالة في علاج صبي أصابه المرض المسمى بداء
القبيل وداء الأسد نسخة الدستور الذي أنقذه أبو العسكر الحسين
بن معدان ملك مكران في حال علة العالج في شقه الأيسر وجواب
ابن رضوان له فوائدها من كتاب حيلة البرء لجالينوس، فوائدها
من كتاب تدبير الصحة لجالينوس، فوائدها من كتاب
الأدوية المفردة لجالينوس، فوائدها من كتاب القصد لجالينوس،
فوائدها من كتاب الأدوية المردة لجالينوس، فوائدها من
كتاب الميسامر لجالينوس، فوائدها من كتاب ناطاجانس
لجالينوس، فوائدها في الأخلاط من كتب عدة لأبقراط
وجالينوس، كتاب في حل شكوك الرازي على كتب جالينوس،
سبع مقالات، مقالة في حفظ الصحة، مقالة في أدوار الحميات،
مقالة في التنفس الشديد وهو ضيق النفس، رسالة كتب بها إلى أبي
زكريا يهودا وغيرها كثير (ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي
العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت 668هـ)، عيون الأنباء في
طبقات الأطباء، بيروت، دار مكتبة الحياة، بلا)، ص 561

(564)

- 167 جناده الهروي أبو أسامة حنّده بن مُحَمَّد اللعوي الأردّي الهروي كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها عارفٌ بوحشيتها ومستعملها م يكن في رمنه مثله في فنه وكان بينه وبين الحافظ عبد الغني بن سعيد المصري وأبي الحسن علي بن سليمان المقرئ النحوي الأنطاكي مؤانسة واتحاد كثير وكانوا يجتمعون في دار العلم وتجري بينهم مذاكرات ومماوضات في الآداب ولم يزل ذلك دأبهم حتى قتل الحاكم صاحب مصر أبا أسامة جنادة وأبا الحسن المقرئ الأنطاكي المذكورين في يومٍ واحد وهو في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة رحمهما الله تعالى واستتر بسبب قتلهما الحافظ عبد الغني المذكور خوفاً على نفسه من مثل ذلك حكى ذلك الأمير المختار المعروف بـالسُّبُحِي في تاريخه والهروي بفتح الهاء والراء وبعدها وار وياء هذه النسبة إن هراة وهي من أعظم مدن حراسان. وجنادة بضم الجيم وفتح النون وبعده الألف دال مهملة مفتوحة ثم هاء ساكنة. (يُنظر. ابن خلكان، وفيات لأعيان، ج 1، ص 372).
- 168 عطا الله، الحياة المكرية في مصر، صص 171 172
- 169 زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، (القاهرة، دار الهلال، بلا)، ج 3، ص 232
- 170 المقرئزي، المخطوط، ج 2، صص 274 278.
- 171 هو القاضي الفاضل أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي المجد علي ابن القاضي السعيد أبي مُحَمَّد الحسن بن الحسن بن أحمد بن الفرج بن أحمد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار المعروف بالقاضي الفاضل الملقب بمير الدين وذر

للسلطان الملك الناصر صلاح الدين رحمه الله تعالى وتمكن منه عاية
 التمكن وبرز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين وله فيه الفرائب مع
 الإكثار أخبرني أحد الفضلاء الثقات المطلعين على حقيقة أمره أن
 مسودات رسائله في المجلدات، والتعليقات في لأوراق إذا جمعت ما
 تقصر عن مائة مُجلَّد وهو مجيد في أكثرها قال العماد الأصمهاني
 في كتاب الخريدة في حقه رب القلم والبيان واللسن واللسان
 والفريجة الوقادة والبصيرة النقادة والذبيحة المعجزة والبديعة المطرزة
 والفضل الذي ما سمع في الأوائل بمس لو عاش في زمانه لعلق
 بغاره أو جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي بسخت
 الشرائع ورسخت بها الصنائع بخترع الأفكار ويمنع الأثكار ويطلع
 الأنوار ويبدع الأزهار وهو ضابط الملك بأرائه رابط، لسلك بآلاف
 إن شاء أنشأ في يوم واحد بل في ساعة واحدة ما لو دون لكان
 لأهل الصناعة خير بضاعة ابن قس عند فصاحته وابن قيس في
 مقام حصافته ومن حاتم وعمرو في سماحته وهماسته وأطال القول
 في تقيظه. وكانت ولادته يوم الإثنين في خامس عشر جمادى
 الآخرة سنة تسع وعشرين وخمسمائة بمدينة عسقلان وتولى أبوه
 القصاء بمدينة بيسان فلهذا نسبوا إليها وبنى بالقاهرة مدرسة بدرب
 ملوخية ورأيت بخطه أنه استمتع التدريس بها يوم السبت مستهل
 المحرم من سنة ثمانين وخمسمائة (ابن خلكان، وفيات الأعيان،
 ج3، صص 158 - 162).

عطا الله، الحياة المكرية في مصر، ص 173؛ سيد، الدولة الفاطمية،
 صص 210-217.

- 173 السديوه جي، سعيد، بيت الحكمة، ط2، (الموصل، دار الكتب، 1972م)، ص47.
- 174 سيد، أمين فؤاد، الدولة العاصمية في مصر تفسير جديد، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م)، صص 574-575.
- 175 هو المُسُحِّي الأمير المختار عر لملك مُحَمَّد بن أَبِي القاسم عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز المعروف بالمُسُحِّي الكاتب الحُراني الأصل المصري المولد صاحب التاريخ المشهور وغيره من المصنفات كان فيه فضائل وبنية معارف ورزق خطوة في التصانيف وكان على ردي الأجناد واتصل بخدمة الحاكم بن العزيز العبيدي صاحب مصر وما من منه سعادة وذكر في تاريخه أن أول تصرفه في خدمة الحاكم صاحب مصر كان في سنة ثمان وتسعين وثلثمائة وذكر فيه أيضاً أنه تقلد القيس والهنسا من أعمال لصعيد ثم تولى ديوان الترتيب وله مع الحاكم مجالس ومحاضرات حسبا يشهد بها تاريخه الكبير، وجمع مقدار ثلاثين مصنفاً منها التاريخ المذكور الذي قال في حقه التاريخ الجليل قدره الذي يستغنى بمضمونه عن غيره من الكتب الواردة في معابه وهو أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية واختلاف أصناف الأطعمة وذكر ببلها وأحوال من حل بها إلى الوقت الذي كتب فيه تعليق هذه الترجمة وأشعار الشعراء وأخبار المعين ومجالس القصاة والحكام والمعدلين والأدباء والمنفزلين وغيرهم وهو ثلاثة عشر ألف ورقة ومن تصانيفه كتاب (التلويح والتصريح) في معاني الشعر وغيره وهو ألف ورقة وكتاب

الراح والارياح ألف وخمسمائة ورقة وكتاب (العرق و لشرق) في ذكر من مات غرقاً وشرقاً مائتا ورقة وكتاب (الطعام والإدام) ألف ورقة وكتاب (درك البغية) في وصف الأديين والعبادات ثلاثة آلاف وخمسمائة ورقة و(قصص الأنبياء عليهم السلام وأحوالهم) ألف وخمسمائة ورقة وكتاب (المفتاح والمناكحة) في أصناف الجماع ألف ومائتا ورقة وكتاب (الأمثلة للدول المقلدة) يتعلق بالنجوم والحساب خمسمائة ورقة وكتاب (القضايا الصائفة) في معاني أحكام النجوم ثلاثة آلاف ورقة وكتاب (جونة الماشطة) يتضمن غرائب الأحبار والأشعار والنوادر التي لم يتكرر مرورها على الأسماع وهو مجموع مختلف غير مؤتلف ألف وخمسمائة ورقة وكتاب (لشجن والسكر) في أخبار أهل الهوى وما يلقاه أربابه ألفان وخمسمائة ورقة وكتاب (اسسؤال والحواب) ثلثمائة ورقة وكتاب (مختار الأعاني ومعانيها) وغير ذلك من الكتب وكانت ولادة المسيح المذكور يوم الأحد عاشر رجب سنة ست وستين وثلثمائة كذا ذكره في تاريخه الكبير وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة عشرين وأربعمائة وتوفي والده ضحرة نهار الاثنين تاسع شعبان سنة أربعمائة وعمره ثلاث وتسعون سنة وصلى عليه في جامع مصر ودُفن في داره رحمهم الله تعالى أجمعين. والمسيحي بصم الميم وفتح السين المهملة وكسر لباء الموحدة وفي آخره جاء مهمة قال السمعاني في كتاب الأنساب هذه النسبة إلى الجند وعرف بها المسيحي صاحب تاريخ المغاربة ومصر يعني الأمير المذكور (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، صص 377-380).

- 176 سيد، الدولة الفاطمية، ص 576.
- 177 المقرئزي، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ)، إتعاظ الحنفيا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، ط 1، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1422هـ، 2001م)، ج 1، ص 367.
- 178 المقرئزي، إتعاظ الحنفيا، ج 1، ص 377؛ سيد، الدولة الفاطمية، صص 577-578.
- 179 المقرئزي، إتعاظ الحنفيا، ج 1، ص 390؛ سيد، الدولة الفاطمية، ص 578.
- 180 سيد، الدولة الفاطمية، ص 578.
- 181 الطياوي، عبد اللطيف، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام، (بيروت دار الأندلس، 1963م)، ج 1، ص 54.
- 182 تاريخ دول الإسلام، (الهند حيدر آباد الدكن، 1337هـ)، ج 2، ص 9.
- 183 نظام الملك ولد حسين نظام الملك لطوسي سنة 408هـ/1017م في مدينة طوس، وفيها تعلم القرآن الكريم، والعربية وفقه الشافعية والحديث في مدن خراسان الأخرى، كان كاتباً كفوياً عند جفري بك السلجوقي، ثم بعد ذلك علت مكانته عند السلجقة، حتى أصبح وزيراً عند ألب أرسلان سنة 451هـ، وبقي نظام الملك يشغل ذلك المنصب حتى وفاته سنة 485هـ/1092م، اشتهر نظام الملك بتأسيسه المدارس النظامية يُنظر: نظام الملك الطوسي، الحاجة حسين (485هـ)، سياست نامه (سير الملوك)، ترجمة د. يوسف

حسين بكار، (بيروت دار القدس، د.ت)، ص 13 وما بعدها
 المقدمة وللتفصيل عنه ينظر: البخاري، أبو عبد الله محمد بن
 إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ)، كتاب التاريخ الكبير، (د.م
 المكتبة العملاقة لدار بكر، د.ت)، ج 1، ص 465، ابن حبان
 الأنصاري (ت 369هـ)، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر،
 طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ط 2، (بيروت
 مؤسسة الرسالة، 1412هـ)، ج 1، ص 41؛ السمعاني، أدب
 الإملاء والاسماء، ط 1، تحقيق: سعيد محمد اللجام، (د.م مكتبة
 الهلال، 409هـ / 1989م)، ص 109؛ الشهرزوري، للإمام أبي
 عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت 643هـ)، مقدمة ابن صلاح، ط 1،
 تعليق وشرح: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة،
 (بيروت مطبعة دار الكتب العلمية، 1416هـ)، ص 160؛
 السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت 756هـ)،
 السيف الصقيل في الرد على ابن زنجفيل، (د.م: مطبعة زهران،
 د.ت)، ص 51.

- 184 تاريخ دول الإسلام، ج 2، ص 9.
- 185 للتفصيل عن المدرسة النظامية يُنظر السامرائي، عامر حميد حمود،
 المدرسة النظامية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية
 التربية 2000م)، ص 37 وما بعدها.
- 186 الخطط، ج 2، ص 263.
- 187 المدرسة النظامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد 3، ح 1،
 1954، ص 143-158.

- 188 ما طبع عن بلدان العراق باللغة العربية، مجلة سومر، المجلد 10، 1954، ج 1، ص 40-73
- 189 المدرس، مجلة سومر، المجلد 9، 1953م، ج 2، ص 361
- 190 علماء النظاميات ومدارس اشرق الإسلامي، ط 1، (بغداد مطبعة الإرشاد، 1973م)، ص 90.
- 191 المصدر نفسه، ص 90.
- 192 الطياوي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 52؛ الرحيم، الخدمات العامة، ص 603.
- 193 الطياوي، المصدر نفسه، ص 23.
- 194 المصدر نفسه، ص 23-24؛ الرحيم، الخدمات العامة، ص 603
- 195 الطياوي، المصدر نفسه، ص 23-24.
- 196 البداية والنهاية، ج 1، ص 357.
- 197 الطياوي، محاضرات في تاريخ العرب، ص 23 24
- 198 الرحيم، تاريخ الحضارة، ص 603؛ لاسكندراني، محمد حمدي عاشور وآخرون، تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، مراجعة: احمد فكري، (القاهرة: 1963م)، ج 1، ص 293
- 199 الثامري، إحسان ذنون، الحياة العلمية زمن السامانيين التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، (بيروت: دار الطليعة، 2001م)، ص 199 ملحق رقم (2) الذي أورد فيه مدارس خراسان وما وراء النهر في عهد السامانيين فقط والكثير منها قبل النظامية
- 200 المقرئزي، الخطط، ج 2، ص 199-200

- 201 معروف، ناجي، نشأة المدارس المستقلة في الإسلام، ص 105.
- 202 وفيات الأعيان، ج 2، ص 344
- 203 معروف، نشأة المدارس، ص 106.
- 204 الرحيم، تاريخ الحضارة، ص 634.
- 205 غنية ياسر كباشي، المكونات الثقافية في الدولة العاطمية (297-567هـ / 909 - 1171م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (بغداد، كلية التربية، 2007م)، صص 356-360
- 206 عبد الله إسماعيل الصوي، المكاتب وخدماتها، ط 1، (عمّان، جمعية عمال المطابع، ب.ت)، ص 65
- 207 حسن رشاد، المكاتب ورسالتها، ط 3، (دار الفكر العربي، ب.ت)، ص 31
- 208 د. عمر أحمد همشري و د. ربحي مصطفى عليان، أساسيات علم المكاتب والتوثيق والمعلومات، ط 1، (عمّان، مطبع جريدة الأسواق، 1988م)، ص 13.
- 209 أحمد بدر، المدخل إلى علم المكاتب والمعلومات، (الرياض، دار المريخ للنشر، 1985م)، ص 33.
- 210 سعيد أحمد حسن، أنواع المكاتب في العالمين العربي والإسلامي، ط 1، (عمّان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1984م)، ص 2
- 211 المصدر نفسه، صص 91 - 93.
- 212 المصدر نفسه.
- 213 المصدر نفسه.
- 214 المصدر نفسه.

- 215 دكتور أحمد بدر، المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، (الرياض، دار المريخ للنشر، 1985م)، ص 35
- 216 أحمد فكري، قرطبة في العصر الإسلامي، ص 179.
- 217 محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص 148
- 218 التربية الإسلامية في الأندلس. ترجمة الطاهر أحمد مكي، (القاهرة، دار المعارف، ب.ت)، ص 191.
- 219 المصدر نفسه، ص 195.
- 220 محمد ماهر حمادة، المكتبات في الإسلام، ص 74
- 221 المصدر نفسه، ص 176
- 222 المصدر نفسه، ص 183.
- 223 المصدر نفسه، ص 212
- 224 المصدر نفسه، ص 214.
- 225 علي محمد راضي، الأندلس والناصر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ب.ت)، صص 115-116.
- 226 ابن الأبار، التكملة، ص 138.
- 227 يُنظر القاضي صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، وخصوصاً ما يتعلق بعلماء طليطلة ومرقسطة، ص ص 80 - 100، وقد نقل عنه ابن أبي أصيبعة، ح 3، صص 78 - 85، كما نقل عنهما الدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ الأدب الأندلسي: عصر الطوائف والمرابطين، دار الثقافة، بيروت، صص 60 - 61
- 228 يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عتات، ط 2، (لقاهرة، 1958)، ص 60

- 229 ميمود الحايك، طليطلة مدينة الثقافة والرحمة، مجلة العربي، عدد 315، فبراير 1985، ص 67.
- 230 المصدر نفسه.
- 231 يُنظر مجلة الشرق الأوسط، عدد 345، فبراير 1993، ص 14،
أطلس اللغة الإسبانية يضم بحراً عربياً، ضمن ملف أعدده للمجلة
كل من طلعت شاهين وسمير يروتني ومحمد حربي
- 232 يُنظر الدكتور محمد القادري، هجرة المسلمين من إسبانيا في القرن
السادس عشر، مجلة الإيمان المغربية، عدد 7 - 8 (مردوج)، 1964،
ص 71.
- 233 يُنظر عبد اللطيف الخطيب، ألفونسو السادس ومدرسة المترجمين
بطلطلة، مجلة دعوة الحق المغربية، العدد السابع، السنة الثانية
عشرة، يونيو 1969، صص 69 - 70، حول مدرسة مترجمين
بطلطلة، دعوة الحق، العدد السابع، السنة الثالثة، أبريل 1960،
صص 58 - 59.
- 234 يُنظر أنجيل غونثاليث باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة
حسين مؤنس، ط 1، (القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، ب.ت)،
ص 537
- 235 يُنظر ناديا طائر شعبن، ألفونسو العاشر والإسلام، المحلة العربية
السعودية، عدد مزدوج، 4 - 5 ماي 1979، صص 110 - 112
- 236 أنجيل غونثاليث باليشيا، مصدر سابق، صص 573 - 574
- 237 المصدر نفسه، ص 574.

- 238 سيمور الحايك، طليطلة مدية الثقافة والترجمة، مجلة العربي، عدد 315، فبراير 1985، ص 9
- 239 يُنظر أحمد مختار العبادي، من التراث العربي الإسباني. نماذج لأهم المصادر العربية والحوليات الإنسانية التي تأثرت بها، مجلة عام الفكر، عدد 1، المجلد ثامن، 1977، صص 86 - 87، ويُنظر كذلك. السيد القميطور وعلاقته بالمسلمين، المجلة التاريخية المصرية، العدد الأول، المجلد الثالث، 1950
- 240 يُنظر مجلة عالم الفكر، مرجع مذكور، ص 88. وقام بترجمة نص الملحمة إلى اللغة العربية، وقدم لها بدراسة تفصيلية الدكتور طاهر أحمد مكي تحت عنوان ملحمة السيد، أو ملحمة أندلسية كتبت في اللغة القشتالية وصدرت عن دار المعارف بالقاهرة عام 1970
- 241 يُنظر د. سيمون لحايك، الملك ألفونسو العاشر الحكيم أو نشوء الدولة النصرية، ص 221 لقد ورث ألفونسو العاشر عن أبيه فرناندو الثالث ملكاً قوياً، كاد أن يضطربه بحيث لم يستطع أن يسترجع غرناطة من العرب، كما كان يتطرب منه؛ كما فرض ضرائب جديدة على شعبه بسبب ثورة سونا عليه. حاول في أواخر أيامه أن يقسم مملكته بين أبناء أخيه وولده سانشو الذي عارضه، فنار عليه، فلهذا إلى إشبيلية إلى أن مات فيها سنة 1284م.
- 242 يُنظر بدوي، عبد الرحمن، دور العرب في تكوين الفكر الأوروبي، ط2، (بيروت، 1979).

- 243 يُنظر الأعمش، عبد الأمير، الامتشرأاق الفلسفي وانتقال الفلسفة العربية إلى اللاتين في العصر الوسيط، مجلة الامتشرأاق، مج3، (بغداد، 1989)، ص14 - 31.
- 244 يُنظر الأعمش، الامتشرأاق من منظور فلسفي عربي معاصر، مجلة الامتشرأاق، مج1، (بغداد، 1987)، ص14 - 27.
- 245 عقيقي، نجيب، المستشرقون، (القاهرة، 1964)، ج1، ص137 وما بعدها؛ مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي عراقا الماضي ورؤية الحاضر، بحث للأستاذ الدكتور عبد الأمير الأعمش، منطق العلاقة بين العقل العربي والعقل الأوروبي، ط1، (بغداد، بيت الحكمة، 2001)، ج2، ص ص193 - 194.
- 246 يُنظر يوسف كرم، تاريخ لفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، (بيروت، دار لقلم، 1979)، ص11، كمال اليازجي، معالم الفكر العربي، ط6، (بيروت، دار العلم للملايين، 1979)، ص338.
- 247 شاحت وبوزورت، ثراث الإسلام، ترجمة: حسين مؤنس وإحسان صدقي العماد، ط2، (سلسلة عالم المعرفة)، (انكوت، 1988)، ج2، ص ص94 - 95.
- 248 مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراقا الماضي ورؤية الحاضر، بحث للدكتور نظلة الجبوري، قراءة في الطروحات الفلسفية للحضارة العربية ومقاربات لهذه الفلسفة العربية في العصر الوسيط، ج2، ص ص239 - 240.

249 مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي. عراقه الماضي ورؤية
الخاص، بحث للدكتور ظافر داود سلمان، الطب العربي وانتقاله
إلى أوروبا، ج2، ص ص 380 - 382.

250 مكسيم رودنسون (الصورة الغربية والدراسات العربية
الإسلامية)، في تراث الإسلام، تصيف شاحت وبورورث، ترجمة
محمد زهير السهوري، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، 1978)،
ص32.

251 P. M Holt: "The Treatment of Arab History by
Predeau, Ockley and Sale" in Historians of the
Middle East (London, 1964), P. 290.

252 غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، (القاهرة،
1956)، ص568.

253 المصدر نفسه.

254. Fuck J. W.: "Islam as an Historical Problem in
European Historiography since 1800" in
Historians of the M E P 304.

255 مجموعة باحثين، بيت الحكمة العباسي عراقه الماضي ورؤية
الخاص، بحث للدكتور عبد الجبار ناجي، لامتشراق ومسيبة لفل
ترجمات بيت الحكمة العباسي إلى الغرب، ج2، ص ص 494
502.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

1. ابن أبي أصيبعة، موفو الدين أبي العباس أحمد بن العباس بن حليمة (ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: مرز دصا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، بلا).
2. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والفاخرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، بلا).
3. عبد القادر القرشي، محيي الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي (ت 775هـ)، الجواهر المصنوعة في طبقات الخلفاء، (كراتشي، مير محمد كتب خان، بلا).
4. ابن خلكان، أبو الحسن شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، 1968م).
5. المقريري، أبي العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت 845هـ)، أتعاظ أئمتنا بأخبار الأئمة الماطمين الخلفاء، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2001م).

6. المقريري، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد ربيعهم ومديحة الشرفاوي، (القاهرة، مكتبة مدبولي، 1997م).
7. السمعاني (ت562هـ)، أدب الإملاء والاستملاء، ط1، تحقيق: سعيد محمد اللجّام، (د.م: مكتبة أمّ لال، 1409هـ / 1989م).
8. ابن حنّان الأنصاري (ت369هـ)، أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن حمّص، طبقات المحدثين بأصفهان والواردين عليها، ط2، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1412هـ).
9. السُّكّي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت756هـ)، السيف الصّقل في الرد على ابن زنجعل، (د.م: مطبعة زهران، د.ت).
10. المقريري، تقي الدين أحمد، الخطط المقريزية، المواعظ والاعتبار، (مصر، 1324هـ).
11. الذهبي، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ)، سير أعلام النّلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم لعرقسوسي، ط9، (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1413هـ).
12. الذهبي، شمس الدين محمّد، ميران الاعتدال في نقد الرجال، (مصر، 1325هـ).

13. الشهرزوري، الإمام أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن (ت 643هـ)،
مقدمة ابن صلاح، ط 1، تعليق وشرح أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد
بن عوبصة، (بيروت: مطبعة دار الكتب العلمية، 1416هـ).
14. ياقوت الحموي، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
الغدادى (ت 626هـ)، معجم البلدان، (طهران، مكتبة الأسد،
1965م)
15. أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 665هـ)،
كتاب الروضتين في أحوال الدولتين البورية والصلاحية، تحقيق: محمد
الريسي، ط 1، (بيروت مؤسسة الرسالة، 1997م).
16. ابن الموصي، عبد الرزاق، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة
السابعة، (بغداد 1351هـ).
17. النحاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ)، كتاب
التاريخ الكبير، (دمم المكتبة العملاقة لدار بكر، د.ت).
18. هلال الصابي، غرس النعمة، (الغفوات النادرة، دمشق، 1387هـ).
19. ابن النديم، محمد بن إسحاق، المهرست، (مصر، 1348هـ).
20. المقرئ، لسان الدين الخطيب، مع الطيب في أحوال غصن الأندلس
الوطيب، (مصر، 1304هـ).

21. المسعودي، علي، التسيه والإشراف، (طبعة الصاوي).
22. مروح الذهب ومعادن الجوهر، (مصر، 1346هـ).
23. الأصفهاني، محمد بن محمد، دولة آل سلجوق، (مصر، 1331هـ).
24. ابن الأثير، عمر الدين، الكامل في التاريخ، (مصر، 1250هـ).
25. الیهقي، إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوي، (مصر، 1325هـ).
26. النونجي، المحسن بن علي، نشوار المحاصرة، (دمشق، 1348هـ).
27. ابن عربي مردي، يوسف، الحجوم الراهرة في ملوك مصر والهاهرة، (مصر، 1350هـ).
28. ابنهشباري، محمد بن عدوس، الورداء والكتاب، (طبعة الصاوي).
29. الطوسي، الخواجة حسين (485هـ)، سياست نامه (سير الملوك)، ترجمة: د. يوسف حسين نادر، (بيروت، دار القدس، د.ت).
30. ابن جلعجل الأندلسي، سليمان، طبقات الأطباء والحكماء، (مصر، 1955م).
31. ابن الخوزي، عبد الرحمن، المتظم في تاريخ الملوك والأمم، (حيدر آباد، 1357هـ).
32. ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية، (مصر، 1348هـ).

33. حاجي حليمة، كشف الظنون، (الإستانة، 1941م).
34. ابن خلدون، عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، (مصر، 1284هـ).
35. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، (مصر، 1349هـ).
36. السبوري، أحمد بن داود، الأحرار الطوال، (مصر، 1330هـ).
37. السكي، عبد الوهاب، طبقات الشافعية، (مصر، 1324هـ).
38. السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات النحاة، (مصر).
39. ابن شاكر، محمد، فوات لوفيات، (مصر، 1290هـ).
40. صاعد بن أحمد الأندلسي، طبقات الأمم، (مصر).
41. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك، الوافي بالوفيات، (إستانبول، 1931م).
42. الذهبي، تاريخ دول الإسلام، (الهدية: حيدر آباد - الذكر، 1337هـ).
43. طيهور، أحمد بن طاهر، بغداد، (مصر، 1366هـ).
44. ابن العربي، عريعر يوس، تاريخ مختصر الدول، (بيروت، 1890م).
45. ابن العماد الحنبلي، عبد الحفي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (مصر، 1250هـ).
46. أبو الفداء، إسماعيل، المختصر في أخبار البشر، (مصر).

47. ابن الفرات، مُحَمَّد بن عبد الرحيم، تاريخ ابن الفرات، (بيروت، 1939م)

48. الففطي، جمال الدين علي بن يوسف، أحوار العلماء في أحوار الحكماء، (مصر، 1326هـ).

49. إياه الرواة على أساء النحاة، (مصر، 1369هـ).

50. الفلشندي، أحمد، صبح الأعشى في صناعه الإنشاء، (مصر، 1331هـ).

51. المرزباني، مُحَمَّد بن عمران، معجم الشعراء، (القدس، 1354هـ).

52. مسكونه، أحمد بن مُحَمَّد، تجارب الأمم، (مصر، 1332هـ).

للمراجع:

1. اليعقوبي، أحمد، مشاكلة الناس لزمانهم، (بيروت، 1962م).

2. الأمير، علي، مختصر تاريخ العرب والتمدد الإسلامي، (بغداد، 1928م)

3. ريدان، حرجي، تاريخ التمدد العربي، مراجعة وتعليق: حسين مؤنس، (القاهرة، دار الهلال، 2001م).

4. حتي، فيليب، العرب، (بيروت، 1946م).

5. الديوه جي، سعيد، الأمير خالد بن يزيد، (دمشق، 1372هـ).

6. آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، (القاهرة، 1356هـ).
7. أمين، أحمد، صحن الإسلام، (مصر، 1355هـ).
8. أمين، أحمد، ظهر الإسلام، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1966م).
9. طراري، الفيكونت فيليب، خرائط الكتب القديمة في الخافقين، (بيروت).
10. طوقان، قدري الحافظ، تراث العرب العلمي، الرصاصيات والفلك، (مصر، 1931م).
11. عنان، محمد عبد الله، تراجم إسلامية، (مصر، 1941م).
12. الطرابلسي، بوقل بن نعمة الله، صاحبة الطرب في تقدمات العرب، (بيروت).
13. فريد وجدي، محمد، دائرة معارف القرن الثالث عشر (العشرين).
14. أحمد بن عامر، تونس عبر التاريخ، (تونس، 1379هـ / 1960م).
15. كرد علي، محمد، خطط الشام، (دمشق، 1323هـ).
16. الاسكندراني، محمد حمدي عاشور وأحرون، تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ أقدم العصور، مرجعة. أحمد فكري، (القاهرة، 1963م).

17. المدور، جميل نخلة، حصارة الإسلام في دار السلام، (مصر، 1323هـ).
18. الستاي، بطرس، دائرة المعارف الإسلامية، (بيروت، 1876م).
19. تامر، عارف، الحاكم بأمر الله خليفة وإمام ومُصلح، ط1، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1402هـ / 1982م).
20. السامرائي، عامر حميد حمود، المدرسة النظامية، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية التربية: 2000م).
21. الثامري، إحسان ديون، لحية العلمية زمن السامانيين - التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، (بيروت: دار الطليعة، 2001م).
22. الرركلي، حير الدين، الأعلام، ط5، (بيروت، دار العلم للملايين، 1980م).
23. سيد، أيمن فواد، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، (القاهرة، هيئة المصرية العامة للكتاب، 2007م).
24. غيبة ياسر كاشفي، الحكومات الثقافية في اندوسية الفاطمية (297 - 567هـ / 909 - 1171م)، طروحة دكتوراه غير منشورة، (بغداد، كلية التربية، 2007م).

25. عطاء الله، حضر أحمد، الحياة الفكرية في مصر في العصر الماطمي،
(القاهرة، دار الفكر العربي، بلا).
26. الديوه جي، سعيد، بيت الحكمة، ط2، (الموصل، دار الكتب، 1972م).
27. مجلة الأدب البيرونية، الجزء التاسع من السنة الثانية، 1943م.
28. ثقافة الهند، العدد الثاني من السنة الثانية
29. مجلة عالم العدد، السنة الأولى، العدد 8 10 .
30. مجلة اجمع العلمي العربي بدمشق، السنة 28.
31. مجلة اجمع العلمي العراقي، المجلد الثاني من سنة 1952م.
32. مجلة المكتبة العربية، السنة الأولى، العدد الأول
33. تعريف العلماء بأبي العلاء.
34. الطياوي، عبد النظيف، محاضرات في تاريخ العرب والإسلام،
(بيروت: دار الأندلس، 1963م).
35. مجموعة ناحش، بيت الحكمة العباسي.. عراق الماضي ورؤية الحاضر،
2، ط1، (بغداد، بيت الحكمة، 2001).
36. غوستاف لوبون، حصار العرب، ترجمة عادل رعبتر، (القاهرة،
1956).

37. مكسيم رودنسون: (الصورة الغربية والدراسات العربية للإسلامية)، في تراث الإسلام، تصيف: شاخت ويوزورث، ترجمة محمد رهير السمهوري، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت، 1978).
38. شاخت ويوزورث، تراث الإسلام، ترجمة: حسين مؤنس وإحسان صدقي العمدة، ط2، (سلسلة عالم المعرفة)، (الكويت، 1988).
39. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط، (بيروت، دار القلم، 1979).
40. كمال البارجي، معالم الفكر العربي، ط6، (بيروت، دار العلم للملايين، 1979).
41. عفيقي، نجيب، المستشرقون، (القاهرة، 1964).
42. بدوي، عبد الرحمن، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي، ط2، (بيروت، 1979).
43. أبحيل عوثاليت باليشيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة: حسين مؤنس، ط1، (القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، ب.ت).
44. يوسف أشباح، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة: محمد عبد الله عمان، ط2، (القاهرة، 1958).

45. سعيد أحمد حسن، أنواع المكتبات في العالمين العربي والإسلامي، ط1، (عمّان، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 1984م).
46. علي محمد راضي، الأندلس والناصر، (بيروت، دار الكتاب العربي، ب.ت).
47. أحمد بدر، المدخل إلى علم المكتبات والمعلومات، (الرياض، دار المريخ للنشر، 1985م).
48. عبد الله إسماعيل الصوفي، المكتبات وخدماتها، ط1، (عمّان، جمعية عمّال المطابع، ب.ت).
49. حسن رشاد، المكتبات ورسالتها، ط3، (دار الفكر العربي، ب.ت).
50. د. عمر أحمد همشري و د. ربحي مصطفى عليان، أساسيات علم المكتبات والتوثيق والمعلومات، ط1، (عمّان، مطابع جريدة الأسواق، 1988م).
51. عبد المجيد بن حمده، ثقافة المجتمع القبرواني في القرن الثالث الهجري، (تونس، 1997).
52. إغناطيوس كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1963).

53. الهبتي، صالح فليح، الخوارزمي وتطور علم الخرائط، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، (بغداد، مطبعة العاني، 1987)، العدد (21).
54. محمد السيد غلاب، الجغرافيون المسلمون ودورهم في تطور الفكر الجغرافي، من بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، (الرياض، إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1984).
55. كريم، صموئيل نوح، من ألواح سومر، ترجمة: طه باقر، (القاهرة، 1957).

المصدر الأجنبية:

1. Labat, R Manuel D Epi graphi e Akkaol i enne (Parl s – 1976).
2. Unger – E "Bibli o thek" Real l exi kon der Assyri ologi e (FLA).
3. Von Soden – (edi) Akadi sches Handwort er buch (AHW).
4. Hilprecht, H Exploration in Bible Lands (London, 1903).
5. P. M Hbl t: "The Treatment of Arab History by Predeau, Ockley and Sale" in Historians of the Middle East (London, 1964).

-
-
6. Fuck J. W: "Islam as an Historical Problem in European Historiography since 1800" in Historians of the ME

